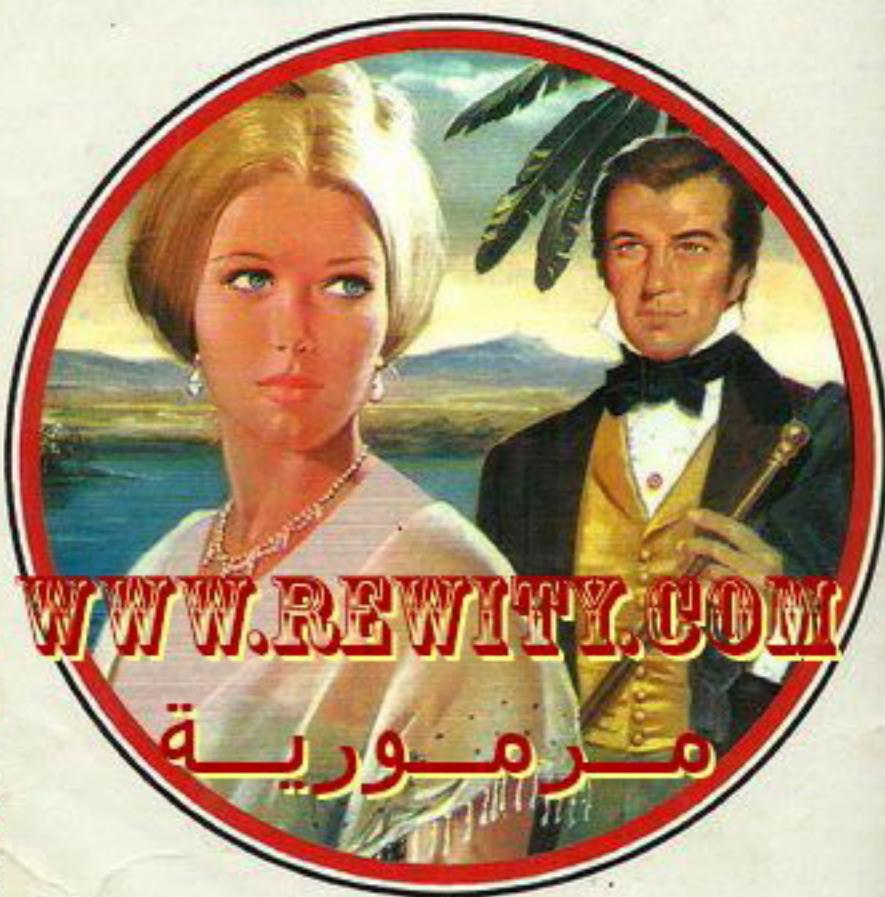


روايات عبير



السر الدفين



Denyse EVANOVICH

N° 648

روايات عبير



هربا من عذاب الثورة، سعت إيزابيل دي
سان فلوري هي وأخوها هبير، إلى الحصول على مأوى
في هدوء إحدى الجزر الاستوائية، الخداع.
فما كان من بوري -رغمما عنها- أن دخل حياتها.
ترى هل ستنجح في الكشف عما يحيط بهذا الشاب من غموض وأسرار؟
وهل ستختبئ لهذا القلب الذي كان يبدو
أنه مقدر لذاقتها الجميلة «ومبلين»؟
وهل ستتمكن من اجتياز المخاطر الشرسة بعفردها، تلك
المخاطر التي تقدمها هذه الأرض للغرباء؟

ثمن النسخة

ISBN 9953-443-72-1

9 789953 443720

٨ ريال	قطر	٢٥٠٠	لبنان
٧٥٠ بيسة	مسقط	٧٥	سوريا
٥ جنية	مصر	١ دينار	الأردن
٢٠ درهم	القُرُب	٨ ريال	السعودية
١ دينار	ليبيا	٧٥٠	الكويت
٣ دينار	تونس	٨ دراهم	الإمارات
٤٥٠ ريال	اليمن	٧٥٠	البحرين
		U.K.	2£

الغلاف الأمامي

قصة شائقه غنية بالمفاجآت، وهي قصة تزخر بالعديد من المواقف العاطفية.

بتتصفحها -عزيزى القارئ- سوف تجد لونا جديدا من القصص التي اعتدنا أن نقدمها إليك. لذلك ندعوك تكتشف ما بها من أسلوب قصصي شائق.

شخصيات الرواية

- السفينة معدة يا آنسة دي سان فلوري . أخوك متظرك فيها .
هكذا أعلن الربان "لاهاي" .
التفت إيزابيل نحو الربان "سان جيران" .
كانت السفينة الرائعة ذات الصواري الثلاثة قد رست بصفة مؤقتة في
٢٠ تشرين الأول (أكتوبر) الحالي في "سان دينيس" وهو الميناء الرئيسي
لجزيرة بوربون .
أسرعت الفتاة - بعد تبادل عبارات الوداع على عجل - بالجلوس في
القارب الذي قادهما إلى الرصيف أبي المرسى .
اطلقت إيزابيل صرخة فور وصولهما إلى المرطم .
قالت وهي ترفع أسفل فستانها :
- يا للفظاعة ! يا للهول ! علينا أن نسير في هذا الوحل ؟
وإذا بصوت دافئ جذاب جعلها ترفع عينيها :
- هذا ما أخشأه لأنني لا أستطيع التقدم بالسفينة أكثر من ذلك ؛ لأنها
سوف تتعرض لعدم القدرة على الرحيل .
ثم أضاف ببررة اعتذار :
- إننا في موسم الأمطار .
تعلمت إيزابيل إلى هذا الشخص المجهول الذي توجه إليها بالكلام .
المحبب لجمال وجهه النادر .
غير أن النظرة المرحة التي ألقاها إلى حذائها - وهو من الحرير الرمادي
اللون الذي بدأ يتفسخ - أثارتها .
- اسمحي لي بأن أقدم نفسي : "بوروي بريزور دي بالميرو" .
كانت إيزابيل قد تخيلته أكبر سنا مما هو عليه ، وسيطرت على رجفة
قد اعترتها . تذكرت خطابه الرسمي الذي أعلن لهما فيه أنه سيستقبلهما
فور وصولهما إلى الجزيرة .
كانت الفتاة قد اعتقدت أن الرجل الذي له هذا الاسم الغريب ، في
مثل عمر عمها .

"إيزابيل دي سان فلوري" : بطلة الرواية .
"بوروي" : بطل الرواية وصاحب القصر والمزرعة .
"هيبر" : شقيق إيزابيل دي سان فلوري .
"بيلوني" : خادمة زنجية .
"بيماهو" : خادم .
"إميريك دي كيريفيجون" : من كبار مزارعي الجزيرة .
"أوميلين ديباسين" : فتاة تحب "بوروي" .
"جوسيلين" : شقيق "أوميلين" .
"مانا باني" : كاهن القبيلة .
"أوراخ" : ملك الزنوج .

لم يلمح بوري "الارتباك الذي اغرت فيه كلماته إيزابيل دي سان فلوري". لكن "بافيون" هو اسم مسكن عمي - هكذا جاء تفكيرها - لابد أنه يسكن منزله. لم يسبق لها التفكير في ذلك قبل الآن. ومع ذلك، لم يكف خيالها عن التجول منذ لقائهما بموثق الأسرة.

كان قد حدث قبل ذلك بعام تقريباً، ذات صباح مطر في شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، أن أخاها كان قد فاجأه في مكتبه:

- السيدة "بيملاك" ترجونا الانتقال إلى أمرها للأهمية.

كان الرجل المسن قد استقبلهما في مكتبه المكتس بالملفات كالمعتاد:

- أبنائي الأعزاء، هنا هو خبر عظيم أزفه لكم! يؤسفني أولاً، أن أخبركم بما يوافئ عمكم: "أنطوان دي سان فلوري".

لقد كان الأسرة الوحيدة الباقية لكم. حقاً إنكم كتمنا لا تعرفانه جيداً. كان هذا الاخ الأكبر لوالدكم قد غادر فرنسا عام ١٨٢٣؛ أي قبل مولده بعشرين سنة يا "هيبر". وتوجه مباشرة إلى جزيرة "بوريون". هناك كون ثروة بسرعة بفضل حذقه. لقد توفي ماتحا إياكم كل ما يمتلك. غير أنه ينبغي أن تحصلوا على إرثكم وهو عبارة عن مساحة شاسعة لزراعة القطن. لقد غمرني السرور من أجلكم. في الواقع (هنا سمع المؤذن العجوز في حرج)، أستطيع - بصفتي مدير الشروتكما - أن أخبركم بما ينفع في حينه. كانت والدتكما بعد وفاة والدكم في الجزائر، عندما كان في خدمة "شارل" العاشر - قد عهدت لي بإدارة كل أملاك أسرتكم. وأسفاه! لم تطل حياتها بعد وفاة زوج محبوب مثل زوجها، الأمر الذي أضعف من موقفهما. وإذا كان والدكم رجلاً عسكرياً مرموقاً، إلا أنه لم يكن سوى رجل أعمال مiskin. كم أنت مسرور لاجلهم. نعم مسرور جداً.

هكذا أخذ يردد وهو يراقبهما عند الانصراف.

لحق الشابان بفندقهما الصغير الواقع في شارع "شيفير". وقد أذهلهما الخبر. ثم شعرت إيزابيل بأن الوقت يمر بسرعة مذهلة. كان لابد لهما من تدبّر بعض الأمور في "باريس" والاستعداد للرحلة الكبير. كانوا يعزمان البقاء في مسكنهما الجديد لفترة ما. على ما يبدو أن "هيبر" وهو من

وإذ أدرك خطأ الفتاة، ابتسם:

- لقد كان والذي أفضل صديق لعمكم.

أردف "هيبر دي سان فلوري" وهو يتقدم نحو "بوري":

- إننا - أختي وأنا - سعيدان بمعرفتكم.

على ما يبدو أن الشابين تآلفاً، كان كل منهما يشد على يد الآخر بحرارة. وكانت إيزابيل تقف بعيداً حريصة على الا تترافق.

- أفي إمكانني منحك ذراعي إلى أن تصلي إلى السيارة؟

و قبل أن يجد الوقت للقيام بالحركة، كانت إيزابيل قد أحبته بنبرة حادة:

- لا داعي لذلك!

تضاعفت الفتاة عندما شاهدت الابتسامة الحلقية التي ارتسمت على شفتيه. حينئذ وصلوا أمام عربة خفيفة مكشوفة ذات طلاء بلون أحمر "دم الغزال".

جلسَت إيزابيل على أريكة مريحة، رخوة مكسوة بالجلد.

- المعدرة للحظات، ساعطي بعض الأوامر من أجل امتعتكم.

اعجبت الفتاة رغمها عنها يقوم الشاب عندما نظرت إليه وهو يبتعد؛ إذ كان رداءه الخفيف يظهر نحافة شخص رياضي، كما أن حذاءه العالي وهو من الجلد البني - يسمح له بالقيام بخطى رشيق وواسعة في كل مكان. كان يتحرك بسهولة غير متوقعة بالنسبة لشاب فارع القوام، كما أن وجهه الطويل النحيف كان يعكس ميله للنشاط. أما بشرته البرنزية، فكانت تبرز اللون الأخضر الفاتح الذي لعيشه، وتنبع نظراته الحارقة مزيداً من الحدة. أما جبينه العريض وأنفه المقوس فقد أخذَا تتحمّل هذا المظهر المتعالي. عاد نحوهما:

- سيهتم سيناماليه بعملية تفريح أمتعتكم وحملها إلى المزرعة.

ثم التفت نحو الحادم - وكان في ملابس بيضاء - الجالس مكان الحوذى:

- "بيماهو"، إننا عائدون إلى منزلنا. أتجه مباشرة إلى القصر: إلى "بافيون".

فتخلىت "إيزابيل" من نظرته الملحة. كان التخيل الذي يحيط بهذا المحنى يحول دون تكفهم من معرفة ما يحدث. لقد تضاعف الصوت وكل منهم يتساءل في أسى عما سوف يحدث إثر ذلك.

- ابتعد يا "بيماهو"، ساتخذ مكانك.

وبسرعة خارقة، تخطى المقعد وأمسك بسir اللجام. وإذا بقطيع ثائر يخرج من المحنى في نفس اللحظة.
والخيول الأربع اندفعت نحو عربتهم.

- حاول يا "هيبير" الاحتفاظ بالتوازن عندما أعمل على تغيير المسار! نفذ الشاب على قدر استطاعته. و"بوري" بكل ما له من رباطة جأش سيطر على دواب عربتهم. كان منحنيا إلى الأمام. وكان الفهد الذي يبذل وهو يسيطر على اللجام ينعكس على ملامحه. عملت "إيزابيل" على التثبت بظهور المقعد حتى لا تلقى على الطريق. "يا إلهي، لن يتمكن من تحبيه". هكذا فكرت. والآن، ها هي الخيول تندفع نحوهم وصوت الحدوات المثبتة في أقدامها يرن مزعجا. أغلقت الفتاة عينيها، وأمسكت بكل قواها باعلى السيارة. كان آخر منظر رأه هو منظر "بوري"، وشعره يتظاهر مع الريح، وهو يقاوم حتى لا يعرضهما إلى موت محقق شنيع. لقد بدا لها أكثر جمالا في هذه اللحظة المأساوية.

وما كان مدعاها، أنها كانت أشبه بمتفرجة أثناء هذه اللحظات. أعادت فتح عينيها بسرعة لانه كان لابد لها من مواجهة الخطر. لقد رأت - على بعد عدة سنتيمترات من وجهها - رؤوسا ذات عيون متسعة، وأنوفا تدل على الغيظ. لكن سرعان ما اختفى هذا المنظر حتى إنها ظلت أنها شاهدته في حلم. أوقف "بوري" الدابتين بهدوء، وكانتا ترتجفان من الفزع. قفز من على مقعده وأخذ يلاطفهما الكي بهدى من رويعهما. ثم جلس إلى جانب آل "سان فلوري" وكان كلاهما شاحباً، لكنهما معجبان به.

قال لها:

- أهئكم على عدم فزعكم؛ لأن اضطرابكم كان سيعقد مهمتي.
أردف "هيبير" وهو يجفف جبينه بمنديله:

الحزب الملكي - يفضل الهرب من هذه الشورة التي بدأت في شباط (فبراير) عام ١٨٤٨، ومن النظام الذي سوف ينبع منها. بل أكثر من ذلك، لقد خاب ظنه عندما أحبط علما بنهاية المؤامرة التي كان مشتركا فيها. كان "هيبير" يهدف إلى اعتلاء آخر أفراد آل فالوا" أمير "أنجو" العرش. غير أن هذا الأخير لم يكن معروفا بالقدر الكافي من الشعب الباريسى؛ لأن منذ فترة من الزمن، وهذا الأخير هو الذي يضع ويرفع الملوك. بالإضافة إلى أن هذا الأمير كان غير كفيل باتخاذ قرارات حاسمة عندما تطلب الظروف ذلك.

كانت "إيزابيل" طوال الأسابيع الثمانية التي استغرقتها الرحلة - تحاول تخيل هذه الجزرية الاستوائية. مقابل ذلك كانت لا تفكر كثيرا في صديق عمها الذي عرفاه عن طريق الموثق. كانا قد حصلا منه على خطابين إن دل أسلوبهما فيدل على قرن مضى. الأمر الذي جعلهما يعتقدان أنه شخص مسن.

غير أنه كان شابا لا يتجاوز عمره عمر أخيها إلا بسنوات قليلة. كان الشاب جالسا في مواجهتها، ولقد تبدد الآن مزاجها السسي. حدثت "إيزابيل" نفسها بأنه من الصعب مقاومة ما تظهره نظرته من موجة تألف دافى. لقد شعرت بأنها سوف تتمكن بمؤازرته من تكييف ذاتها مع هذه الحياة الجديدة بالنسبة لها. اهتزت العربية وهي تمر على الحصى الذي يغطي الأرض:

- أتعشم لا تتألمين كثيرا من هذه الحرارة.
وكان "بوري" - أثناء تفوهه بهذه الكلمات - يفحص الفتاة بمزيد من الاهتمام. كان فستانها - وهو يعتبر آخر صبحة في دنيا الموضة في العاصمة - يبرز قوامها النحيف.

كما أن لون الحرير الرمادي كان يضفي نعومة ورقية على بشرتها. لقد انطبع حواسها. لقد ساءها أنه يعتبرها فتاة ضعيفة.

أردفت بذرة حادة:
- إني أتفهم مقاومة أكبر كثيرا مما تعتقد.
فجأة سمع صوت صيحات تدوى. مما دفع "بوري" إلى الالتفات،

الشعب الذي كان يرتعي تحت عجلات العربة. وتقريراً في الحال تجدها.
أما "إيزابيل" فقد ألت نفسها على مقعدها وهي تطلق زفيرها:
- أعتقد أننا نجيناها.

قال "هبير" حائراً، دهشاً لهذا الحادث الذي لم يدرك سببه:
- من كان هذا الشخص؟
أجاب "بورى"، وكان لا يزال شاكراً إلى السياج الذي خرج منه
الطفل:
- شاب زنجي!

قال ذلك وقد بدت على جبينه بعض التجاعيد، كما أن "إيزابيل"
لمحت في نظرته شعاع قلق.

قال "هبير" دهشاً:
- كيف تحكنا من عدم سحقه؟
- قد يساورني إحساس بأنه غير رأيه في اللحظة الأخيرة. أعتقد أن أنه
كان يرغب في الانتحار؟ هكذا سالت "إيزابيل" ثم ألت نظرة استجواب
إلى "بورى".

أجاب وهو يبحث عن الطفل بنظره:
- لا أعتقد ذلك.

وإذا بهذه الأخيرة يختفي بطريقة إعجازية، وكان المزروعات قد ابتلعته.
بصفة عامة، إن أهل هذا البلد لا يقدمون على الانتحار. بالإضافة إلى
أنه فشيء. هذا كما أني لا أعتقد أنه يسكن بين المزارع. هل تعلم من هو يا
"بسماريو"؟

ال الفت الزنجي المسن، وهو يحل رأسه علامه النفي وأجاب:
- عن نفسي لا أعرف يا سيد "بورى". قد يكون من "سان دينيس".
- أمر عجيب!

حيثند اتجهت كل الانتظار نحو "هبير". كان مسماً بباقاة جافة من
أعواد طولية بنية الللون ذات أسنان، تخبيط بكرز صنوبر مستدير كان
يفحصه باهتمام.
- أين وجدته؟

- بدونك..
قاطعه "بورى":
- دعنا من ذلك..

قال ذلك وحول نظره في حرج. فكان من "إيزابيل" أن قدرت تواضع
هذا الشاب.

أخذ هذا الأخير ينفض الغبار عن رداءه وهو يستطرد:
- يجب أن نعتاداً هذا المشهد. إنها أحداث بسيطة كثيرة ما تحدث
هنا.

لما تمالكت "إيزابيل" نفسها بعد هذا التاثير، حدثت ذاتها بأن فترة
إقامتها على الجزيرة لم تبدأ كما كانت تمني. وإذا بسحابة ضخمة تعتم
السماء فجأة في هذه اللحظة. وكانها تعمل على زيادة ما قد اعترى الفتاة
من كآبة. إلى أن عمل صوت جارها على انتزاعها من أفكارها الداخلية.

- لقد وصلنا تقريباً. مرحباً بكم في "بافيون"!
عزمت على طرد هذا الحزن الذي تولد عندها، وأن تنسى ما تشعر به
إلى عناء السفر.

كانت ترحب في التعرف بمسكنها الجديد بوجه مبتسماً. ها هي العربية
المكشوفة تعبير بوابة هائلة من الخشب. وهي الآن تسير على طريق خاص،
ممهدة بالحصى المصغوف باتفاقان، وكان على الجانبين، يفصلهما عن الحقول،
عشب منتق وسياج من النخيل المعمر يظلل الممر، وما جذب نظر
"إيزابيل" هو تقسيم المساحات الزراعية بأبعاد تكاد تكون هندسية. وما إن
احتازا السياج، حتى شعرت الفتاة بأن هناك أمراً غير طبيعي. لم تدرك في
الحال ما سوف يكون ذلك. ثم - في لمح البصر - لاحظت المشهد البادي
 أمامها. لقد تأثر "بورى" لما بدا على وجهها من ملامح الإدراك. كان يحول
رأسه في اللحظة التي أطلقت فيها صرخة فرع:

- إننا سوف نسحقه!
فكان رد الفعل عندها هو أن ترحب في أن تنهض لنجد المسمى الذي لفته
فيما بعد.
بعد إنذارها هذا عمل الحوذى على مساعدة الحصانين على تجنب

- إنها ثمرة مجففة لشجرة الصنوبر. وينمو منها الكثير.. ليس بعيداً عن الزراعة. وهذه الباقيات ذات رموز.
بدت الدهشة على وجه الفتاة.

غير أن الشاب - وقد حرص على الا يبتسم - واصل بصوت جعل نبرته خافتة:

- إنها تقي الناس من العين الشريرة.
حرست الفتاة على ألا تنطلق في الضحك إذ كانت غير مصدقة.
وواصل كلامه وهو يلاحظها ينظرانه:

نعم، لقد سمعت جيداً. إن الزنوج الذين يعيشون هنا، مازالوا محظوظين بمعتقداتهم التي يمزجونها باسس الديانة المسيحية التي تجمع الكهنة في إلقاءاتها في أذهانهم.

هـ الشـاب كـتـفيـه أـمـامـ الفتـاةـ :
ـ إـنـيـ أـجـهـلـ مـاـقـدـ سـرـدـ لـكـمـ عـنـ هـذـهـ الجـزـيرـةـ فـيـ "ـبـارـيسـ"ـ ،ـ لـكـنـيـ
ـ أـخـشـ أـنـ يـكـونـ بـعـدـاـ عـنـ الـحـقـيقـةـ .

كان لنبرة هذه الكلمات الأخيرة وقع السبات على إيزابيل. لذلك رفعت رأسها، وبنبرة قاطعة قالت في تحد:

ابتعدت العينان الخضراوان عن عينيها، لكي تتطلع إلى المنظر الريفي. عمل الشاب على التزام الصمت. و“إيزابيل” قررت ألا تدع له سبأي شكل - الفرصة لأن تكون كلمته هي الأخيرة. كما أنها لا تذكر أن هذا المشهد الذي تم حالياً، ترك عندها إحساساً بعدم الارتياح. غير أنها لن تعرف بذلك، خاصة أمام بوري.

كانت "إيزابيل" لا تدرك سبب هجومه هذا، علماً بأنه لم يعرّفها إلا منذ فترة وجيزة. كانت لا تطالب إلا بالإسلام بعادات هذا البلد لكي تخضع لها وتعمل بها أو على الأقل تقبلها.

ومع ذلك كانت الفتاة تعلم أنه يتمتع بكرم الأخلاق كما سبق أن أثبت ذلك. وكان كلما نظر إليها هذا الشاب مبتسمًا، كان كل كيانها يهتز، لسبب مجهول يصعب تفسيره. ولماذا كان لا بد له من أن يقطع

هكذا ساله "بورى" بمحفورة. رفع "هيبير" رأسه وقد فوجئ باللهجة التي استخدمها الشاب.

- هناك على أرضية العربية تحت قدمي "إيزابيل".
 أمسك "بورى" بالبائة، وإذا بشعاع غريب يلمع في عينيه وهو يتاملها. تساءلت الفتاة إن لم يكن هذا الشيء مالوفا له.
 ولما صمت، سالت:

- هل في إمكانك أن تفسر لنا معنى ذلك؟
رفع نحوها نظرة استجواب. بدا كأنه لم يسمع سؤالها. لقد تغلص
فكاه، وبدأ غارقا في حلم داخلي مؤلم.
ثم أردف:

- بتسليمكما هذه الباقة، إنما يرحب الطفل في منحوكما رسالة.
ثم توقف لأنه كان واضحًا أنه لا ينوي الإلقاء بأكثـر من ذلك. رغبت
إيزابيل في معرفة المزيد لأنها كانت حائرة.

- وهل نستطيع معرفة ما تحتوي عليه هذه الرسالة، أي ما هو مضمونها؟

أمعن "بوري" في النظر إلى عيني الفتاة، وانفجر بطريقة غير متوقعة:
 - وماذا تتوقعين العثور عليه بمحيطك إلى هذه الجزيرة النائية؟ إننا لستنا
 هنا في فرنسا، إننا في ملء المحيط الهندي، وغالبية السكان من الزنوج
 الذين جلبوها من إفريقيا منذ قرنين، حتى يكونوا عبيداً. إلا أن منذ شهر
 نيسان (أبريل)، ولابد أنك على علم بذلكـ الشورة قد قضت على
 العبودية. صدقيني.. إنه من الصعب تحميل أولئك الرجال والنسوة
 مسؤوليات، وجعلهم مستقلين. هذا الأمر يخلق مشاكل جسيمة خاصة
 أنه كثيراً ما يتسبب في نظم دائمة؛ لأن كل المزارعين بالإجماع غير مقتنيين
 بتحرير هذه اليد العاملة، لأنه يوجد بينهم من يرضى ضميرهم بالعقوبات
 اللا إنسانية.

استطردت إيزابيل وقد ساءها هذا التفسير الجاف الذي وجه إليها:
ـ كل هذا لا يفیدني.. ما الذي يمثله هذا الشيء؟

سما في اللحظة التالية. هذا السحر يمثل هذه المعلومات التي على ما يهدو أنه محتفظ بسرها؟

الفصل الثاني

مكثت إيزابيل صامتة من الدهشة التي سيطرت عليها عند رؤية المشهد الذي تراءى أمام عينيها. إن الموقع جذاب: غبضة رطبة حيث أشجار التمر الهندي وغيرها تلقي بظلاتها الهدامة عليها. كما أنه كان على جانبى المرء المؤدى إلى المنزل، صفا النخيل وأشجار الورد. كذلك كان الجدول الذى ينساب بطول المبنى يعمل على تلطيف الجو المعطر بروائح الزهور. كان المبنى ذا طراز استعماري، فهو عبارة عن جناحين على جانبى الواجهة. كان هناك دهليز مغطى ذو أعمدة يصل هذين الجناحين.

وكان الطابق الثاني يتميز بشرفة ذات أعمدة درابزين منحوتة بإنقان. أما على الجدران الحجرية فقد كانت توجد دعامات من الخشب المطلية باللون الأخضر الداكن. والسطح - وهو مدبب - كان مزداناً بدوارات الهواء متقدمة الصنع. توافت العربة وقدم بوري ذراعه لـ إيزابيل مقدماً لها إكرام هذا المسكن القديم:

- إن صمتكم أبلغ من أي كلمة.
في تأثيرها، لم تلمع الفتاة النظرة الثاقبة التي ألقاها إليها بوري. منذ لحظات:

- يجب أن أعلن أنى أسيء هذا المشهد. ما رأيك في ذلك يا هير؟
- رائع!
- لقد سرت لأنه حاز إعجابك. إن عملك شيد هذا المبنى فور وصوله إلى المجزيرة. ولقد حرصت على إعداد الجناج الأيسر لأجلك. أتعشم أن ينال رضاك. ها هي بيلونى.
حيثند دخلت زنجية في الخمسين من عمرها.. واصل الشاب كلامه بلهجته سيد المنزل:

- لا تترددى في طلبها إذا كنت في احتياج لا ي شيء كان. إن لها زماناً في خدمتنا، وفي وسعك وضع الثقة بها بصفتها رئيسة للخدم.
- لاحظت إيزابيل الإعجاب والحنان الباديين على وجه بيلونى عندما نظر إلى سيدتها الشاب. "لابد أنه كان طفلها" التنوونى عندما كان صغيراً. هكذا فكرت في هدوءه.
- الآن.. استاذنى للانصراف.
- وقيل أن ينتظر رد الفتاة، اتجه نحو الجناج الأيمن حيث يسكن. أردد "هير":
- أتركك الآن يا أختي الصغيرة للقيام بإعداد إقامتنا. إنك تعلمين كم أنت بـك. من جانبى، إنى متوجل القيام بجولة حول حدائق المنزل.
- وخرج بدوره في حماس دفع أخته إلى الابتسام. وكانت بيلونى تتقىدها وهي تندنن. أعجبت الفتاة بالآثار الشقيلة اللامع، ولاحظت وجود وسائل متعددة الألوان تعمل على إضافة لمسة جمال إلى هذا الآثار القديم.
- لقد وجد السيد "بورى" أن هذه الحجرة ستعجبك أكثر من غيرها لأنها تطل على البحر.
- عندما ألتقت إيزابيل نظرة شاردة من النافذة، حدثت نفسها بأن الشاب فكر في كل شيء بالتأكيد. اضطربت إلى الخضوع لفكرة أن الاحداث لا تكف عن جعلها تفكّر فيه. ياله من رجل غريب. يبدو مشيراً أحياناً، وفي لحظات أخرى يكون جداً جداً..
- لقد أحضر سينامايليه "حقائبكم. والآن سأعمل على ترتيب هذه الحاجيات في انتظار الحقائب الكبيرة.
- وبدأت بيلونى العمل وهي تغني. "كم أن أولئك الناس يستمتعون بروح المرح واللامبالاة". هكذا حدثت إيزابيل ذاتها وهي متوجهة نحو المرأة المتحركة الموجودة في إحدى زوايا حجرتها. كانت قد رفعت قبعتها وتأهبت لإعادة تصفيف شعرها، وإذا بها تشعر بتغيير في المناخ.
- تحققت بعد لحظات أن الحادمة كفت عن الغناء. لكن لم يكن سوى ذلك. ولما رفعت عينيها إلى المرأة، فوجئت بـ بيلونى في وضع عجيب.

نظرة هذه الأخيرة موجهة أعلى رأسها، إنما إلى شعرها. “لماذا؟ هكذا تساءلت في حيرة. لكن أولاً، من هذه السيدة؟ أنا لا أذكر أن عمي تزوج . انشعرت عندما شعرت بصوت ضعيف من خلفها. لما كانت إيزابيل ”غارة في أنفكارها لم تشعر بدخول خادمة صغيرة تحمل أواني فضية من المطبخ بعد أن قامت بتلميعها.

استفسرت إيزابيل :
— من هي؟

ابتسمت الصغيرة وهي تحبب :

— إنها السيدة ”الكسندرًا“ والدة السيد ”بورى“ .

لامت الفتاة نفسها على أنها لم تفكري بذلك. كان من البديهي. ثم سالت ببررة جعلتها عادية :

— كيف ماتت؟

لم تتوقع إيزابيل أن مثل هذا السؤال العادي سيكون له هذا التأثير في محدثتها. إن اتساع حدقتي يعني الزنجية الصغيرة من الفزع - وقد تسررت مكانها. تذكرة بما حدث قبل ذلك بثوان ي موقف أختها الكبرى. وكم ثبتت معادلة الشهدين، دخلت ”بيلوني“ الحجرة.

حينئذ ثمنت الزنجية الصغيرة ببعض الكلمات التي لا تكاد تسمع :
— ألم تنتهي بعد من مهمتك؟ أسرعي إلى المطبخ. إنهم في حاجة إليك.

وكانت الأخرى لا تنتظر إلا هذا الادعاء لكي تصرف. كان صوت ”بيلوني“ مرتاحاً. لقد بدا إيزابيل أنه ليس من الغريب إنما من الخوف، وكانت لائزلا واقفة أمام الصورة. واذ استنجدت السيدة المسنة سؤال الفتاة الصامت الذي لم تنطق به، قالت بصوت عملت على أن يكون واضحاً :

— كم كانت جميلة وطيبة السيدة ”الكسندرًا“ للاسف، لقد انتزعتها مني الحمى عند مولد السيد ”بورى“ !

وقد بدا عليها التأثر، حولت ”بيلوني“ وجهها، لكي تمسح دمعة، وغادرت المكان. كان تأثيرها صادقاً، غير أنه كان يبدو لـ إيزابيل أن ما نطق به من كلمات ليس سوى درس لقون لها. ما الذي يسعون إلى

كانت السيدة المسنة تقف جامدة في مكانها وعلى ذراعيها عمود من القمصان من قماش ناعم. كانت تبدو ممزقة بين الدهشة والخوف. كانت السيدة تحت تأثير هذه المشاعر إلى حد جعلها لا تشعر بـ ”إيزابيل“ عندما التفت فزعة تساملها. هكذا كانت ”بيلوني“ بلا حركة: الفم مفتوح، العينان مستديرتان. بحثت ”إيزابيل“ عن نظرتها ولم تلتقط بها. حاولت مشاهدة ما تتطلع إليه ”بيلوني“ على هذا النحو. اعتراها إحساس بأنه يوجد شيء ما أعلى رأسها. وهنا تنفست الفتاة. قد تكون إحدى الرؤى.

ثم في لهجة ثقة أردفت :

— لا تخافي. لا يوجد في هذه الحجرة سوانا، أو كذلك.
تعركت ”بيلوني“ فجأة، وكان صوت ”بيلوني“ قد قطع عليها سحراً كان يجعلها أسيرة الوضع الذي كانت عليه.

القت إلى الفتاة نظرة دهشة، وكانت لم تفهم معنى كلماتها. ثم ضمت الملابس إلى صدرها القوي بشدة. التفت واجهت نحو صوان الملابس وهي تعممت بكلمات غير مفهومة وهي تذكر اسم الله. ”لابد أنها اعتتقدت أنها رأت روحـاً هكذا حدثت ”إيزابيل“ ذاتها مبتسمةـ بيـدوـنـ بـورـيـ علىـ حقـ. إنـ أولـكـ النـاسـ عـلـىـ مـاـ يـبـدوـ بـدـائـيونـ لـكـنـ غـيرـ مؤـذـينـ.“

صففت خصلات الشعر الذهبية التي تكلل وجهها البيضاوي، وعزمت على اللحاق باخيها. وعندما وصلت إلى الصالون تمنت سراً :

— كم أنها جميلة.

أبدت هذه الملاحظة لأنها شاهدت صورة رائعة لفتاة في رداء أبيق بلون أزرق نيلي، وكانت هذه الجهرولة تبدو كأنها تبسم لها. حينئذ انتفضت ”إيزابيل“ : الوجه نحيف ذو ملامح صافية ومكمل بشعر ذهبي. ففهمت ”إيزابيل“ خلال لحظة واحدة كل ما حدث.

أردفت بصوت خافت :

— كم كنت غبية. الموقف منطقي وواضح.
واستعادت المشهد الذي تم في حجرتها. لم يكن شبحاً الذي أفرغ ”بيلوني“. إنه منظر خصلات شعرها الأشقر عندما رفعت قبعتها. لم تكن

"أنطوان دي سان فلوري" وصديقه "باليرو" كانوا قد التصقا في إقامة مقرية. هل كان ذلك من أجل وفاة "الكسنдра" الجميلة وقد كانت وفاة في ظروف غامضة؟

انتهت الوجبة، وكانت "إيزابيل" تتابع شاردة حديث الشابين. وكان أبرز ما به يدور حول الزراعة. على ما يبدو أن "بورى" شعر بحب شديد لهذا العقار وتعلق به. كان هذا واضحا من بقائه على هذه الأرض البعيدة. لقد كان في إمكانه العودة إلى "فرنسا"، مadam أنه ليست هناك أمراً يرتبط بها على هذه الجزيرة. تسائلت الفتاة إن لم يكن في قلبه إحساس آخر. ثم توجهوا إلى صالون آخر صغير مفتوح بالكامل على الحديقة. اتجهت "إيزابيل" نحو نافذة ووقفت تتأمل النجوم.

- هل أصب لك يا "هيبر" ، شراباً عتيقاً؟
- بكل سرور.

وإذا بصوت رقيق يسمع من خلفها:

- أعتقد يا "إيزابيل" أنك قد تفضلين شراباً آخر خفيفاً.
صمتت الفتاة برهة قبل أن تجيب، دون أن تلتفت:
- نعم، لا شك في ذلك.

لقد ارتبتك، لكنها كانت تحرض على الا يراها. كانت هذه هي المرة الأولى التي يناديها فيها باسمها. استسلمت لسكون هذه السهرة. أحسست في الظلام أنها سوف تحتاج إلى الدفاع عن نفسها. لكن ضد ماذا؟ هذا ما كانت وما زالت تجهله. لقد قررت اكتشاف الغموض الخفيط بـ"بورى" والذي تعتقد أنها قد استنتجته. أما "هيبر" فقد أطلق زفير ارتياح عندما جلس على أريكة وثيرة:

- ياله من عشاء للذيد! إن حياتكم هنا تبدو لي أفضل من التي نحياها في العاصمة.

- عدا العروض المسرحية، وهي التي سوف تفتقرون إليها حتماً عندما لا تتناول العشاء عند أحد جيراننا، فإننا ننهي سهرتنا هنا في هذا المكان، نشرب أثناءها الـ"فاهام" وهو الشاي المحلي هنا، أو أي شيء آخر. تضايق الفتاة بعض الشيء لما أشار إليه "بورى" ، وإن لم ينظر إليها.

إخفاؤه عنها؟ هل من شر يلحق بكل السيدات الشقراوات هنا في المزرعة؟ ترى كيف ماتت ذات النظرة الوديعة، المعتزة بنفسها؟ كفت عن التفكير عندما سمعت صوت أقدم في الدليل؛ لأنها كانت لا ترغب في أن يتلفت "بورى" -لو كان هو- إلى اهتماماتها بالأمر. عندما ولد "هيبر" الحجرة، كانت تتأمل زهرية رقيقة من الخزف موضوعة على المنضدة.

- إن هذه الحديقة تعد إحدى روائع الألوان والعلو! لقد عمل حماس الأخ الطبيعي على إعادة الاستقرار إلى "إيزابيل" ، فيبدت على محياها ابتسامة رضا. على الرغم من أن "هيبر" أخوها الأكبر، إلا أنها كثيراً ما كانت تدهش لتقبله الحياة بمثل هذه البساطة والسهولة. ودون أن تفكر في ذلك، قررت أن تخفي عنه ما كان في الواقع لأنه ليس سوى إحساس داخلي. سوف تناول لي الفرصة المناسبة للتحدث معه عندما تكون لدى أحداث واقعية أنقلها له. إنه حقاً شخص عقلاني!

ثم عملت على مداعبته وهي تهز خصلات شعرها الأشقر:

- هل ترغب في أن تصبح مهندساً زراعياً؟
- ولم لا؟ سوف يفيد ذلك في تنمية نشاطي الجديد للمزرعة.
وبذلك أفادت لهجة "هيبر" المازحة في إعادة "إيزابيل" إلى صفوها ومرحبيها:
- أعتقد أنه يجب أن نستعد لتناول وجبة العشاء، التي سوف تقدم لنا بعد قليل، وهانا آمota جوعاً.

وبعد لحظات قليلة، لحت الفتاة بحجرة الطعام، بعد أن ارتدت فستاناً واسعاً من المسلمين الأبيض. وما لاحته في عيني "بورى" من نظرات إعجاب، أكد لها أن فستانها يظهر قوامها التحيف الرشيق. ومن جانبها، لم تغفل عن الإعجاب بسحر هذا الشاب. كانت بدلته الكاملة السوداء التي يرتديها في السهرات تضفي جمالاً على عينيه الفاتحين. جلساً أمام المائدة، وكانت معدة بطريقة رائعة تكريماً لهم. ولقد جذب انتباه "إيزابيل" الرمز الموجود على أدوات المائدة. إنه ليس الرقم الخاص بعمي.

وعندما تفحصته، رأت أن الحرف A محاطاً بـB وبـP بذلك بدا لها أن

أخبرتك يأتي لست ضمن فئة النساء الضعيفات.
وكان في الواقع صوتها يبدو مرتجفاً، أجابها بشيء من التهكم، أثارها:
- في الواقع أعتقد ذلك.

ثم أبدى ابتسامة صغيرة ختماً لكلماته. "في الواقع أنا أضايقه - هكذا
فكرت - لقد أتيت لكي أزعج عاداته المألوفة لشاب كبير. إنه لا يرغب في
وجود فتاة ولا ما تحمله من تعقيد للأمور. هذا بالتأكيد ما يتفكير فيه.
حسناً، سأظهر له أن الحال ليس كذلك معي. على أي حال، أنا هنا في
منزلي ولست عذراً".

استمر الشاب بنبرات أكثر جدية، وكان ينظر أمامه إلى نقطة واضحة،
إن لم يكن قد فزع مما كانت تصدره عيناً "إيزابيل" من شعاع:
- ليس الطقس وحده هو الذي سوف تعانينه على الجريمة. إذ إن في
حادث الباقية - في فترة بعد الظهر - إنذاراً كافياً.

قذفته في شيء من الهراء:

- لا أظنك تثق بمثل هذه الاعتقادات؟
وإذا به ينهض ويتجول بالطفل وبالعرض مثبتاً نظره إلى الأرضية، الأمر
الذي كان يزيد في إثارة "إيزابيل". توقف فجأة، رفع رأسه وسعى إلى لقاء
نظارات الفتاة. قال:
- ليس هذا المقصود.

كان صوته جافاً. استطرد بنبرة أخرى:
- إنك لا تعرفين أولئك الناس ولا مداركهم. إنهم ليسوا من جنسنا،
وعاداتهم تختلف تماماً عن عاداتنا، ولا يتمتعون بنفس التفكير الذي لنا،
ولا التعلق الذي نحن عليه، كما أنك لن تتمكنين من توقع ما قد يحدث
عندهم من رد فعل.

وإذا بها تجيب:

- أعدك بأن أكون دائماً متنبهة.

ثم ندمت في الحال على النبرة الهادئة التي استخدمتها في ردّها عليه،
وكان "بوري" يبدو ثائراً. إنها غلطته، هو الذي يشيرني. إنه يرى فيي
طفلاً، ويقوم بدور الأب الحامي. باي حق؟

ترى هل يعتبرها إحدى الفتيات الطالبات، من يقضين الوقت في التردد
على حفلات الرقص والمسرحيات؟ وإذا به "هبير" يستطرد، عاماً بذلك على
الحيلولة دون ما كانت ستقدّف به "إيزابيل" الشاب إزاء تلك الفكرة.
قال:

- ترى يا عزيزي "بوري" ، هل أنت من عشاق السيجار؟
- أعتقد أن في إمكانني الرد بالإيجاب.
- في هذه الحالة، سأتوجه لإحضار بعض الأصناف التي أحضرتها
معي. إنها مستوردة من كرويا، وعليك أن تعطيكي رأيك فيها.
وعندما خرج "هبير" ، الثفت "بوري" في الحال إلى "إيزابيل". سالها:
- ماذا كان أول انطباع لك؟
كانت تبرتته مشجعة. دهشة لكونه أولى أهمية للأخذ برأيها. فأجبت
بكل صراحة:

- أعتقد أنني سوف أحب الحياة هنا.
أخذ يشتت نظره على الكأس التي بين يديه وهي من الكريستال
المنحوت، كان يتنتظر إلى أن يفقد الشراب برودته.
ووصلت:

- إنني متوجلة للتعرف بتوسيع بهذا البلد والساكنين فيه. إن كل هذا
جديد وشائق بالنسبة لي.
- إن حياتنا هنا ليست بالبساطة التي تعتقدينها. أولاً ليس من السهل
احتمال حالة الطقس، عندما لا يكون المرء من موايد المدن الاستوائية، لأن
حرارة ورطوبة فصل الصيف عندنا مؤلمتين جداً.

كان يتفحصها بنظرة قاسية. وها هو يعمل على الإمعان في النظر،
حتى إنها شعرت وكأنه يسعى إلى قراءة ما يقللها. هذا كان هدفه. شعرت
بالثورة تسللها. "كم كنت ساذجة، عندما صدقت أنه مهمٌّ برأيي. لقد
وقعت في فخه. لقد دفعني إلى التعلق بما كان يرغب فيه. والآن، عليه أن
يحصل على الدرس المستفاد. ما الذي يسعى إليه بالضبط؟" عملت على
المسيطرة على غضبها، واستطردت بنبرة جعلتها جافة على قدر استطاعتها:
- إنني واثقة بأنني سأتمكن من احتمال كل شيء. أعتقد أنه سبق أن

أردف:

- من تعتبرين نفسك؟ إنك تدعين معرفة كل شيء، وليس لك إقامة هنا أكثر من يوم. كدت تكونين ضحية حادثة. كنت موضوعاً.. حدث. ثم توقف، كان شاحباً وكان صوته مرتخفاً من الثورة.

- لو كنت اختي، لا ودعتك أول سفينة متوجهة إلى "لاروشيل".

تحمّحت "إيزابيل" في السيطرة على غضبها. كانت معترضة على معاملته لها على هذا النحو، بينما هو يعرفها منذ فترة وجيزة. لذلك استطعديت في هدوء وثبات:

- لكن، أنا لست اختك. سامكت هنا سواء كان ذلك برضاك أم لا، لأن "هبير" لن يعيديني أبداً إلى فرنسا، إن لم أرغب أنا ذاتي في ذلك. وعلى أي حال، عليك أن تتحملني.

نفلصن فكا الشاب وأردف:

- حسناً جداً.

بدأ كأنه قد خرج من صوابه، وأخذ يجول في المكان بخطى واسعة. ثم أخفى رأسه وشبك يديه على ظهره واستطرد:

- لقد أخطركت ولا تأتي بعد ذلك بالشكوى. ومنذ هذه اللحظة، أنا خالي المسؤولية عما قد يحدث لك.

فما كان منها إلا أن أجايتها وابتسمة الظفر والساخرية على شفتيها:

- لقد سجلت ذلك. لا تخش شيئاً. اطمئن، لن أطلب منك العون أبداً.

قالت "إيزابيل" هذا، ثم نهضت وانجذبت في الحال إلى الباب. وقيل أن تعبره أفت نظرة سريعة إلى الشاب.

كان جاماً لا يتحرك، غارقاً في تأمل الحديقة وهو يدير لها ظهره. ياله من شخص فظ، سمح! لم أر فقط رجلاً غير مهذب مثله.. هكذا فكرت. التقت به "هبير" أعلى السلالم. سالها بلهجة مرحة:

- ما الذي يحدث يا اختي الصغيرة؟ يبدو أنك ثائرة! ترى هل غازلك صديقنا؟

- هذا لا يدخل في الموضوع.

وأمام استجوابه الصامت، أردف:

- اطلب منه أن يسرد لك ما حدث. ربما يخبرك به إن لم يخجل من سلوكه.

ثم دخلت حجرتها تاركة "هبير" حائراً.

لم يسبق له رؤية "إيزابيل" اخته الصغيرة، الوديعة في مثل هذه الحالة.

لابد أن الأمر ذو خطورة حتى إنها تخرج من تحفظها المعتاد.

وبعد أن أغلقت "إيزابيل" الباب استندت إلى مصراعه.

"يا إلهي! هكذا تنهدت. كيف يحدث أن يكون المرء بمثل هذه الشراسة؟ ما الذي فعلته حتى يعاملني هكذا؟ يعتريني إحساس بأن رأيه سيء بالنسبة للنساء. وإنني أتساءل لماذا؟ يبدو أنه يكرههن جميعاً. لغير آخر ينبعي أن أكتشفه. لذلك علي أن أقاوم، لكنني مثبتة له أنه في إمكانني الحياة هنا وبدون معونته". ثم انفرجت ملامحها المتقلصة تدريجياً بعد اتخاذها لهذا القرار.

الفصل الثالث

- آه! ما الذي حدث يا آنسة؟ لقد أخبرني "بيماهو" بأنه كانت هناك حادثة.

كانت الصغيرة "كال" قد دخلت منذ قليل حجرة "إيزابيل" وهي تلهث. القت "إيزابيل" نظرة عطف إلى وجه الخادمة الزنجية التي تقوم لها بدور الوصيفة. فكرة أخرى من "بوري": لقد فكر في أنها قد تفضل أن تخدم شابة، مرحمة، حتى يكون في استطاعتتها تشكيلها حسبما أرادت.

- لا تقليقي يا "كال". هانا هنا في حالة جيدة جداً.

غير أن "كال" كانت تبدي ازعاجها على الرغم من ذلك.

- لكن ما الذي حدث؟

ابتسمت الفتاة، وقد تأثرت لتعلق الصغيرة بها، علمًا بأنها لم تخدمها إلا منذ فترة قليلة، لأنهما في الواقع - لم يصلوا إلا منذ أسبوع واحد.

- أهديني يا "كال". لم يحدث شيء بالمرة. "بيماهو" يبالغ. إنها

لبيت حادثة، مجرد حادث بسيط.

فهمت أن "كال" سوف تلع إلى أن تسرد لها بالتفصيل كل ما حدث طوال الفترة الصباحية، لذلك سررت لها القصة. وبينما كانت تتكلم من أجل "كال"، كانت تستعيد ذكرى رحيلهما، قبل ذلك ببعض ساعات إلى كاتدرائية "سان-دينيس"، إذ كان ينبغي أن يحضرها قداس عيد جميع القدسين الذي يقيمها الأب المطران "أوبري"، وكانت قد ارتدت لهذه المناسبة فستانا لأنقا، ووضعت على رأسها قبعة من القش تغطي كل وجهها في دعابة.

وكان "بوري" قد أيد مظهرها في صمت. كما أن الانتقال في المركبة - وهي من الخشب الفاخر - ذات الوسائل الحريرية بلون الخوخ، بدا لها رحلة ممتعة. كما أن "بوري" لم يغفل عن أن يسرد لهما تاريخ هذه الكنيسة:

- كانت هذه الكنيسة قد شيدت بواسطة أول سكان هذه الجزيرة، ولقد حرق تلث مرات. وفي الحال كان يتم إعادة تشييدها من جديد بالخشب، وهو ما يمنحها هذا السحر لأنها متواضعة إلى حد ما. وعند الخروج من الخدمة، ملأت فناء الكنيسة الشامي المتعددة الألوان، متعارضة مع اللوان أزياء الرجال ذات الألوان الداكنة. وصلت "إيزابيل" - وهي برفقة "بوري" و "هيبر" - إلى عربتهم. وإذا بعتصول عجوز يتجلو بين الجميع. وكانت الأسمال التي يرتديها تظهر تحفته وعظامه. كان مسكا بقبعة بلا شكل ولا لون، يطلب صدقة من الجميع. وكان وجهه - الذي تعلوه التجاعيد مثل تقاحة قديمة - يعلوه شعر أبيض مجعد. وفجأة - وبلا مبرر واضح - اندفع نحو "إيزابيل". غير أن الفتاة لم تره مقبلًا عليها. وعندما تواجد أمامها، انتصب رافعا ذراعيه إلى السماء. وكان في الواقع ذا هامة فارعة. حينئذ تسمرت "إيزابيل" في مكانها عندما شاهدته. من شدة فزعها، شعرت وكان العبد العجوز خرج من الأرض، لأنه انتصب فجأة. أما عيناه المستديرتان فكانتا تحركان في محجريهما. ظلت الفتاة جامدة لبعض ثوان، ثم تراجعت بحاستها. وفي الحال تواجد "بوري" إلى جانبها. أمسك بها لكي يدفع بها بين ذراعي "هيبر" الذي نقدم هو أيضًا.

اقشعرت الفتاة بغير لمسة أصابع الشاب من خلال كمها. دام ذلك لحظة لا غير، لأنه اندفع نحو الزنجي. أمسك به من ياقته ودفعه بعنف. لم يحاول الرجل المسن أن يدافع عن نفسه وإن كان يريد قوري. كان يتمتم في بساطة بكلمات بدلت **إيزابيل** خالية من المعنى:

- إلهي .. إلهي. لقد عادت بيتنا. سوف تنقذ، نعم تنقذ. يجب الاحتفاظ بها، الاحتفاظ بها جيدا. استمر "بوري" في ملاحته إلى أن أجبره على الهرب. ترجم الرجل العجوز وكاد يطرح أرضا. يبدو أن ما بدا على وجه "بوري" من ملامح شرسة قد أفرزته؛ لأن هرب وهو يضم بعنابة إلى صدره قبعة القديمة المحتوية على بعض العملات المالية الصغيرة. وأنباء ما كان يبتعد، كان "بوري" يحثه بصوت قوي:

- ابتعد على قدر استطاعتك! على الأراك أبدا تخوم حولنا! هل تسمعني أيها العجوز الساحر؟

وتابع بنظره شبح الرجل وهو يختفي خلف أحد المنازل. وعندما التفت لكي يلحق بالأخ وأخته وجدهما متجدين في مكانهما. وإذا بذراع "هيبر" تحيط بكتفي الفتاة في حركة حماية. في خطوتين تواجد بالقرب منهما. على ما يبدو أنهما لم يدركا سبب تصرف "بوري" على هذا النحو بمثل هذا العنف. سالهما في الحال:

- ألم يsei إليكم؟

ولما كانت "إيزابيل" مازالت متاثرة بما عانته، لم تقدر إلا على الإشارة براوها علامة للنفي. كان لتصرف الشاب تأثير قوي فيها. كان بتصوفاته هذه يبدي اهتماما غير متوقع نحوها، لكنه كان يظهر دائمًا عنيفًا. ابتعدت عن أخيها وتفرست في "بوري". عندما كانت تسرد المشهد لـ"كال" ، كانت لائزلا متاثرة بذكرى جمال وجه الشاب الأسود في هذه اللحظة. كان يبدو أنه يحدث نفسه لأنه كان قد خرج من صوابه:

- ومع ذلك، كنت قد أمرته بالا يظهر أمامي مرة أخرى.

كانت قسمات وجهه متقلصة، والشرر ينطلي من عينيه. وكانت "إيزابيل" عاجزة عن إدراك السر في ذلك.

- لماذا أراك متحالما عليه إلى هذا الحد؟ لم يكن هناك ما يدعوه إلى أن

ذراعه، لكي تصعد إلى العربة. ظهرت بانها لم تره، وتقدمت مرفوعة الرأس، دون أن تنظر إليه. كانت تحاول إظهار كل السخرية التي تقدر عليها، ثم ساد صمت رهيب في العربة. وكانت "إيزابيل" تعمل على التطلع إلى المنظر الريفي. أما "بورى" فكان لا يبعد نظره عن يديه المتشابكتين. كان يضمهمما بشدة إلى حد يجعل أربطتهما تأخذ لونا أبيض. ومن جانبه كان "هبير" -دهشاً- يتفرس تارة في اخته وتارة أخرى في صديقه الجديد. لم يسبق له رؤية اخته تقاوم شخصاً قبل الآن بمثل هذا العنف.

- لابد أن الآنسة شعرت بالخوف.

بعد أن أنهت "إيزابيل" سردها للأمر، شعرت بالحزن الذي أثاره تصرف "بورى" فيها. إن تفكير الصغيرة "كال" جعلها تتساءل: هل إنها حقاً خافت؟ لا. ربما لأنها لم تجد الوقت الكافي، لأن الأمور مرت بسرعة مذهلة. ما شعرت به فعلاً كان مجرد دهشة.

وكانـت تشعر بحاستها أن هذا الزنجي ليس خطيراً. كما أنها تسأـلت عن السبب الذي يجعل "بورى" يرـغـب في إبعـادـها عنـهـمـ.

- أخبرـينـي يا "كـالـ" ، ماـذـا يـوـجـد خـلـفـ الحـائـطـ الأـبـيـضـ، عـنـ الدـرـوجـ منـ المـدـيـنـةـ بالـضـيـبـطـ؟

- إنـهاـ المـدـافـنـ.

لم تكن "إيزابيل" متوقـعةـ ذلكـ. تـرـدـدتـ بعضـ الشـوـانـيـ قـبـلـ انـ تـواـصـلـ:

- وهـلـ دـفـنـ فـيـهاـ أـحـدـ سـكـانـ المـزارـعـ؟

وـهـاـ هيـ إـجـاـبـةـ الخـادـمـةـ الصـغـيـرـةـ توـضـعـ كـلـ شـيـءـ لـ"إـيزـابـيلـ" :

- بـالـتـاكـيدـ، السـيـدـةـ "الـكـسـنـدـرـاـ" وـالـسـيـدـ "أـنـدـرـيـانـ".

وبـعـدـ صـلـةـ الـقـدـاسـ، عـنـدـمـاـ أـوـقـفـ "بورـىـ" عـرـبـتهـماـ عـلـىـ طـرـيقـ العـودـةـ،

لم يـدـعـ "سانـ فـلـورـيـ" لـ"المـجـيـ" معـهـ. قالـ بـصـوـتـ عـادـيـ:

- تـوقـفـ يـاـ "بـيـماـهـوـ". المـعـذـرـةـ لـنـ آـنـاـخـرـ.

ثـمـ اـخـتـفـىـ خـلـفـ الـحـائـطـ الـأـبـيـضـ الـكـبـيـرـ.

حيـنـذـ شـعـرـتـ "إـيزـابـيلـ" بـالـرـغـبـةـ فـيـ مـعـرـفـةـ إـلـىـ أـبـنـ اـنـجـهـ، لـأـنـهـ لـمـ يـغـيـبـ سـوـيـ عـدـةـ دـقـائقـ. وـلـمـ تـجـرـؤـ عـلـىـ سـؤـالـ "بـيـماـهـوـ" ، لـأـنـهـ كـانـ تـرـغـبـ فـيـ أـنـ

تعـنـفـهـ هـكـذاـ. إـنـهـ لـمـ يـسـئـ إـلـيـ عـلـىـ الـإـطـلاقـ. غـاـيـةـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ، لـقـدـ تـقـدـمـ إـلـيـ طـالـبـاـ الـإـحـسـانـ.

قـسـتـ الـعـيـنـانـ الـخـضـرـاوـانـ. وـأـحـسـتـ الـفـتـاةـ بـالـضـيقـ يـتـزـاـيدـ عـنـدـهـ، إـنـهـ تـصـرـفـ هـكـذاـ لـأـنـ أـجـلـ حـمـاـيـتـهـاـ، إـنـماـ غـيـرـهـ أـنـهـ تـجـرـأـ وـخـالـفـهـ. أـيـ رـجـلـ هوـ إـذـنـ؟

- إـنـكـ وـحـشـ، مـجـرـدـ مـنـ الشـفـقـةـ.

أـغـلـقـتـ الـفـتـاةـ مـظـلـتـهـاـ بـحـرـكـةـ عـصـبـيـةـ.

شـعـرـتـ كـانـ نـظـرـاتـ الشـابـ تـخـتـرـقـهـاـ.

- عـلـيـكـ أـنـ تـسـخـذـيـ الـخـدـرـ يـاـ آـنـسـةـ "دـيـ سـانـ فـلـورـيـ" ، لـأـنـكـ تـعـرـضـينـ نـفـسـكـ لـلـخـطـرـ.

كـانـ يـدـعـيـ أـنـهـ يـمـنـحـهـاـ درـوـسـ فـيـ آـدـابـ السـلـوكـ. لـذـلـكـ تـلـكـ الـغـضـبـ الـفـتـاةـ.

- مـنـ تـعـتـبـرـنـيـ يـاـ سـيـدـ "بـالـمـيـروـ"؟

لـمـ يـتـوـقـعـ "هـبـيرـ" قـطـ أـنـ أـخـتـهـ كـفـيـلـةـ بـهـذـاـ العـنـادـ قـبـالـةـ "بورـىـ" . كـانـاـ وـاقـفـنـ الـوـاحـدـ أـمـاـ الـآـخـرـ، وـالـتـحدـيـ يـادـ فـيـ نـظـرـاهـمـاـ:

- بـالـنـسـبـةـ لـشـخـصـ يـدـرـيـ مـاـ يـقـومـ بـهـ، لـنـ تـسـتـطـعـيـ فـهـمـ شـيءـ.

أـثـارـتـ لـهـجـتـهـ هـذـهـ "إـيزـابـيلـ" :

- وـلـمـاـذـ لـأـسـتـطـعـ ذـلـكـ؟

مـرـةـ أـخـرىـ رـفـضـتـ مـنـحـهـ فـرـصـةـ الـإـحـسـانـ بـالـأـنـتـصـارـ.

- لـأـنـكـ مـازـلـتـ تـجـهـلـينـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـمـورـ.

"إـنـهـ بـالـتـاكـيدـ هـذـهـ جـاءـ تـفـكـيرـ "إـيزـابـيلـ"ـ سـيـجـعـلـنـيـ أـشـعـرـ دـائـماـ بـاـنـيـ غـرـبـةـ هـنـاـ". فـمـاـ كـانـ مـنـهـاـ إـلـاـ أـنـ اـسـتـخـدـمـ دـبـلـوـمـاسـيـتـهـاـ، وـقـالـتـ بـنـيـةـ تـبـرـعـ عـنـ الـمـصالـحةـ:

- لـمـ يـغـرـبـ مـنـ هـوـ كـفـيلـ بـتـلـقـيـنـهـاـ إـيـمـاـيـ.

فـكـانـ إـجـاـبـةـ مـخـتـصـرـةـ وـلـاذـعـةـ:

- لـأـ جـدـالـ فـيـ ذـلـكـ.

عـلـتـ الـحـمـرـةـ وـجـهـ "إـيزـابـيلـ"ـ إـزـاءـ هـذـهـ الـإـسـاءـةـ. لـقـدـ اـعـتـبـرـتـهـاـ سـبـاـ. وـكـمـنـ يـرـغـبـ فـيـ أـنـ يـفـهـمـهـاـ أـنـ الـمـنـاقـشـةـ لـأـنـدـلـعـ فـيـ الـعـامـلـةـ، قـدـمـ لـهـاـ

نحو الباب لأنها اعتقدت أنه ربما يكون أحدهم قد فتح الباب دون أن تسمعه، وأخذ ينظر إليها. دهشت عندما وجدت الباب مغلقاً. مسحت الحجرة بمنظرها. لا أحد بالحجرة غيرها. انجهت -دون أن تصدر صوتاً- إلى باب النافذة ملقة نظرة دائمة إلى الحديقة. ليس، هناك أحد.

- أشعر بآني عصبية جداً. لابد أنه بسبب حادث هذا الصباح.
حاولت أن تتحقق من الأمور. أعادت وضع الكتاب، وتناولت كتاباً آخر غيره، تصفحتها على عجل بحثاً عن موضوع يشد انتباها. لكن جاء ذلك هباء. الضيق مازال يلازمها. كانت "إيزابيل" واثقة بأنها مراقبة، وبأنها موضع التجسس. حاولت الاحتفاظ بهدوئها. وجب الا تلتفت إلى ذلك.. إلى هذا الذي أو تلك التي تراقبها. كما أنه عليهما الا تستسلم للخوف - بلا داع- الذي تملكتها. ينبغي أن تكث باللحارة قليلاً لكي تستثنج من أين يمكن التجسس عليها. أخذت يدها ترتجف بخفة أثناء إعادتها الكتب على الأرفف. ظهرت بانها تبحث عن غيرها. وفي الحقيقة كانت عيناها تلمحان أبسط تفصيل عن الأرفف، وهي تأمل العثور على شيء ما. لكن ماذا بالضبط فهي لا تعرفه مع ذلك. من الذي يستطيع أن ينظر إليها هكذا؟! أبعدت الفتاة عنها فكرة أنه قد يكون "بوري". لم يسبق لها قط أن شعرت بمثل هذا الضيق عندما ينظر إليها هذا الشاب حتى عندما يختلفان في الرأي أو يختلفان. إذن من هو؟ لقد ظل السؤال المؤلم بلا إجابة.

اتجهت "إيزابيل" فجأة نحو الباب، حاملة الكتاب الأول الذي وقع تحت يدها.

لا يمكنني البقاء لحظة واحدة أكثر من ذلك في هذه الغرفة تحت هذه
النظرة المحبولة. بحث أن أخرج جثماً.

واما مكنت من القيام به - وهو أمر طبيعي - هو أن تفتح الباب وتخرج.
وفور تواجدها في الدهلiz، أغلقت المصارع وتنفست بعمق. مكثت جامدة
لبعض ثوان حتى تستعيد صفاء ذهنها. وبينما هي تناهُب للصعود إلى
حجرتها، فإذا بها تسمع صوت هير متوجها إلى "بيلوني".
سالت أخاهَا:

يستقبله نفس الصمت عند عودته. كما أنها شكرت "هبير" ذهنياً لأنها لم يسع إلى التحدث معه. لابد أنه تراجع عندما شاهد ما بذا عليه من ضيق، الآن، كل شيء أصبح معروفاً بداعه. لقد توجه -في ذلك اليوم- يوم عيد جحيم القديسين لزيارة والديه.

- وعی، آین دفن؟

- لا.. لقد دفون عند المزادع.

عندما شاهدت الصحف الدهشة بادعة على إنها مسلمة

کاظمیان

— قب مدد پکام علی طلبہ۔

ـ دعوني استريح قليلاً الآن يا قال قبل تناول العداء.
 كانت إيزابيل تعاني حالة ارتباك شديدة، لكنها كانت ترغب في التفكير قليلاً في أحداث الفترة الصباحية. لقد تأثرت عندما رأت بوري وقد عاد إلى هدوئه بعد خروجه من المدافن. كما أن الحزن كان يادياً على عينيه. تسائلت إيزابيل حينئذ كيف أنه قادر في مثل هذا الوقت على الإحساس بمشاعر مضادة. إن ردود الفعل عنده كانت تربك إيزابيل. قالت بصوت غير مسموع:

- لكنني لا أدرى لماذا أهتم بهذا المقدار بحالة شخص غير اجتماعي. ومع كل، فلبني فكر فيما يشاء وليحتفظ باسراراه. ساجيد التصرف بدون معرفته.

ثم نهضت الفتاة، وبخطى واثقة اتجهت نحو المكتبة لتناول كتاب. كانت هذه الحجرة الملبيّة بالكتب تقع في الطابق الأرضي للمنزل. كانت إيزابيل تشعر بمعنوية عظيمة عند قضاء بعض لحظات وسط هذه الاختيارات الداكنة اللون. إنها تحب رائحة هذا الجلد المنبعث منها، كما أن هذا المناخ الدافئ ساعدتها على استعادة هدوئها. وأخذت تتجول أمام الرفوف بحثاً عن عنوان. توقفت فجأة، وكانت تشعر بشيء من الضيق منذ بضع دقائق، وكانت غير قادرة على تحليل ما يتسبب لها في ذلك. تناولت كتاباً عن أحد الرفوف، ففتحته محاولة أن تتصفحه. عجزت عن التركيز فيما قرأه. إذ كان يبدو لها أن حالة عدم الارتياب ما زالت باقية، بل ربما تزداد شدة، حتى، إن إيزابيل، أدركت معناها. إنها تشعر بأنها مراهقة. التفتت

- هل كنت تبحث عنِي؟

-نعم يا إيزابيلا، ينفع، أن أتحدث معك.

- هما بنا الى مخدعه -

صعدا درجات السلم في صمت. لقد بدا لها أن صوت أخيها مشدود، وعندما ولجا هذا الصندوق الذي منستان الفيروزي والذي هو مخدح إيزابيل، أغلقت هذه الأخيرة الباب بعنابة. جلست على مقعد مكسو بالحرير البني. أتجه هبّير إلى النافذة وأخذ ينظر بطريقة آكية إلى الحديقة.

- ماذا يك يا هيس ؟ إنك تندو مشغلا ؟

- يجب أن أعترف بأنّي، أشعر بالضيق إلى حد ما.

كان "هير" قد اجتاز الحجرة، وهو هو الآن واقف في مواجهة "إيزابيل". ظل واقفاً، مستنداً بخفة إلى "فيترینه" من خشب الورد. أما الفتاة فكانت حائرة.

- لقد اصطحبني "بورى" في نهاية الفترة الصباحية بناء على طلبي -
للقیام بجولة حول المزارع على ظهر الخيل .
رغم إلى "لبرابيل" نظرية ثلاثة .

- لقد سالتة عن الارضي التي يمتلكها اعمي . لأننا في النهاية لا نعرف الكثير عن مدى العلاقة التي تربطه بوالد "بورى" . بدا كأنه لم يسمع سؤالي . ولما كررته على مسامعه ، أجاب قسراً . وهكذا أخبرني بأن عمي يمتلك جزءاً من هذه المزارع ، لكن دون تحديد مساحتها . وهو يدعى أنه من الصعب تحديد نصيب عمنا بالضبط ، وكان يبدو أنه لا يرغب في منحني المزيد من التفاصيل ، كما أضاف أنه على أي حال لا أهمية لذلك . فهو يقول إن الأموال كثيرة بقدر يسمح لنا جميعاً بالحصول على حياة رغدة . لست أدرى ماذا اعتقاد في ذلك ؟

لم تُحب إيزابيل أخاها في الحال، ها هي مرة أخرى ارتكبت لما يصدر عن بوري من تصرفات. ترى ما معنى ذلك؟ إنها تدرك أن الشاب يتمتع بذراوة وشرف لا يسمحان له بادعاء أن العم لا يمتلك شيئاً. إذن لماذا يتهرب من الأسئلة؟ شعرت بأن أخاها له نفس الفكرة التي لها، عندما تلاقت

- ۳۴ -

- وما يدعو للدهشة، أنه لم يذكر "بوري" في وصيته.

- ومع ذلك، هو الذي أرسل هذه الوثيقة إلى المؤمن، بناء على رغبة عمنا، دون علمه.

شعرت "إيزابيل" بان الغموض أخذ يشتد كلما امتدت الأسئلة.
كانت تحاول فهم الموقف. واصل "هيبير" بنبرة جافة لم تعرفها أخته إلا في
الظروف الصعبة:

- أنا لا أجرؤ على توجيه السؤال بالأسلوب مباشر إلى "بوري" ، ومن جانب آخر سيكون موقفنا ضعيفا جدا إذا كانت هذه الأراضي الزراعية ليست من أملاكنا أو ، كادت تكون هكذا.

أدركت الفتاة ما يتمتع به أخوها من كرامة. لذلك هزت رأسها علامه للتأييد.

- فقط، إننا لا نستطيع العودة إلى "فرنسا" حالياً.
هكذا واصلت.

- كما أن حالتنا الاقتصادية لا تسمح لنا بامتلاك مزرعة أخرى على الجزيرة.

وهكذا، تناول كلامها المشكلة من كل جوانبها. مكتا صامتين لبعض لحظات. وكان أول من استطرد هو، *أبي ابراهيم* :

- يجب حتماً أن نعلم إلى أي شيء نهدف؟
- أخشى أن يكمن ذلك صعباً.

ثم اتجه نحوها، محاولاً الابتسام.

- أطلب منك العفو يا أختي الصغيرة لأنني تسببت لك في ضيق بكل هذه المسائل، لكن إذا علمت الجديد في الأمور، فأخبريني حتى تتدبر معاً ما سوف نقوم به. خاصة لا تشغلي بالك كثيراً. ضعي ثقتك بي. تأكدي أننا في النهاية سنتغلب كالمعتاد.

يظهر تفاصيل قوامها. التفت نحو "هير" وأعلن:
- أستاذتك الآن، لأن لدى مراسلات لا بد لي من إتمامها قبل العشاء.
وفي نهاية جملته، كان قد اتجه نحو الباب متوجهاً ملائكة عيني
"إيزايل" المشتبه عليه.

هكذا كانت تبدو أنها تتحداه. "ربما يفكر في سلوكه، ويكتشف أنه تصرف معه بكل فظاظة!" هكذا حدثت نفسها وهي تشعر بالانتصار. غير أنه لن يعترف لنفسه بذلك لانه متكبر جداً. لن يرغب في تقديم أي عبارة اعتذار أو اسف. يجب عليه أن يتأكد أنني لن أهنته على مهمته! وأنباء ما كانت تلاحق -هكذا- "بورى" بنظرها، كان آخرها ينطلي إليها وفي عينيه شعاع مرح. ليس نظراً للطريقة التي تركني بها، خاصة أنها كانت نقاش أمر الزراعة التي تسيطر على كيانه، لقد انصرف في اللحظة التي وصلت فيها "إيزابيل" بالضبط. والآن اختي الصغيرة، الوديعة أشبه بافعى متاهبة للدغ. يالها من مسرحية يقومان بها كلآهـا؟ لست أدرى سبب نفورهما الواحد من الآخر. عندما فوجئت "إيزابيل" بنظره أخيها المستفسرة، تغيرت لهجتها، وقالت- وعلى وجهها الابتسامة المرحة للعتادة:

- كنتما تتكلمان عن حفلة عندما وصلت؟

وقد سرّ همّ لانها تناولت موضوعاً عاماً، أردف:

-نعم، لقد أخبرني "بوري" بدعوته للمزارعين وجميع العاملين.
ثم واصل كلماته قبل أن تسأله:

- من البداهة أنك تتساءلين عما سوف يكون هذا الحقل، حسناً.. إنه احتفال ديني، لكن يجب أولاً أن أخبرك بمعلومة عن المزرعة، عندما حصل عملي ووالد "بورى" على هذا الحقل، كان بالأرض عدد ليس بالقليل من العبيد (الرقيق) مرتبطين بهذه الزراعة. ولم يقدر أحد همما على احتمال رؤية آدميين مجبرين على البقاء في الأرض هكذا. وإن يقوموا بعمل لا يرغبون فيه. لذلك خيروهم. إذا واصلوا البقاء فسيحصلون على الإقامة والغذاء والعناية وسيحصلون على مرتبات شهرية تقدر حسب عدد محصول الزراعة. فما كان من جميعهم إلا أن ظلوا في الأرض. وأخصبنت

وخرج "هيربر" بعد أن طبع قبلة على جبينه أخته.

خللت "إيزابيل" جالسة، غارقة في التفكير. نادراً ما كان آخوها يهتمون مشكلة ما عمل. هذا النحو.

بالتأكيد إنها تثق به. لكن، لقد تراءى لها أن ابتسامته الأخيرة كانت مصطنعة. كان عليها أن تعرف نفسها بأنها هنا مدعومة "بورى" وليس سيدة المكان. تذكرت فجأة الرموز الموجودة على الفضية. إنها شعار أسرة "بورى". هل هي مؤشر؟

أخذت الفتاة تمسح الحجرة بنظرها، وأصبحت غير قادرة على التفكير.
“أي غموض يحيط هذا الرجل؟ هكذا فكرت. هل ساتمكِن ذات يوم من
الكشف عنه؟”

لم تتحقق، حتى إنها لم تعد تفكر في مشهد المكتبة منذ أن التقى بها آخرها.

الفصل الرابع

نوجه "هپیر" إلى "بوري" قائلًا:

- إنّ سعيد حضور هذا الحفل.

في هذه الأثناء دخلت "إيزابيل" الصالون المطل على البحر.

- سوف يكون أول اتصال لك بعمال الزراعة .
و بما أنهما كانا يديران ظهريهما إلى الباب ، لم
دخلت . وهذا لأن صندلها الرقيق - وهو من الحرير
الأرضية .

كان جالسين على مقعدين ذوي مساند يحتسيان مشروبا قد أعدته بيلونى . أصدر الشال الذى يغطى كتفي إيزابيل حقيقا خفيقا، جعل بورى يتنهض في الحال. وما إن تعرف على الفتاة في الضوء الخافت، وقع نظره عليها. نظر بعيدا.

ومع ذلك، كانت تبدو رائعة في فستانها "التل" الوردي المطرز الذي

رفعت رأسها. سنتبهت له أن "إيزابيل دي سان فلوري" كفيلة بمحاجة كل المواقف.

بعد ذلك بقليل، عندما دخلت حجرتها، تحققت من أنها لن تتحدث مع أخيها عن المسائل التي ينبغي أن تثار مع "بورى".



في صباح اليوم التالي، توجهت "إيزابيل" إلى حجرة الطعام مبكراً:

- إني في انتظار السيد "بورى" وأخي للبدء في الأكل.

- لقد انتهيا يا آنسة من تناول الطعام.

علت الحمرة وجه الفتاة، وـ"سيناماليه" واصل كلامه دون أن يلاحظ شيئاً:

- ومع ذلك لن يتاخرنا في العودة. إن السيد "بورى" معتاد القيام بحولة في الصباح الباكر على ظهر حصانه لتفقد العمل في الحقول، والسيد "هبير" قرر مرافقته.

حرست "إيزابيل" على إخفاء ثورتها. بالتأكيد "بورى" سوف يوضع لها كل شيء، بالإضافة إلى أنها بدت سخيفة في عيني أحد الخدم المقربين للشاب. في وسعه أن ينتصر. كيف يتصرف هذا الشخص؟ لن تتمكن من الإمساك بأي خطأ يصدر عنه. غير أن "إيزابيل" كانت قد هدأت قليلاً عندما غادرت حجرة الطعام. صعدت إلى حجرتها بغرض وضع قبعة لكي تخرج. وكانت في كل مرة تدخل هذه الحجرة، لا تستطيع الامتناع عن الإعجاب بالسرير الكبير المصنوع من خشب الورد والذي يعلوه "البلد كان". كما أن الستائر كانت أيضاً تبهرها بما لها من دانتيل غالى الشمن. أتجهت نحو التسريحة. وعندما تاهبت لتناول المشط الخاص بها، لحت شيئاً عجيباً. تمالكت نفسها لكي تراقبه.

تمتنع:

- ترى ما هذا؟

ثم أمسكت بالكرة التي من المزفف وأخذت نقلها في كل الاتجاهات. إنها بالضبط ليست كرة واحدة، إنما كرتان ملتصقان، للكثير أربعة أجزاء

الأرض والمزرعة أصبحت أفضل رقة في الجزيرة.

ولما كان المالك يرفضون فكرة شراء عمال آخرين لذلك جلبوا من جنوب غرب الهند بعض الرجال، يدعونهم الـ"مالبار". وهذا النظام قائم منذ تحرير العبيد. إنهم عمال زراعة فقط. أما جميع خدم المنزل، فهم من العبيد القدامى. وكلتا الفئتين احتفظت بعادتها. إذن الهنود يمارسون عبادتهم بكل حرية. وعلى ما يبدو أن عبدهم الأكبر الذي يقام له الاحتفال هو هذا الحفل الشهير الذي سيتم خلال يومين.

- أعتقد أنني سأفارقكم.

كانت "إيزابيل" قد تابعت باهتمام سرد أخيها المختصر.

- أشعر برغبة ملحة في الاندماج باسرع ما يمكن في هذا المجتمع الذي سوف يكون مجتمعنا، من الآن فصاعداً. أعتقد أنه يجب علينا تعرف عادات من يعملون لأجلنا، وأن نظهر لهم أننا مهتمون بهم حقاً، وأننا نفهمهم جيداً.

أشار "هبير" بإيماءة من رأسه بالموافقة على رأيها.

انقضت وجدة العشاء في هدوء. فوجشت "إيزابيل" بأن "بورى" يوجه إليها الحديث، غير أنه كان لا يتناول سوى مواضيع عادية. وكانت اللهجة الفارزة التي يستخدمها معها تتعارض مع التعاطف الحار الذي يبديه نحو "هبير". على ما يبدو أنه يدرس ويقنن ردوه نحوى. ومع ذلك أجد أن هناك ما يدفعني إليه عندما يبدو طبيعياً. هكذا جاء تفكيرها.

للحظة واحدة الثقة فيها نظراتها بنظرات "بورى". كان في هذه الثانية المحددة مجرداً من المودة، لكنه كان يتحدث عن أمور وغيرها بشيء من اللامبالاة.

ما الذي رغب في التعبير عنه خلال هذه الثانية المكشفة؟

أيقنت أنها لا تعرف - في الواقع - ما فكر فيه عن وصولها إلى المزرعة. افشرعت فجأة، واعترافاً بإحسان بالخروف وهي تفكر فيما يعده لها المستقبل. كانت تشنمني أن تعتمد على هذا الرجل الذي يبدو لها قوياً، واثقاً بنفسه. غير أن القدر قد قرر خلاف ذلك بالتأكيد: كان عليها أن تقاومه. لم تدم فترة تخاذل "إيزابيل" طويلاً لأنها تتمتع بروح المقاومة.

للحصول على بعض الكتب. أتمنى أن ترافقيني.

أجابت بيلونى على الفور:

- لكن هذا مستحيل يا آنسة.

تراجعت أمام الدهشة البادية على إيزابيل:

- أقصد أنتان نتمكن من الذهاب اليوم لأن "بىماهون" يقرن بنظافة كل العربات.

حينئذ تذكرت إيزابيل أنها كانت قد وجدت القارب والعربة المكشوفة في حالة نظافة لا تقارن. ومع كل، ربما يكون ذلك من أجل الاحتفال الذي سوف يتم غداً.

ثم واصلت بيلونى:

- سأريك المكتبة. ربما لا تعرفين مكانها حتى الآن. سوف تجدين فيها كتاباً تعجبك، إن بها العديد.

وامستوار وجه الزفافيا بابتسامة عريضة. اقشعرت إيزابيل عندما تذكرت ما أحسسته في هذه الليلة الماضية في هذه الحجرة من ارتباك.

قالت لـ بيلونى:

- أربيني المكتبة، وسأوجه فيما بعد إلى "سان دينيس"، ربما أحصل على معلومة ما عندما أعود إليها.

نزلت السيدتان. ففتحت بيلونى الباب، وتراجعت لكي تدخل إيزابيل. كانت متتحاملة على نفسها لأنها كذبت على الحادمة، لأنها في الواقع سبق لها المجيء إلى هذه الحجرة مرتين أو ثلاث مرات. ثم عاد إليها الإحسان بالمناخ الهادئ الوديع. وبيلونى انسحبت. ولم تشعر الفتاة في هذه المرة بهذه الإحسان العجيب بأنها مراقبة من شخص خفي. ثم اتجهت بعد ذلك ببعض لحظات نحو مخدعها وبيدها العديد من الكتب.

أخذت تفكير في سلوك بيلونى المتناقض. ترى هل تبغي منها من الخروج من المنزل؟ هل تقصد بذلك تحجب لقائهما بأحد الأشخاص؟ على سبيل المثال هل أخبرها أحد ما بوفاة "الكسندر"؟ لم تكف إيزابيل عن التفكير بلا توقف عن هذه السيدة العجيبة. لست أدرى ما يربطني بها.

وحولى نهاية فترة بعد الظهر، حضر أخوها لاصطحابها إلى نزهة على

بارزة. وبينما هي مستغرقة في الأفكار والتساؤلات، سمعت صوت قرع على الباب. دخلت بيلونى وهي تدندن.. كانت مختفية خلف عمود من الملابس الرطبة المغسولة والتي قد تم كيتها.

وبعد أن وضعت ما بيديها على مقعد، التفت نحو إيزابيل وتأهبت للكلام. عندما شاهدت ما بدا على الفتاة من تفكير وقع نظرها على ما كانت تتعامله باهتمام. اختفت ابتسامتها، وتجهت نحو إيزابيل. ثم تفحصت الشيء بدورها. عندما فوجئت الفتاة برد الفعل الذي بدا عليها وقت ترافقها، فرأت أن ملامحها قد قاست.

- أين وجدت يا آنسة هذا؟

- على هذه المائدة، في هذه اللحظة. هل تعلمين فيم يستخدم؟

أطلت بيلونى النظر إلى الشيء، صمتت قليلاً قبل أن تجيب بنبرة حرصت على أن تكون عادية:

- إنها إحدى العرائس التي تصنعها لنفسها ابنة الطاهية بالصلصال.

أتي الحل بسيطاً جداً، وبيلونى كانت تأمل أن تبدو طبيعية. فجاءت شعرت إيزابيل بمثل بسيطر عليها. لنتمكن أبداً من فهم كل هذه العادات الشاذة، إن لم أجد من يساعدني على ذلك". ثم انتقل تفكيرها إلى بورى. ترى هل أن بيلونى تنتصر وفقاً لا وامره؟ كانت هي الوحيدة التي يمكن أن تتحملاً معلومة عن وفاة "الكسندر" ، لكن إيزابيل كانت موقفة أنها لن تستطيع الحصول على أي معلومة منها. إذن إلى من ستلجأ؟ من يعلم هنا كل شيء ويرغب في إخاطتها علماً به على نحو جيد؟ وإذا بحاجت لم تفك في إيزابيل. يوقف فجأة ذهنها: كيف يحدث أن ابنة الطاهية تنسى هذه الدمية في حجرتها؟ لا شك في أن بيلونى كذبت. لكن، من إذن الذي تسلل إلى حجرتها لوضع هذا الشيء؟ وبأي غرض؟ إنهم يعتبرونني غبية لا تتحقق من الآجوبة غير المنطقية التي يمنحووني إياها". قررت النظاهر بأنها تصدقها لكيلا توقف عند الحادمة عدم الثقة وبذلك تتمكن من الاستمرار في بحثها.

أعادت العروسة إلى بيلونى قائلة:

- أعيديها إليها، لأنني معترضة التوجه إلى "سان دينيس" اليوم

- ساريكما حقل قصب السكر.

عندما تمازروا الحاجز الذي يحدد الحديقة، سلكوا طريقاً متعرجاً بين حقول قصب السكر. كان "بورى" يتقدم "إيزابيل" وأخاها اللذين كانوا يسيرون جنباً إلى جنب يحصانهما. كانت سيدتان القصب تبلغ سنتها أمغار. وكان نضجها قد اكتمل، وكانت هذه السيدتان المتتهلة بالأوراق الطويلة الخضراء، تقشعر تحت ملاطفة النسمة لها. كانوا يتقدموه في صمت. وكانت "إيزابيل" تستمتع بهذه الرحلة، كما كانت تتأمل عضلات "بورى" بشيء من الحشو الحالم. "ما سبب تصرفاته المتقلبة وغير المتوقعة؟" وإذا بصيحات وهنافات وغناء تأتي إلى مسامعهم من بعيد. تواجهوا بسرعة في مكان العمل. والعمال أسرعوا برفع قبعاتهم علامة لتحييthem عند الاستقبال.

قالوا بصوت واحد:

- صباح الخير يا سيدى.

ثم قاموا بتحية "هيبير" وأخته بإشارة رأس تحمل شيئاً من المخرج، وهم لا يدرؤون بما يدعونهما به. ولم ينطق "بورى" بما كان يفید إلقاء ضوء على الموقف. "هل هذا يثبت النظرية التي كانت في حسابنا؟" هكذا تساءلت "إيزابيل". كان العمال قد بدأوا العمل. وكانت يرتدون سراويلات من التيل وقمصاناً من القطن الناعم. وبدأوا في نقطيع السيدتان باليد مستعينين بالمناجل. وكم دهشت الفتاة للسرعة والرتابة التي كانوا يتجزون بها هذا العمل. أما "بورى" فكانت الغبطة بادية عليه إزاء كل ما يخص الأرض.

أما الشابان فكانا قد تناولا مناقشة مع (الخولي) أي رئيس عمال الزراعة عن مشاكل الحصاد. وكان "بورى" كلما نكلم عن الأرض، كانت تختويه طاقة داخلية. ولم تستأ "إيزابيل" لشخصيته هذه. ثم بعد قليل انجهوا إلى المزرعة.

صباح اليوم التالي، كان اليوم الذي سوف يقام فيه الاحتفال بالعيد عيد الـ"مالبار". لذلك اعتنت "إيزابيل" إلى حد ما بمظهرها وهندامها. بعد تردد، قررت ارتداء فستان من الحرير الأزرق بلون عينيها، يبرز بشرتها البيضاء. ضمت شعرها إلى عنقها وتركت خصلاته الذهبية تنزل على

ظهر الخبول برفقة "بورى". ارتدت فستانها من الحرير الأحمر، ووضعت على رأسها قبعة ذات ريش، واتجهت نحو الحظيرة. لاحظت في الحال أن السيارات قد صفت وأنه - ظاهرياً - لم تتم لهها يد أحد طوال اليوم.

- ها هي يا سيدى الفرس الهدائى. إنها التي كانت تمنطيها السيدة "الكسندر". إنها تدعى "بروسيلياند".

تقدم "بيماهور" نحوها ممسكاً بليجام الداية. أعجبت "إيزابيل" بما لها من شعر بني جميل، وكذلك باتقان السرج الموضوع على هذه التي من أصل عربي. كما أن الركاب رائع حيث كان من الجلد الأسود وهو متقن الصنع قال "بورى" :

- اسمحي لي أن أعاونك على الصعود.

وفي الحال، أضاف الحركة إلى الكلمات بأن رفعها بين ذراعيه القويتين لوضعها على ركبتيها. تمنت "إيزابيل" بصوت مخنوقي :

- شكراً.

لقد شعرت بانعدام قواها، عندما لحق بها الدوار إثر ملامستها لصدر هذا الشاب. "كلما اقترب مني - هكذا فكرت - أشعر بالانهيار. بالها من مغناطيسية تبعث منه".

أصلحت فستانها، منجوبة النظر إليه. كانت تشعر بأنه يثبت نظره عليها. ثم - كانها أخذت تلقائيها - تلاقت عيناهما بعيوني الشاب. إن من اكتشفه في هذه النظرة: "بورى" جديد. لقد قرأت فيها وداعية فائضة ومزيداً من الحنان، وشكراً في شيء آخر جعلها تخفض عينيها من جديد، وقد علت الحمرة وجهها.

لقد تعقد الموقف وأصبح مربكاً. فكان من حسن حظها أن "هيبير" لحق بها وهو يقول في مرح:

- إلى أين ستصطحبنا اليوم يا "بورى"؟

استمع شارداً إلى رد الشاب، لأن أثر الحمرة التي علت وجه اخته أربكته. وعندما شعرت "إيزابيل" بنظرة أخيها الملحة مسلطة عليها، عملت على قدر استطاعتها أن تبدو طبيعية. وفي اللحظة التي انصرفوا فيها، فوجئت بابتسمة حائرة على شفتي "هيبير"، الأمر الذي زاد من خجلها.

حيثما استغرق هذا الأخير في تأمل المنظر الريفي. وتكرر هذا المشهد عدة مرات، تحت أنظار "هيبر" الذي حرص على عدم التعليق. بعد قليل وصلوا أمام مرج. عندما نزلوا من العربة، قاد "بيماهو" الجراد إلى ظل التخييل لكي يستريح.

النفت "بورى" نحو "إيزابيل" وقال بصوت منخفض، لكنه أمر:

- لا تبتعدي أبداً بمفردك. كوني دائمًا بين أخيك وبيني.

شعرت "إيزابيل" بأنه يتحدث بجدية ولا جدوى للحوار.

ووصلوا مسجراً لهم لكي يصلوا من الجانب الآخر للحفل. إلى الساحة المعدة للاحتفال. كانوا يلمحون من بعيد المعبد الدقيق الخصص لـ"براهاما". كان مزداناً بالرسوم والنقش والتماثيل الصغيرة ذات الألوان الزاهية. وكانت بعض النسوة -وسط مكان محظوظ ببعض الأعمدة- يشرفن على موقد مشتعل. ومن الجانب الآخر، كان بعض الأطفال يحرسون تيساً وديكاً. وجمع غفير كان يحيط بالموقد. وفي المواجهة، كانت منصة صغيرة تعلوها مظلة لحماية من سجلسون على المقاعد الثلاثة.

في لحظة جلوسهم، شعرت "إيزابيل" بهرج بين المترجين الحاضرين.

قال لها "بورى" مبتسمًا:

- ابتسمي، ظاهري بالارتياح ولا تظهري أي قلق.

أطاعت "إيزابيل" دون أن تدرى ما يقصد "بورى". ثم فهمت في الحال. كل الانتظار كانت مسلطة عليها. ينفرس فيها في وقاحة الرجال والنساء والأطفال.

وكان "بورى" سعيداً بالاشراح -يقوم بالتعليق:

- سوف تحضران الآن أحد الاحتفالات الدينية المهمة للدين الهندي، والاستعداد له جاد وصارم جداً. إنه عبارة عن صوم وعزلة وتحفظ كامل خلال خمسة عشر يوماً.

حولت الملابس الشادة التي ترتديها الجموع انتباه "بورى" عن "إيزابيل". أخذ يترقب قدوم الناينين. كانوا يسيرون خلف عربة مغطاة بآلاف الزهور المتعددة الألوان:

- هذا الهرم الهائل من الزهور المغروسة في ثمار اللبیمون وغيرها،

كتفيها مثل الشلال وقع اختبارها على قطعة واحدة من المحلي: حجر ثمين ورثه عن والدتها. النقت بـ"بورى" أسفل السلم. استغرق هذا الأخير بعض الثنائي في فحصها بالتدقيق، إلى حد جعل الفتاة -التي سرت في بادي الأمر، لما كان لها من تأثير في الشاب- تشعر بالحرج. تمالك نفسه في الحال، وسالها بطريقة هادئة:

- إلى أين تذهبين في هذه الساعة المبكرة وفي هذا الهندام الاندق؟
أجابته "إيزابيل" دهشة:

- سارافنكم إلى الحفل. إنه اليوم، أليس كذلك؟
فتح "بورى" فاه ثم عدل عن رأيه. لقد أصبح الموقف محاجة. كان لابد له من أن ينطق بأي شيء.

- ألم يخطرك "هيبر"؟
هكذا سالت الفتاة.
أجابها:
- لا.

ثم فكر لحظة وعزم:
- ومع كل، لم لا؟

النفت لكي يفتح باب المدخل للفتاة. واثناء مرورها لمست ذراعها العارية -لا إرادياً- يد الشاب. افتشعت رغمها عنها. ندمت على عدم سيطرتها على أحاسيسها لانه لابد قد لاحظ رد الفعل عندها. "ترى ماذا سيكون اعتقاده؟" انتظرت في مكانها لأن "هيبر" كان خارجاً في انتظارهما. مد لها يده يساعدها على الصعود إلى العربة المكسورة.

- إنك جميلة جداً يا اختي الصغيرة هذا الصباح. يا لللانقة. هل تعترفين بإغراء سكان الجزيرة بأسرها؟

ولما لم ينل صدى لمحوظته، اعتقاد "هيبر" أنه وقع في خطأ. وفي الواقع، لقد ثمت أحداث غريبة في العربية. هاهم الآن متوجهون نحو المنطقة التي تدعى بـ"أجاتيل" حيث سيقام الاحتفال. لم يتمسكن "بورى" من الامتناع عن النظر إلى الجميلة التي في مواجهته. غير أن هذه الأخيرة، عندما شعرت بنظراته مسلطة عليها، رفعت عينيها بدورها إلى الشاب.

أصبحت غير محتملة. وكانت رائحة الأضحية منفرة. أثناء ما كان بعض التائبين يعبرون المقد في غير ملل، إلى حد أنهم يكادون يطئونه باقدامهم، كان غيرهم يقفون في الأمام ويقومون بتنوع تعذيب أخرى. كان يشقوا الوجنات واللسان بإبر طويلة. فهو حقاً مشهد غير محتمل.
إذاً بوري الذي يرافق إيزابيل، سمعها تتمتم:
— لم أعد محتملة.

— حاوي لا يغشى عليك. تحاولي على نفسك. سنعود إلى العربية، لكن لا بد لك من الصعود إلى العربية المكتشوفة بوسائلك الذاتية، ولا ستقدردين تقديرهم بال تمام. وأنت تقدرين كم أن ذلك مهم جداً هنا.
ثم نهض و مد لها ذراعه.

— استندي إلي على قدر استطاعتك، لكن على لا يغشى عليك!
أطاعت بطريقة آلية.
ثم قال لـ «هيبر» الذي كان يتظاهر بالقيام محاولاً الهرب من المشهد:
— ساعود حالاً.

ثم ابتعد مصطحباً إيزابيل، بل يكاد يحملها، دون أن يبدو إلا في وضع من يقدم لها ذراعه.

الفصل الخامس

عندما وصلوا إلى العربية رفعها «وري» و كانه يحمل ريشة، ووضعها في العربية المكتشوفة. وما إن جلس بجوارها، ضرب «بيماهو» الحصان الذي انطلق. كانت إيزابيل - وقد فقدت قواها - تميل على كتف الشاب. كان مسكاً بيدها وهو يكلمها.

كان صورته يصل إلى مسامع إيزابيل - وكاد يغمى عليها - و كانه مخنوق بالضباب.

— كيف أنت الآن؟
لقد أعادت إليها الرعاية التامة الحانية التي بدت في نبرة صوته بعض الطاقة.

والذي يحملونه على الرأس، يصل وزنه إلى أربعين كيلو جراماً.
رأت أيضاً إيزابيل سيدات ذات شعر أشعث، يحرrien وينحننن ويسجدن، وأخريات يضربن بالدفوف. فجأة رفع الشخص الذي يتقدم الموكب ذراعيه حتى توقف المسيرة. أما المعترفون فكانوا يرتدون فساتين بلون الكركم. استفسرت إيزابيل من «وري» عما إذا كانت هذه الدرجة من اللون تشير إلى شيء محدد.
أجابها:

— إنه اللون المشير إلى الرفض الروحي النام.
ثم أمسك الشخص القائم باحتفال القدس بسكن كبير. ثم بشرية واحدة فصل رأس التمس وكذلك رأس الديك. قبل أن تطلق إيزابيل أبسط صرخة، شعرت بيد من حديد تقپض على معصمها. كان «وري» بالقرب منها وقد تقلصت ملامحه، كان يتمتم:
— لا تصرخي، لا تقوسي بأي حركة، لا تعملي على إبداء أي استثناء.
تحمّلت الفتاة. وكان بعضاً من إرادة «وري» انتقلت من «وري» من خلال اليد الممسكة بها، كي تساعدها على احتفال فطاعة المشهد الذي يتم أمامها. وها هم الآن يجررون الماشي حول النار. واصل «وري» تفسير ما يدور:

— الآن سوف يقطعنون ثمار جوز الهند ويفضعونها على أوراق أشجار الموز. إن جوز الهند يرمز إلى قلب الإنسان إذا تم كسره جيداً، هذا دالة على نقاء القلب.

أعجبت الفتاة بسيطرتها على ذاتها، وعندما التفتت إلى «هيبر» لاحظت أنه هو أيضاً شاحب، وملامحه متقلصة. وكان واضحاً أنه يقاوم لكي يبدو مبتسمـاً. كانت السيدات يرددن بعض الصلوات. ثم صمتت الطيول. ساد الصمت ثانية.

مرة واحدة في كل عام، كان التائبون المعترفون، وهم دائمـاً حاملون على رؤوسهم هذه الفواكه والزهور، يعبرون المقد ثلاثة مرات ببطوله. كانوا يرفعون نحو السماء أذرعاً متقلصة. كما كانت شفاههم تتمتم صلوات مسارية، وعيونهم تدور في محاجرها. وها هي حرارة المقد قد

تمتنت وعلى وجهها ابتسامة فاترة:
— أحسن.

كانت أفكارها مشوشة، غاية ما في الأمر، شعرت بالارتياح على الكتف التي تجد فيها حمايتها. أغلقت عينيها. أحست كأنها تطفو على سطح الماء. استمر الشاب في حديثه معها بكل هدوء.

— لقد وصلنا، سوف تهتم بك "بيلونى".
توقفت العربة بعد قليل. أخذها "بورى" بين ذراعيه لكي يصعد بها إلى حجرتها. استسلمت للاستاد إليه وهي لا هشة بعض الشيء. نلامست شفاههما أثناء ما كان يضعها على فراشها. غير أنه انتصب واجهه نحو الباب متاهياً للخروج.

أسرعت "بيلونى" إليها فرعة— وقد أخطرها "بيماهو" .. تمتنت:
— يا إلهي ! يا إلهي !

ثم متوجهة إلى "بورى" قالت بصوت منخفض:
— إن اصطحابها إلى هناك يعتبر جنونا .. جنونا.
كانت "إيزابيل" قد حولت رأسها نحو الشاب وفوجئت بنظره الآمرة للخادمة. صمتت هذه الأخيرة في الحال. ثم بعد أن أدللي "بورى" بأوامره عن العناية التي يبغى أن تعطي الفتاة، عاد إليها. مرة أخرى عادت ملامحه إلى جمودها المعتاد:
— أعتقد أنك الآن أيقنت أن هذا البلد ليس كما تعتقدين.

ثم انصرف بعد أن القى نظرة إلى ملامح الفتاة المشدودة. "نفس الحال"— هكذا فكرت "إيزابيل" وهي تطلق زفيرًا— في كل مرة يبدو فيها لطيفاً ودوداً، لا بد أن يجعل اللحظة التالية منفرة. لن أهتم بعد الآن بهذه الشخصية المزدوجة التي تسكته.

كانت "بيلونى" تقف إلى جانبها، توليه عناية خاصة، كان تلزمها بتناول مشروب دافئ أو تضع كعادات على صدفيها. استسلمت لتدليل الخادمة المسنة لها، والتي لم تكف عن التمعنة وهي تهز رأسها:

— ليس من التعقل .. حقا لا .. فتاة حساسة !

كانت "إيزابيل" في هذه الأثناء تائهة في أفكارها. كانت لا تفهم لماذا

تركها تذهب معهما لحضور هذا المشهد المفزع. ثغرد هذه الفكرة شعرت بأن قلبها امتلا فرعاً. أي لعبة يقوم بها؟ إن هجماته تبدو موجهة ضدها وليس ضد "هيبر". "لابد أنه يرغب في جعلني أغادر الجزيرة. ومع ذلك فهو يعلم أنني لا أستطيع العودة إلى باريس". ربما أنه يأمل أن يدفع بي إلى نهاية الضيق لكي أرحل على الرغم من كل شيء، وسوف ينجح في ذلك. إنني حقاً منهكة ومحبطة. غير أنني لن أجعله ينتصر. واضح تماماً أنه يسعى إلى هزتي، كما أنه يريد أن يثبت لي أنني لا أستطيع البقاء هنا ولا أن أكيف نفسي مع هذا المناخ. إنه يضع العراقيل في طريقه. وإذا سلمنا بأنني قد لا أخططاها كلها جيداً، فإنني سأصل في نهاية المطاف.

وقد حطمتهما المؤثرات، راحت الفتاة في سبات عميق. وفي تو梅ها المضطرب، رأت وجه الشاب الجميل يميل عليها متتمثلاً لها بنبرة مهددة: "لقد أخطرتك".

تناولت "إيزابيل" فطورها في حجرتها على صينية أعدتها لها "بيلونى". كانت مسترحة وهي ممددة على فراشها الذي كان من الساتان الأخضر اللوزي، وبيدها كتاب. عندما دخل عليها "هيبر" أسرع إليها قائلًا:

— لدى خبر يدعو للدهشة يا اختي الصغيرة. لكن أولاً كيف أنت؟
كان يتكلم بحبوبة وقد بدا متذمراً.
— حسناً، لا تخش شيئاً من جانبي. مقابل ذلك إنني متوجلة معرفة هذا الخبر.

كانت "إيزابيل" قد وضعت كتابها، وأشارت بيدها إلى المقعد الذي بدون مسند. قرية أخوها من فراشها وجلس عليه.
— المعذرة لأنني مضطر إلى أن أخبرك به بدون مقدمات، لكنني واثق بذلك صلبة وفي إمكانك احتمال الحقيقة القاسية: لقد أفلسنا مرة أخرى. لقد تم خرابتنا.

شجبت "إيزابيل" ولم تحب، في انتظار أن يوضح لها أخوها الأمر.
قال:

— إن ما توقعناه منذ أيام ليس -واسفاه- إلا حقيقة. إننا لا نمتلك أي

"أنطوان" أنشاء مثل الآبن عندما وجده يتيمًا. توقف "هبير" قليلاً بعد أن انتهى من سرد الخبر، أما "إيزابيل" فكانت تنظر إلى بعيد، شاردة، غارقة في التفكير.

- كما أن "بورى" أضاف أنه لا أهمية لذلك، على أي حال من الأحوال. وهو يعتبر أن نصيب عمنا سوف يقول لنا الحقيقة. غير أنني أعتقد أنك ستجدين مثلك - أن هذا الوضع حساس جداً بالنسبة لنا. يجب أن تقرر ما نعتزم القيام به.

و قبل أن تخرج "إيزابيل" من سكونها، كانت على الباب قرعتان. بتلقائية، قالت: ادخل.. لـ"بيلونى". ولقد تعارض وجه الزنجية المشرق مع ما بدا من جدية على الشابين:

- السيد "بورى" في انتظاركم لتناول الـ"بانش". يجب أن تنزل حالاً. إن مقاجأة تتذكركم.

ثم خرجت بسرعة تجنبًا للأسفلة. كانت لا تخشى شيئاً، لأنها لا "إيزابيل" ولا آخرها قد انتبهما إلى ما قالته.

نهض "هبير" وتنهد وهو يقول:

- أعتقد أنه ليس من اللياقة أن ندع مضيفنا ينتظروننا. تبعته "إيزابيل"، وكانت لاتزال حائرة لما سمعته.

على ما يبدو أن "بورى" لم يرتباً كيهما، لكنه ظاهر بانه لم يرشيا. أعلن لهما ميتسمًا:

- لقد قرر الخدم أن يحتفلوا بقدومكم على طريقتهم؛ لذلك فهم يقدمون لكم مشهداً رائعاً.

جلسوا على المقاعد المعدة لهذه المناسبة على العشب. بعد قليل حضر بعض الموسيقيين واتخذوا مكاناً على اليمين. ثم قاموا بتسخين طبولهم على نار من الخشب. قام أحد هم بعزف منفرد. ثم أتى الراقصون، تعرفت "إيزابيل" على "كال" من بينهم، وكانت هذه الأخيرة تبعث إليها بإشارات صغيرة.

جزء من هذه الأموال. ها هي الأمور - لا أعرف كيف تمت - لقد تقابل عمنا مع "أندريان دي بالمير" في إنجلترا. كانت لكليهما هموم عائلية، ونكسات مالية، بذلك ضمهما صعيد واحد، فارتبطا، وتأصلت الصداقة بينهما. قررا بعد ذلك الإبحار إلى هذه الجزر البعيدة، على أمل الحصول على ثروة فيها. حينئذ وقع "أندريان" في حب "الكنسندرا بريديج كاستل". لكن إخوة الفتاة - وكانوا من أسرة واسعة الشراء - رفضوا هذه الزبحة خاصة أنهم لم يرغبوها في أن تذهب اختهم بعيداً هكذا. فما كان من "أندريان" إلا أن اختطفها بمعاونة "كاستل" وأبحروا سراً. وتم زواج العاشقين على ظهر السفينة. وكان "أنطوان" شاهداً على هذا الزواج. و"بورى" يشك في أن عمنا قضى حياته عاشقاً لأمه سراً، لكنه لم يذكر شيئاً بشأن صداقته لـ"أندريان".

كانت "إيزابيل" تصغي بانتباه إلى أخيها، وتبتسم حلة عند ذكر قصة الحب هذه.

ثم استطرد "هبير" بلهجه أكثر حماساً:

- ها قد وصلنا إلى الفقرة التي تخصينا. إذ حدث أنه فور نزولهما إلى الجزيرة، كان أول ما فكروا فيه، هو شراء مسكن لـ"الكنسندرا". وبعد بحث طويل أعجب الثلاثة بـ"بافيون" فقاموا بشرائه مع الأرض المحيطة به. وقام الرجال بالعمل فيها كثيراً. وبفضل أفكارهما الجديدة وجرأتهما، أزدادت قيمة العقار. مقابل ذلك كان العائد من الأرض يكفي فقط لتعطية نفقات الأرض، مصاريف الإصلاح والمنزل. أما حياتهما فكانت حياة التشفف، حياة الكفاف. وعندما بدأوا ينتعشون توفيت "الكنسندرا" أثناء وضعها "بورى". ثم لحق بها "أندريان" ، إذ إن الحزن قتله لأنه كان يحبها حباً جماً. أما "أنطوان" فقد ظل يائساً، عندما رأى اختفاء أعز صديقه. أخطأ كثيراً في الاختيار والعناية بالزراعة. أصبحت المحاصيل ردية، وعندما بلغ "بورى" العمر الذي يسمح له بإن يحل محل والده وجد المزرعة غارقة في الديون. لحسن الحظ، كان قد حصل على إرث عن والدته، فتمكن من إعادة شراء كل الأموال المرهونة للممولين، حتى أملاك "أنطوان" ، فقام عمي بمنحنا كل ما يملك عن طيب خاطر. و"بورى" لم يعترض لأن

ها هو العرض قد انتهى .. وتوجهوا لتهنئة الراقصين بحرارة . بدأ النهار يميل ، والظلام يخيم على المكان . وحيثند توجهوا إلى حجرة الطعام . وأثناء عبورهم للحدائق ، حف ذراع "بورى" بذراع "إيزابيل" ، اتفقشت الفتاة ، وكان تياراً كهربائياً قد سر في جسدها . اعتراها إحساس بأن هذا اللقاء ليس فجائياً . وكان جو من الكآبة يهيم على العشاء ، فكان "هيبر" يحاول جاهداً إنعاش الحديث . "لا أجد سبباً للعدم تناوله الحديث . لست أدرى لماذا هو صامت؟ علماً بأنه كان ينبغي أن يسرّ" . هكذا فكرت "إيزابيل" ثانية . بدا "بورى" كأنه خارج من حلم داخلي ، وتوجه إليهما قائلاً :

- أود أن أخبركم بما بدعوة أخرى . إن آل "ديسامين" -وهم ملوك العقار المجاور لهم- سوف يقيمون يوم الجمعة القادمة حفلة معاشرة تكريماً لكمـاً يـنـاسـبـةـ وـصـولـكـمـاـ . إنـهـمـ يـرـغـبـونـ فـيـ التـعـارـفـ بـكـمـاـ وـتـقـدـيمـ بـعـضـ المـزـارـعـينـ إـلـيـكـمـاـ .

شكـرتـهـ "إـيزـابـيلـ"ـ دـهـشـةـ . أـصـبـحـتـ عـاجـزـةـ عـنـ التـفـكـيرـ فـيـ هـذـاـ الـأـمـرـ . إـذـاـ كـانـ يـرـغـبـ فـيـ أـرـحـلـ باـسـرـعـ مـاـ يـمـكـنـ ،ـ كـانـ مـنـ السـهـلـ عـلـيـهـ أـنـ يـنـكـرـ هـذـهـ الدـعـوـةـ وـلـاـ يـحـيـطـنـاـ عـلـمـاـ بـهـاـ .ـ إـنـيـ عـاجـزـةـ عـنـ إـدـرـاكـ الـهـدـفـ مـنـ سـلـوكـ هـذـاـ .ـ

في صباح اليوم التالي ، قالت "كـالـ"ـ لـ"إـيزـابـيلـ"ـ وهي تطلق ضـحـكـاتـ مـكـتـومـةـ :

- هـاـكـ وـجـةـ إـفـطـارـكـ .

رفعت "إـيزـابـيلـ"ـ نحوـهاـ نـظـرـةـ اـسـتـجـوابـ وـقـدـ بدـتـ دـهـشـةـ .

أـضـافـتـ الصـغـيرـةـ وـهـيـ تـضـحـكـ :

- يـجـبـ عـلـىـ آـسـنـيـ أـنـ تـنـظـرـ فـيـ السـلـةـ الـتـيـ مـنـ الغـابـ .

مالـتـ "إـيزـابـيلـ"ـ لـكـيـ تـرىـ مـاـ بـدـاـخـلـ الشـيـءـ الـمـوـضـوعـ وـسـطـ الصـينـيـةـ .ـ لـمـ تـمـكـنـ مـنـ الـامـتـنـاعـ عـنـ إـطـلاقـ صـيـحةـ مـفـاجـأـةـ .

- كـمـ آـنـهـ رـائـعـ !

في هذه الثناء ، كانت الفتاة تشعر كأنها في حلم . تطلعت إلى العرض الذي بدأ . النساء يرتدين جونولات من القماش القطن المنقوش وبليوزات ناصعة البياض ، وعلى الكتفين الشال الهندي (السارى) . أما الشبان -من يرافعونهن في المشهد- فكانوا يرتدون بنطلونات باللون صارخة . وجميعهم كانوا يرقصون والأقدام عارية . خمسة أو ستة أصوات من بينهم صوت "بيلوني" البارز كانوا يرددون أغنية إفريقية ، هادئة وحزينة ، تسلام مع حالتها النفسية . كانت النساء يرقصن الأذرع وكل منها تدور حول نفسها . والرجال بخطى صغيرة يتبعونهن ويحفون بهن دون أن يلمسوهن . فجأة اشتد النغم ، والراقصون جلسوا القرفصاء على أطراف أقدامهم ، في اثناءات وأرجحة سريعة إلى الأمام وإلى الخلف ، يكادون يلمسون الأرض . ثم عاد الثناء والأرجحة إلى البقاء كما في البداية . وأصبحت "إـيزـابـيلـ"ـ تابـعـهـمـ وـهـيـ شـارـدـةـ .

لـقـدـ اـنـتـهـتـ حـالـةـ الجـمـودـ الـذـهـبـيـ الـتـيـ لـحـقـتـ بـهـاـ بـعـدـماـ أـعـلـنـهـ لـهـاـ "ـهـيـبرـ"ـ وـعـادـتـ إـلـىـ حـالـهـاـ الطـبـيعـيـةـ .

"ـبـذـلـكـ ،ـ إـنـاـ عـنـدـهـاـ وـمـاـ كـنـتـ أـخـشـاهـ لـهـ لـسـ سـوـيـ حـقـيقـةـ يـاـ لـلـخـزـيـ"ـ أـتـعـشـمـ أـنـ يـجـدـ "ـهـيـبرـ"ـ حـلـاـ لـوـضـعـنـاـ هـذـاـ"ـ .ـ وـعـنـدـمـاـ عـادـ إـلـىـ ذـاـكـرـتـهـاـ الـشـهـدـ الـذـيـ رـأـيـهـ فـيـ الصـبـاحـ ،ـ شـعـرـتـ كـانـ ذـرـاعـيـ "ـبـورـىـ"ـ الـقـوـيـتـينـ تـرـفـعـانـهـاـ .ـ سـرـتـ فـيـهـاـ مـوـجـةـ دـفـعـةـ رـقـيـةـ .ـ كـمـ سـانـدـمـ عـنـدـ مـعـادـرـتـيـ لـهـذـاـ الـبـلـدـ .ـ كـمـ آـنـهـ جـمـيلـ !ـ وـلـنـ أـجـدـ الـوقـتـ الـكـافـيـ لـكـيـ أـثـبـتـ لـهـ أـنـيـ كـفـيـلـةـ بـاـنـ أـصـبـعـ أـورـبـيـةـ أـصـيـلـةـ"ـ .

تنهدت . شـعـرـتـ بـنـظـراتـ "ـبـورـىـ"ـ مـسـلـطـةـ عـلـيـهـاـ .ـ حـولـتـ نـظـرـهـاـ نـحـوـهـ بـتـلـقـيـةـ .ـ فـانـجـذـبـتـ نـظـراتـهـمـاـ مـثـلـ الـمـغـاطـيـسـ .ـ كـانـتـ نـظـراتـ "ـبـورـىـ"ـ عـمـيقـةـ ،ـ تـحـاـوـلـ الـرـوـصـولـ إـلـىـ أـفـكـارـ الـفـتـاةـ .ـ وـعـنـدـمـاـ عـلـتـ الـحـمـرـةـ وـجـنـتـيـ "ـإـيزـابـيلـ"ـ حـولـ رـأـسـهـاـ فـيـ الـحـالـ .ـ تـلـكـهـاـ الضـيـقـ وـبـدـائـتـ الـشـوـرـةـ تـرـحـفـ إـلـيـهـاـ :ـ إـنـهـ يـشـعـرـ بـالـظـفـرـ .ـ وـهـوـ مـسـرـورـ نـتـيـجـةـ لـمـ قـامـ بـهـ .ـ سـارـحـ ..ـ وـيـكـونـ هـوـ عـلـىـ حـقـ .ـ هـذـاـ رـجـلـ خـارـقـ ،ـ مـبـتـكـرـ"ـ .ـ ثـمـ حـاـوـلـتـ التـرـكـيزـ عـلـىـ الـشـهـدـ .ـ لـكـنـ عـبـنـاـ .ـ وـمـعـ ذـلـكـ أـبـدـتـ اـبـتـسـامـةـ سـرـورـ .ـ كـانـتـ لـاـ تـرـغـبـ سـجـاـيـ ثـمـ .ـ فـيـ آـنـ يـلـمـعـ "ـبـورـىـ"ـ مـاـ تـعـانـيـهـ مـنـ ضـيـقـ وـأـسـيـ .

يستاذن قبل تركي بهذه السرعة. في الواقع، هي أول مرة يحدثني فيها عن
أمه..

- لا تتعجل يا "كال" ، لأنني أريد أن أكون رائعة.
كادت الحادمة الصغيرة تكون ثانية مثل سيدتها. كانت "إيزابيل"
جالسة على مقعد بدون مسند، مستسلمة للصغيرة حتى تصفف لها
شعرها وفقاً للمناسبة. كانت في حالة اشتياق لمعرفة هذا النوع من
السهرات الأوروبية. تساءلت إذا كانت سرف تشاهد نساء في أبيه
الملابس؟ وإذا كان الرجال سوف يكون لهم نفس الروح. وعندما انتهت
"كال" ، القت "إيزابيل" نظرة أخيرة إلى صورتها المنعكسة على المرأة حتى
تحقق من أن كل ما تم مناسب لذوقها. وإذا سرت لما شاهدته، لحقت
بالشبان الذين كانوا في انتظارها في الصالون. كان الباب موارباً.
سمعتهما يمزحان معاً في مرح.
حينئذ، عندما دخلت الحجرة، ثبت "بورى" نظره عليها، أما "هيبر"
فلم يرها عندما دخلت لأنها كان يعطي ظهره للباب. غير أن صمت محدثة
الفجائي، جعله يلتفت.

بعد برهة، قدم لأخنه عبارات الإطراء:

- إنك رائعة يا اختي الصغيرة. ليس كذلك يا "بورى"؟
فكأن من نفس "إيزابيل" أن توقف رغماعتها في انتظار رد الشاب.
و "بورى" صمت لحظة قبل أن يتكلم. بدا كأنه مستغرق في تأمل هذا
المنظر - الذي يظنه حلماً - البادي أمامه. إذ كان فستانها الدانتيل - وهو
باللون الأخضر - يبدو مكللاً قوام الفتاة. وفتحة الصدر كانت تكشف عن
كتفين وعنق آية في الجمال. أما شعرها الذهبي فكان يحيط بوجهها
ويسقط على عنقها في خصلات متوججة. وكانت تضع "بنططيف
كحلينا" من الزمرد لاماً على بشرتها الناعمة. فما كان من "بورى" إلا أن
تمضي دون أن يبعد نظره عنها:
- ستكونين ملكة السهرة.

في قاع السلة، عينان سوداوان تنظران إليها في شبه توسل. تناولت بين
يديها كرة بيضاء مرنجة. ارتجى الكلب الصغير على صدرها، وأخذ
يت shamم ليتعرف على الرائحة.
تأثرت الفتاة مثل هذه الرقة وهذه الثقة. أخذت تلطف بحاسة الأمومة
الشعر الحريري.

- سادعوه "كابوك". لكن بالمناسبة، كيف وصل هذا الحيوان الصغير
إلي هنا؟

- إنها مفاجأة من السيد "بورى". إذ إنه يعتقد أن ذلك قد يقلل من
الضيق الذي تعاني منه.

لم تتوقع الفتاة الإجابة التي سمعتها من وصيفتها.
خرجت "إيزابيل" من حجرتها وهي ممسكة بالكلب الصغير، وفي
عنابة ضمته إلى صدرها. وفي تعلجها كادت تصطدم بـ "بورى" الذي كان
متوجهًا إلى المكتبة. أبدى هذا الأخير اتسامة حانية عندما شاهد هذا المنظر
الجميل. شعرت "إيزابيل" فجأة بالخجل دون أن تدري السبب:

- كنت أرغب في تقديم الشكر لك على تفكيرك هذا.. كم أنه
لطيف!

استمر الشاب في الابتسام، ثم مد يده ولاطف الحيوان الصغير. رق
قلب "إيزابيل" لهذه الحركة. و "بورى" أردف ببررة ودية:

- كان لوالدتي واحد مثله تماماً. إنها حيوانات اليقة ومخلصة. ولقد
توفى كلبها عقب وفاتها حزناً عليها.
في هذه الآثناء، كانت "إيزابيل" قد رفعت عينيها، فتلقت
نظاراتهما.

كانت هذه هي المرة الأولى التي قرأت فيها على وجه الشاب الحنان
خالياً من أي أثر للسخرية. "من الممكن أن تكون الأمور بالنسبة له ينتهي
البساطة لو استمر على هذا الحال" ثم - وقد بدا كمن يتنزع من حلم -
حول عينيه وخرج تاركاً خلفه الفتاة وقد فوجئت بهذا الابتعاد الفجائي.
نهدت وهي تلحق بحجرتها. "لنتمكن أبداً من معرفة ما إذا كان
سيبتس أم أنه سيصرخ.. وأنا من رق قلبي! كان في إمكانه على الأقل أن

يستاذن قبل تركي بهذه السرعة. في الواقع، هي أول مرة يحدثني فيها عن
أمه..

- لا تتعجلي يا "كال" ، لأنني أريد أن أكون رائعة.
كادت الخادمة الصغيرة تكون ثالثة مثل سيدتها. كانت "إيزابيل"
جالسة على مقعد بدون مسند، مستسلمة للصغيرة حتى تصنف لها
شعرها وفقاً للمناسبة. كانت في حالة اشتياق لمعرفة هذا النوع من
السهرات الأوروبية. تساءلت إذا كانت سوف تشاهد نساء في أبيه
الملابس؟ وإذا كان الرجال سوف يكون لهم نفس الروح. وعندما انتهت
"كال" ، القت "إيزابيل" نظرة أخيرة إلى صورتها المنعكسة على المرأة حتى
تشحقق من أن كل ما تم مناسب لذوقها. وإذا سرت لما شاهدته، لحقت
بالشابين اللذين كانوا في انتظارها في الصالون. كان الباب موارباً.
سمعتهما يمزحان معاً في مرح.
حيثند، عندما دخلت الحجرة، ثبت "بورى" نظره عليها، أما "هير"
فلم يرها عندما دخلت لأنها كان يعطي ظهره للباب. غير أن صمت محدثه
الفجائي، جعله يلتفت.

بعد برهة، قدم لاخته عبارات الإطراء:

- إنك رائعة يا اختي الصغيرة، ليس كذلك يا "بورى"؟
فكان من تنفس "إيزابيل" أن توقف رغماً عنها في انتظار ود الشاب.
و"بورى" صمت لحظة قبل أن يتكلم. بدا كأنه مستغرق في تأمل هذا
الناظر - الذي يظنه حلماً - البادي أمامه. إذ كان فستانها الدانتيل - وهو
باللون الأخضر - بيده مكللاً قوام الفتاة. وفتحة الصدر كانت تكشف عن
كتفين وعنق آية في الجمال. أما شعرها الذهبي فكان يحيط بوجهها
ويسقط على عنقها في خصلات متسمجة. وكانت تضع "بنطاطيف
كحلينا" من الزمرد لاماً على بشرتها الناعمة. فما كان من "بورى" إلا أن
تمضي دون أن يبعد نظره عنها:
- ستكونين ملكة السهرة.

في قاع السلة، عينان سوداوان تتظاران إليها في شبه توسل. تناولت بين
يديها كرة بيضاء مرتجلة. أرمي الكلب الصغير على صدرها، وأخذ
يتشم ليتعرف على الرائحة.
تأثير الفتاة مثل هذه الرقة وهذه الثقة، أخذت تلاطف بمحاسنة الأمومة
الشعر الحريري.

- سادعوه "كابوك". لكن بالمناسبة، كيف وصل هذا الحيوان الصغير
إلى هنا؟
- إنها مفاجأة من السيد "بورى". إذ إنه يعتقد أن ذلك قد يقلل من
الضيق الذي تعانيه.

لم تتحقق الفتاة الإجابة التي سمعتها من وصيتها.
خرجت "إيزابيل" من حجرتها وهي ممسكة بالكلب الصغير، وفي
عنابة ضمته إلى صدرها. وفي تعجلها كادت تصطدم بـ "بورى" الذي كان
متوجهًا إلى المكتبة. أبدى هذا الأخير ابتسامة حانية عندما شاهد هذا الناظر
الجميل. شعرت "إيزابيل" فجأة بالخجل دون أن تدرك السبب:
- كنت أرغب في تقديم الشكر لك على تفكيرك هذا.. كم أنه
لطيف!

استمر الشاب في الابتسام، ثم مد يده ولاطف الحيوان الصغير. رق
قلب "إيزابيل" لهذه الحركة. و"بورى" أردف بنبرة ودية:
- كان لوالدتي واحد مثله تماماً. إنها حيوانات اليقة ومخلصة. ولقد
توفي كلبها عقب وفاتها حزناً عليها.
في هذه الآثناء، كانت "إيزابيل" قد رفعت عينيها، فتلقت
نظراتهما.

كانت هذه هي المرة الأولى التي قرأت فيها على وجه الشاب الحنان
خالياً من أي أثر للسخرية. من الممكن أن تكون الأمور بالنسبة له مختلفاً
البساطة لو استمر على هذا الحال! ثم - وقد بدا كمن يتنزع من حلم -
حول عينيه وخرج تاركاً خلفه الفتاة وقد فوجئت بهذا الابتعاد الفجائي.
نهدت وهي تلحق بحجرتها. لن أتمكن أبداً من معرفة ما إذا كان
سيجتمع أم أنه سبُرخ.. وأنا من رق قلبي! كان في إمكانه على الأقل أن

بعد ذلك مر أحد الخدم حاملاً كوب الشراب مع حلوى "لقصة القاضي". وإذا بـ"بورى" - وكان حتى تلك اللحظة يعطيهما ظهوره - يلتفت إليهما، على ما يبدو لكي يتناول كاساً. اشترك في الحديث، وابتسمة عريضة على وجهه:

- أخشى أن تقل الآلة "سان فلوري" خشونة حياتنا بسرعة.
- أقطعني غير كفيلة بتقدير جمال الطبيعة؟ أما عن الخشونة أو غيرها من المظاهر هنا، فإن هذه السهرة تبدو لي رائعة، ليس كذلك؟
كانت تنكلم بلهججة جافة. إنحني "بورى" وهو مستمر في الابتسام
وابعد، لم تعد بعد ذلك "إيزابيل" تصغي إلى ما يقوله لها الكوكت، بل
كانت تتبع الشخص الذي ابتعد، مكررة لنفسها: "ما الذي ينبغي أن أقوم
به لكي يغير رأيه".
- هل تسمحين لي بمنحي سعادة الحصول على هذه الرقصة، رقصة
الفالس؟
وافاقت "إيزابيل" على دعوة "إميريك دي كيريفيجون". وإذا
بالاوركسترا يقوم بعزف مقطوعة لـ"جونان شتراوس"، ورقصت الفتاة مع
فارسها. أما "بورى" فكان قد اختفى. وما إن انتهت من رقصتها الثالثة مع
الكوكت، تقدم "بورى" إليها.

- أفي إمكانني الحصول على متعة الحصول على الرقصة القادمة معك؟
 وأشارت "إيزابيل" بالموافقة بإيماءة من رأسها. كانت قد فوجئت بلهججة
الشاب المتకلفة، الجادة. وعندما حوطها بذراعه، اقشعرت كما يحدث لها
كلما شاء القدر أن يأخذها بين ذراعيه. استسلمت لهذه الدوامة المدوخة.
لم يتسبّب بكلمة.

استسلمت "إيزابيل" نفسها إلى هذه الذراع التي تمسك بها بقوّة، وفي
النهاية، تئم "بورى":

- شكرًا.
واختفى دون أن يلتفت. كانت الفتاة قد عجزت عن التفكير في هذه
الأمور. لقد وجدت متعة في هذه الرقصة؛ فهو يجيد الرقص وخطواتنا
كانت متفقة تماماً.

ثم - مقترباً منها أكثر من اللازم - قدم لها ذراعه لكي يصطحبها إلى
العربة المكشوفة.

وخلال الرحلة القصيرة التي قاموا بها للوصول إلى آل
"ديباسين" حدثهما "بورى" قليلاً عن الحبران:
- إن أسرتهم تعتبر أكثر العائلات ثراءً وأقدمها.

توقفت العربية بعد قليل أمام مدخل كامل الإضاءة. تواجهوا أمام مبنى
أشبه بقصر ذي طراز معماري بسيط، لكنه مهمٌّ ملأه من ضخامة.
تقدمت مضيقتهم في الحال إلى العتبة لاستقبالهم. كانت السيدة
"ديباسين" محتفظة بالملابس الأوروبية القديمة: فستان من الحرير الأسود،
وصدر من الركامة البيضاء. وكانت تضع على رأسها وشاحاً من الدانتيل
الأسود، وشالاً من "الكتشمير" على كتفيها. تأثرت "إيزابيل" عندما
شاهدت الطيبة وحسن اللقاء على وجه مضيقفهم. ولدوا صالوناً ضخماً.
نحو عشرين زوجاً كانوا جالسين على أرائك وثيرة يمزحون في مرح. أطلقوا
جميعاً صيحات الإعجاب أمام زينة وهندام الفتاة، وأمطروها بالأسئلة عن
الحياة الباريسية. وكانت تحاول - مبتسنة - أن تجذب عنها كلها، وأخذت
تحكي لهم بروح الفكاهة عن حياة العاصمة.

فجأة هلت "بورى" وسط جماعة من الرجال، يلقون إليها نظرات
سخرية. تخلت عنها حالة الارتياب.
شعرت بوجة من العصبية تتملّكها.

- لك مني كل الإكرام يا آنسني. كم أني سعيد بمعرفتك.
إن الذي قدم هذه التحية شخص فارع، كان يتكلّم وهو يتحمّل
أمامها.

ثم قامت السيدة "ديباسين" بتقديمه لها:
- إنه الكوكت "إميريك دي كيريفيجون" ، أكبر مزارعي الجزيرة.
كانت قوّة هائلة تبعث من هذا الرجل. توجه في الحال إلى الفتاة:
- لقد كنت في "باريس" منذ شهرين. كنت هناك في انتظار
الـ"سالفاريني". ياله من صوت. لا بد أن جزيرتنا تبدو لك فاتحة بالنسبة
لحياة العاصمة التي كنت تعيشين فيها.

هل هذا هو السبب في أنه لم يقم بذلك؟ إذا كان يعتزم جعل "أوميلين" سيدة الـ"بافيون" لتعرضت أنا لأن أكون ثقيلة، إذن كان يحاول إقناعي بالعودة إلى فرنسا.

توقفت "إيزابيل" قليلاً عن التفكير. "كيف فكرت في مثل هذا الأمر؟ بينما هو يدعونا للبقاء عنده. ما سبب اهتمامي بما يمكنه أن يقول أو يفعل؟ وما أهمية رأيه في؟ إننا نعرف بعضنا منذ فترة قصيرة".

في هذه الآثناء، كان الكوتوت يحترم صمت الفتاة، آملًا أن تخل بـ: - اعتقاد أنه ينبغي أن أغورد،أشعر بشعب شديد. إنها غلطتك. لقد أسرفت في الرقص.

ثم بعد أن قدموا الشكر لضيوفهما، عادا إلى القصر. وكان "هيبر" مبتسماً، راضياً عن هذه السهرة. - اعتقاد يا اختي العزيزة، إنك كنت موضوع اهتمام الكوتوت "دي كيريفيجون".

لم تكن في كلمات "هيبر" أية لغة مكر، لكن "إيزابيل" أحمرت لها. لقد أصيبت بالخرج عندما تحدث آخرها عن أمر كهذا أمام "بوري". لم يعلن هذا الأخير، لكن "إيزابيل" شعرت في الضوء الخافت -بنظره الشاب الخارقة مسلطة عليها.

الفصل السادس

- عفوا يا آتيتي، لقد وصل باسمك طرد كبير. وـ"سبناماليه" يسأل أين نضعه؟

كانت الصغيرة "كال" قد دخلت مسرعة عند "إيزابيل"، وفضولها يدفعها لمعرفة ما يدخل هذه اللغة. أسرعت الفتاة إلى النافذة حيث كانت تتبع منها هنافات قد أتت إلى مسامعها، لكنهالم تعرها أي اهتمام.

صاحت متوجهة:

- لقد وصل.

ثم قالت لـ"كال":

- أيتها الآنسة "دي سان فلوري" العزيزة، هل أحجز على طلب رقصة أخرى معك.

وافتقت "إيزابيل" مبدية إلى الكوتوت ابتسامة ماكرة. اندفعاً وسط الأزواج - وقد أخذ عددهم يتزايد - الذين كانوا يرقصون على الحفلة. وكانت "إيزابيل" هي التي بادرت بالكلام:

- إنك راقص فالس مدهش. لقد حفقت من ذلك. أترغب في مرافقتي للخارج؟ ربما نجد بعض الهواء هناك.

استندت إلى درايزين الشرفة. حينئذ صاحت "إيزابيل":

- إن هذه العطور تعتبر من الروائع. أخذ الكوتوت يسألها عن مصدر كل رائحة تتبع من كل مسطح للزهور بعد الآخر.

- إنها رائحة هذه الشجيرات المتواجدة في نهاية الشرفة. نظرت "إيزابيل" في الاتجاه الذي يعنيه رفيقها. وامتنعت بصعوبة عن إطلاق صيحة دهشة.

- إنه صديقنا "بوري" مع الصغيرة العزيزة "أوميلين". بدا الكوتوت مبتهجاً. "أوميلين ديباسين" ابنة مضيقتهم. تذكرت "إيزابيل" أنها قدمت لها في بداية السهرة. فهي فتاة سمراء ذات ملامح جذابة، كانت قد بدت لها ودية، بل ربما بدت خجولاً.

استطرد "إميريك" وهو يطلق ضاحكة تحمل معاني كثيرة: - هذان الشخصان متتفاهمان بدرجة كبيرة، وكل منهما لا يحب المجتمعات كثيراً.

وكانت "إيزابيل" إزاء كل هذه الأطوار تنتقل من دهشة إلى أخرى. هذا هو السر في زفاف إلينا خبر هذه السهرة. فهو لا يرغب في أن يفقد فرصة لقاء بـ"أوميلين". لقد فهمت الآن كل ملاحظاته لي بشأن الاحتفالات. ومن البدائي، إذا كانت "أوميلين" تشاركه في الرأي فهي مولودة في الجزيرة، وتعرف كيف تصرف. وقد لا ترتكب الأخطاء التي غفلت عن تجنبها. ومع ذلك، لو كان "بوري" قد حاول مساعدتي! لكن

- لقد منحتني متعة كنت لا أعتقد أنني لن أجده فرصة تذوقها في هذه الجزيرة. أقدم لك عنها شكرًا صادقاً. ربما نتمكن من إقامة سهرات موسيقية؟

ـ ها هي حجة قد وجدتها لكي يستدعي "أوميلين" هكذا حدثت إيزابيل ذاتها. استسلمت لنظرات الشاب وهي تشعمق في نظراتها، وكأنه استنتاج أفكارها، قطب حاجبيه، محاولاً قراءة ما تخفيه نظرة الفتاة. بعد لحظة تردد، خرج من الحجرة بسرعة، ودون أن ينطق بكلمة كعادته ظاهر "هيبر" بأنه يجد في ذلك أمراً طبيعياً.

ـ بعد قليل، رن جرس الغداء لكي يجتمعوا في حجرة الطعام. وأثناء تناول هذه الوجبة كانوا يمزحون بمرح. كان "بورى" يكثر من الكلام. لقد أبدى حماساً وانتعاشاً مع أنه يبدو فاتراً في المعناد.

ـ "ليرزت" أكثر تعبيراً من "شوبان"؛ لذلك، عزف مقطوعاته محبوب أكثر.

ـ كان بذلك يظهر ما له من ثقافة موسيقية. ولقد بدا في عيني "إيزابيل" و "هيبر" أنه من عشاق الموسيقى. قدمت "إيزابيل" اقتراحها هذا: سأعمل على البحث عن بعض الفوائل في فترة بعد الظهير حتى نتمكن من إقامة حفل غنائي هذا المساء.

ـ حينئذ اختفت ابتسامة "بورى". خفض عينيه على طبقه، مع أنه كان متمنعاً بمزاج حسن حتى تلك اللحظة. هل كان يرغب في منعها من التوجه إلى "سان ديفيس"؟ لماذا يتربّط تحركاتها على هذا النحو؟ ثم تجنب نظرات الفتاة حتى نهاية الوجبة.

ـ في بداية فترة بعد الظهر، استدعت "إيزابيل" "بيلوني" لمنتها بعض الأوامر.

ـ أود أن تدعدي لي عربة، وأن ترافقيني إلى المدينة للقيام ببعض المشتريات.

ـ على الرغم مما بدا على الخادمة من عدم تقبل لهذا العرض، إلا أنها

ـ يحب وضعه في الصالون الصغير الموجود أسفل حجرتي. احرضي على أن ينتقل بمزيد من العناية. سأنزل حالاً. وما هي إلا لحظات، وإذا بـ "إيزابيل" قد وصلت إلى الصالون الصغير. كان "بيماهو" و "ميناماليه" والسايس قد وضعوا الطرد الثقيل وناهياً لفكه.

ـ إنه بيانو كبير الذي ظهر في الطرد، أمام صرخة إعجاب أطلقتهما الصغيرة "كال". ثم -فور انتهاءهم- أقبلت "إيزابيل" على عجل لكي تخبره. لاطفت برقة الأصابع قبل أن تبدأ تعزف. ثم صدر من تحت أصابعها لحن رقيق هادئ.

ـ إنه ليس في حاجة إلى إصلاح، على الرغم من هذا السفر الطويل.

ـ رفعت "إيزابيل" رأسها عند سماع هذا الصوت المألوف عندها. إنه "بورى" وقف على عتبة الباب:

ـ أيتها الكنوم الصغيرة، لم تخبرينا بأنك كنت قد أوصيت بإحضار البيانو.

ـ كانت اللهجة ودية. اتجه نحوها وجلس بجوارها أمام البيانو وقام بتعريف فالس لـ "شوبان". في تأثيرها، وقفت "إيزابيل" تستمع إلى اللحن الصياد من تحت أصابع الشاب المرأة. لم يخيل لها أنه في الإمكان عزف لحن لـ "شوبان". بمثل هذا الذكاء وعن ظهر قلب. دفعها شعورها بأن أحداً ما يراقبها إلى أن ترفع عينيها نحو الباب. إنه أخوها ينظر إليهما دهشًا. أنهى "بورى" وصلته الأخيرة و "هيبر" صفق.

ـ لقد أخفيت علينا موهبك كموسيقار أيها الصديق العزيز. أين تعلمت العزف بمثل هذا الاتزان؟

ـ السيدة "ديباسين" هي أستاذتي، لكن يجب الاعتراف بأن البيانو الذي تمتلكه لا يقارن بالذى لكما.

ـ عضت "إيزابيل" على شفتيها حتى لا تنطق بصوت عالٍ بما أتى إلى ذهنها من خواطر. وأعتقد أنكما كنتما تعرفان باربع أيادٍ مع "أوميلين"؟ الثفت نحوها الشاب، وبينية دافئة جعلتها ترتجف شكرها:

ولما نظرت إليه "إيزابيل" في دهشة غير مصطنعة، واصل مبتسماً:
— لا تدهشي لاني أعلم من أنت. سان ديبس مدينة صغيرة
وسرعان ما يشاع فيها أي خبر.

كانت "إيزابيل" مازالت تحت تأثير هذه المفاجأة. بذلك علم الاشخاص
الذين شاهدوها وهي تتر في عربة غير مكشوفة من هي! انتظر البائع أن
تنتهي من تأملها الداخلي لمعرفة ما تريده.

سأله:

— الذيك أقسام قطع موسيقية للبيانو؟
ولج الرجل حجرة ملحقة بالأهل أقل مساحة وأكثر ظلمة، وعاد حاملاً
عموداً من المقطوعات الموسيقية ووضعها على الطاولة. أحضر مقعداً حتى
لا تضيق "إيزابيل" عند قيامها بالاختيار، ثم اختفى في البدروم. عاد بعد
بعض دقائق حاملاً لفة كتب ووضعها على مائدة.

وأشارت الفتاة إلى المقطوعات الموسيقية قائلة:

— سأخذ هذه.

— حسناً جداً.

— لا هكذا أضاف عندما رآها وقد بدت ترحب في التعديل.
سأجعل ذلك على حسابك، وسترى بعد ذلك. مقابل ذلك أود أن أسألك
إذا كان في إمكانك حمل هذه الكتب إلى "بايفون".

كان يشير إلى اللغة التي أصعدها. فتحها من باب اللياقة وقال:
— إنها من المؤلفات التي أوصاني بها السيد "الميلرو". يوجد بها
معاهدة زراعية وقصص "فولتير" وأشعار السيد "شينيه". لم أستلم بعد
الـ"أتالا" للسيد "دي شاتوربريان". ربما يصل على السفينة القادمة.
ذهلت "إيزابيل" لما سمعت. استاذت من البائع وهي شاردة:
— لا تخش من شيء. سوف أنقل إليه رسالتك.

وعندما خرجت، أشارت إلى "بيلوني" بوضع اللفة في العربة، ثم
جلست على الأريكة. "فولتير"، "شينيه"، "شاتوربريان"، بذلك رأت أن
هذا الرجل مهتم بالأدب وبالشعر. وكما اعتادت اكتشاف وجه جديد في
شخصية "بوري" في كل مرة، راقها هذا الطبع. لكن، لماذا يتمسك بـ

قامت بالتنفيذ. كانت السيدة المسنة في الانتظار بجوار العربة عندما نزلت
"إيزابيل".

سألتها دهشة:

— لماذا لم تعطي على إعداد العربية المكشوفة؟
وضح لها "بيلوني":
— لأن الطقس حار جداً يا آنسني. وحرارة الشمس قد تضرك عندما
تنزل على رأسك.

"لماذا يعملون على محاصري، والخليولة دون أن يراني أحد؟" أدارت
لها "إيزابيل" ظهرها، وصعدت إلى العربة. سارت الخيل بخطى بطئٍ بطول
شارع "دوريه" الحاذٍ للمدينة على شاطئ البحر. كانت على جانبي
الطريق أشجار المانجو تلقى بظلها المطفئة للجو. أعجبت في طريقها
بمساكن الجزيرة الصغيرة ذات الطابع الخاص بها. شاهدت جدرانها وهي من
الألوان الخشبية مطلية باللون الأبيض الناصع. والاسطح المنحدرة مصنوعة
من قطع خشبية مربعة. كم ذهلت الفتاة عند رؤية الشجيرات الكثيفة
المكونة للحدائق.

كانت "بيلوني" صامتة احتراماً لصمت سيدتها. كفت هذه الأخيرة
عن التامل. ثم أردفت:

— أرغب في التوجه إلى مكتبة متميزة.
مالت "بيلوني" على باب العربة لكي تامر السائق "بيماهو":
— اصطحبنا إلى السيد "كونفالجي".

توقفوا بعد قليل أمام حانوت صغير من الخشب يعلوه العبار. قامت
"بيلوني" بفتح الباب له "إيزابيل" ودعتها تدخل الخل بمفردها. انتظرتها على
عقبة الباب. كان على الفتاة أن تعتاد أولاً الضوء الخافت الذي يملأ المكان.
كانت الجدران مغطاة بالكتب. اصطدمت "إيزابيل" بعمود من الكتب.
بدأ أمامها رجل قصير القامة في رداء رمادي داكن، وعلى أنه نظارة.
بادرها بقوله:

— صباح الخير يا آنسة "دي سان فلوري". لقد تشرفت بزيارتكم. إن
محلي يضع كل إمكاناته وموارده في خدمتك.

وأصلت "إيزابيل":
- ربما يكون لأحد المزارعين؟
اضطربت السيدة المسنة على مقعدها، وقالت في تردد:
- لا.. لا حقا..
- في النهاية يا "ببلوني"، ما معنى ذلك؟ من حقي أن أعلم؟
ونما جعلت الفتاة لكلماتها نبرة تدل على السلطة، قررت "ببلوني" ان تتكلم بعد تردد:
- حسنا.. ها..
خجلت "إيزابيل" بعض الشيء لأنها تعلم انه ليس لديها اي سلطان على "ببلوني" ، مادامت مجرد مدعوة في "بافيون".
- إنه من أجل علاج الأقدامين، لأنه عندما يعجز بعض المزارعين عن العمل، فهو يظل على الرغم من ذلك في المبنى الذي شيده السيد "بورى" في "مار-آسيتون" حيث يقضون فيه آخر أيامهم. هذا بالنسبة للخدم فقط، لأن الآخرين يفضلون العودة إلى ديارهم. لقد متهم السيد "بورى" رقعة من الأرض يستطيعون زراعتها خضراواتهم فيها. كما انه يعطيهم لحوما وارزا وأسماكا في كل شهر. وبالتالي كيد لهم الحق أيضا في كمية من السكر من هذه الزراعة. كذلك ياتي الطبيب لعلاج المرضى، وعلى شراء العلاج.
كانت "إيزابيل" قد استمعت إلى ما سرده "ببلوني" دون أن تقاطعها. كانت السيدة المسنة قد تشجعت أثناء سردها للأحداث. وفي النهاية بدت مسرورة لأنها وجدت الفرصة التي تقرنها من الفتاة بمنحها هذه المعلومات.
- إنه حقا طيب معنا السيد "بورى". وكذلك كان السيدان "أندريان" و"أنطوان" ، لكن السيد "بورى" أفضل منها إن أمكن الاعتراف بذلك.
ولقد لمست "ببلوني" بلهجتها الساذجة فكرة "إيزابيل": إنه بالتأكيد كرم من جانبه - هكذا فكرت- إنها حركة تظهر إنسانيته نحو العاملين، الذين لم يمنحهم القدر بقدر ما منحه". لكنها لم تتمكن من الامتناع عن التفكير في شيء من المرارة: إنه حقا كرم. وهو يقوم دائما بما ينبغي ان يكون، وفي اكبر سرية ممكنة حتى لا يذاع عنه ذلك اي انه يعمل في

يبدو شخصا غير منصف وخشن؟ لم يسبق لي التساؤل عن اي شخص على هذا النحو. مهما اعتتقد، إن هذه الجزيرة تبدو لي أكثر ثراء من حيث طابعها الأصيل عن عاصمتنا".
اهتزت العربية، وعادت ثانية أمام الميناء.

ففكرت "إيزابيل" في اليوم الذي كانت قد نزلت فيه "سان جيران". تطلعت بنظرة جديدة إلى الجزيرة. وها هو المنظر المائل أمامها يبدو في عينيها جميلا، أخذادا مثل المرة السابقة.
عن يمين الميناء كان رأس "برنارد" يبعد اقتراب المدينة. إن هذه الصخرة تنزل عمودية في المحيط. أما بركان "بيتي بريليه" المغطى بالنباتات الفاخرة فكان يقوم بدور القاعدة لهذه اللوحة الرائعة. أما المساكن فكانت مصطفة بطول الشاطئ، وعلى جوانب البر كان يضيف إلى الخضراء اللونين الأبيض والاحمر. كانت "إيزابيل" موقنة بأنها تعلقت بهذا البلد، وأنها أحبت ما به من طبيعة وسكان. ساعمل على الكشف عن الأسرار التي تحفيظ "بافيون". أنا لا أرغب في العودة إلى باريس. ينبغي أن يتقبلني السيد "دي بالمير" ، ساعلم كيف أجبره على ذلك". قالت هذا، وقد بدت على شفتيها ابتسامة رقيقة. "أنا لست من يستسلم بسهولة. سيعمل ذلك على حسابه".

- الا يزعج الآنسة إذا توقفت عند الصيدلي، لقد أوصيته بشيء ما، لابد ان يكون قد أعددته.
كانت الخادمة المسنة قد كررت مقطوعتها دفعة واحدة تماما مثل دروس قد لقنه إليها أحد الأفراد. إن عدم ثقته بنفسه ليست من طبع "ببلوني" ، حتما هناك سر وراء ذلك".

- لا بالتأكيد. هل أنت مريض؟
أجاب:
- لا، لا.

تفحصت الفتاة الروجه الذي تعلوه التجاعيد الذي كان في مواجهتها. أما "ببلوني" فكانت لا تجرؤ على الالتفات. غير أنها كانت راضية عن ذلك.

الخلفاء.

لقد توقفت العربية و"بيلوني" نزلت منها. أما "إيزابيل" فكانت تواصل حديثها الداخلي. إنني لست مترفة به. ومع كل أنا لا أرى فيهم تهمني تصرفاته، طالما ليس لي الحق في الـ"بابيون". شعرت بوخز في قلبها كما يحدث لها في كل مرة تواجه فيها هذه الحقيقة الواضحة. إن هذا الوضع مزعج بالنسبة لنا. لقد تعلقت بهذا المنزل، وكم ساعاني إذا اضطررت لمغادرته". الفت نظرة شاردة من خلال باب العربية، نظرة غير مقصورة إلى شيء محدد، وكل ما يشغل فكرها ويصيبها بالقلق هو المستقبل الذي في انتظارهما، "هير" وهي.

لكنها هي عيناها تسجلان في حالة لاوعي - شيئاً ما أعاد إليها انتباها. حينئذ نظرت من فتحة العربية بانتباها إلى طرف الشارع. هناك ثلاثة رجال بالضبط عند زاوية الرؤبة، يديرون مؤامرة. شحبت عندما عرفت الشخص الذي كان يدير لها ظهره. إنني سخيفة. لماذا أشعر بالخوف؟ إن هذا الرجل لم يsei إلى فقط. هل ساستسلم لما يؤثر به في السيد "دي بالميرو"؟ لكنها عجزت عن إبعاد نظرها عن هذا الرجل المسن الذي علمت أنه متسلول الكاتدرائية. وأكثر الشبان الثلاثة الذي كانت "إيزابيل" تراه مواجهة. رفع رأسه عندما شعر بان هناك من يراه. أطلق صبيحة جعلت الاثنين الآخرين يلتفتان. وكلهم صاحوا بنفس الكلمة التي لم تدرك "إيزابيل" معناها. وها هي الآن تنظر إليهم بروح التسلية لفترة قصيرة، لأنهم في الواقع رسموا أنفسهم، في حين بدت عيونهم تدور في محاجرها وهرروا جريا.

كانت "إيزابيل" قد أفاقت من فزعها عندما عادت "بيلوني" وصعدت مرة أخرى إلى العربية. سررت لها المشهد، وختمت كلامها وهي تضحك:

- لقد تخيلت أموراً عجيبة.

ابتسمت "بيلوني"، و"إيزابيل" سمعتها تتمتم سراً:

- مرة أخرى هوا

اغناقت: "في هذه المرة، لقد فاض بي من هذه اللغاز. لا جدال في أن أنظاهر باني لم أسمع شيئاً".

- ماذا تقصدين بـ"مرة أخرى" يا "بيلوني"؟

ولما كانت تتكلم بلهجـة جافة، أخذت السيدة المسنة تشد جونلتـها رهي تحيـب في ارتياـك:

- إن آنسـتي أخطـاتـ، لم أـقلـ شيئاـ.

"إنـهاـ مـبالغـةـ هـكـذاـ فـكـرـتـ الفتـاةـ إنـهاـ تـكـذـبـ الآـنـ بـوـقـاهـةـ. إنـيـ وـائـقةـ بـأـنـيـ سـمعـتـهاـ. لـقـدـ سـمعـتـهاـ جـيدـاـ. وـمـفـهـومـ آـنـهـاـ إـذـاـ أـرـادـتـ أـنـ تـحـيـبـنـيـ فـسـوـفـ تـضـطـرـ إـلـىـ الـاعـتـرـافـ بـكـلـ شـيـءـ. مـاـذـاـ يـقـصـدـ بـ"كـلـ"؟ إنـيـ مـازـلـتـ فـيـ نـفـسـ النـقـطـةـ، وـأـصـبـحـتـ فـيـ حـيـرـةـ، لـاـ درـكـ شـيـئـاـ. تـنـهـدـتـ وـهـيـ تـنـظـارـهـمـاـ، "هـيرـ" وـهـيـ.

- إنـهـ دـيـ المـيـرـوـ ذاتـ طـابـ غـيرـ حـقـيقـيـ.

دهشتـ عـنـدـمـاـ سـمعـتـ بـ"بـيلـونيـ" تـحـيـبـهاـ بـطـرـيـقـةـ جـادـةـ جـداـ.

- لاـ تـشـقـيـ كـثـيرـاـ يـاـ آـنـسـتيـ، إـنـ هـذـاـ الـبـحـرـ خـطـيرـ. عـدـ كـبـيرـ مـنـ الصـيـادـيـنـ غـامـرـاـ فـيـهـ وـلـمـ يـعـودـواـ. إـنـ المـيـاهـ مـلـيـعـةـ بـسـمـكـ القرـشـ. كـمـاـ إنـ

الـتـيـارـاتـ الـخـيـطـةـ بـالـجـزـيرـةـ تـدـفـعـ بـالـسـفـنـ إـلـىـ الصـخـورـ فـتـحـطـمـ.

اقـشـعـرـتـ "إـيزـابـيلـ" عـنـدـمـاـ سـمعـتـ هـذـهـ الـعـلـوـمـاتـ. إـنـ هـذـاـ الـبـلـدـ مـلـيـءـ بـالـفـخـاخـ. وـكـانـ نـوـعـ مـنـ تـعـلـيمـ الـأـصـولـ بـجـبـ عـلـىـ الـمـرـءـ اـجـتـيـازـهـ قـبـلـ أـنـ يـقـبـلـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـرـضـ. أـعـتـقـدـ أـنـيـ قـرـرـتـ أـقـبـلـ مـنـ الـرـجـالـ وـمـنـ الـبـلـدـ".

فور وصولها، استدعت "إيزابيل" "كـالـ" إلى حجرتها. بـدـلتـ بـفـسـانـهاـ الـذـيـ مـنـ الشـانـشـوخـ الـأـزـرـقـ الـرـمـاديـ فـسـتـانـاـ مـنـ التـيـلـ الـبـنـيـ ذـيـ كـمـينـ طـوـيلـينـ. وـمـاـ كـانـ مـاسـاعـداـ عـلـىـ مـنـعـ هـذـاـ الـفـسـانـ الـبـسيـطـ الـذـيـ لـاـ تـرـيـهـ سـوـيـ بـعـضـ الشـرـطـ الـبـيجـ. قـيـمةـ، هوـ جـمـالـهاـ الـبـارـعـ.

- هلـ فـيـ إـمـكـانـكـ يـاـ "كـالـ" أـنـ تـقـرـدـيـنـ إـلـىـ "مارـآـسيـرونـ".

- آـهـ آـنـسـتيـ تـرـغـبـ فـيـ زـيـارـةـ الـقـدـماءـ.

أـخـذـتـ الصـغـيرـةـ تـصـفـقـ بـيـدـيـهاـ مـيـتهـجـةـ.

ـ هـاـ هـوـ مـاـ يـبـسـطـ وـيـسـهـلـ الـأـمـورـ".

ـ هـكـذاـ أـرـدـفـتـ "إـيزـابـيلـ".

كان يجب مطالبتها بالمشي.
وواصلت الصغيرة حديثها:
ـ إنها تدعى الجدة "كال" ، مثلـي . وأنا أحبها كثيراً، لأنها تحكي لي قصصاً كثيرة، كلـما ذهبت إليها . لقد كانت وصيفة مثلـي ، وكانت في خدمة السيدة "الكونستنـترا".
كاد اللجام يسقط من يد إيزابيل . أخيراً القـد عـشت على شـاهـدـ . ربما تتمكن بفضل "كـال" من الدفع بالعـجوـزـ إلى الكلـامـ، وهـكـذا تحـصـلـ عـلـىـ ما يـحـمـلـ هـذـاـ اللـغـزـ . وـمعـ كـلـ هـكـذاـ حدـثـ إـيزـابـيلـ نـفـسـهـاـ فـيـ حـينـ كـانـ "كـالـ" مـسـتـمـرـةـ فـيـ الكلـامـ . ربماـ أـنـ هـذـهـ الـأـلـاعـبـ مـنـ وـحـيـ خـيـالـيـ . وـمعـ ذـلـكـ، هـنـاكـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـصـادـفـاتـ حـتـىـ لـاـ يـكـونـ هـنـاكـ اـحـتمـالـ لـوـجـودـ حدـثـ مـاـسـاوـيـ يـعـملـونـ عـلـىـ إـخـفـائـهـ عـلـىـ .
ـ لقد وصلـناـ، إـنـهـ هـنـاـ بـالـقـضـطـ خـلـفـ هـذـهـ الـبـاقـةـ مـنـ الشـجـيـراتـ .
أـفـاقـتـ إـيزـابـيلـ مـنـ حـالـةـ التـفـكـيرـ الـتـيـ كـانـتـ فـيـهـاـ الـكـيـ تـقـودـ الـخـيـولـ .
بعدـ مـنـحـنـىـ ذـيـ زـاـوـيـةـ قـائـمـةـ، أـوـقـتـ الـعـرـبـةـ أـمـامـ مـبـنـىـ كـبـيرـ، جـدـرـانـهـ مـنـ الـبـامـبـوـ الـضـفـورـ وـسـطـحـهـ مـنـ أـورـاقـ النـخـيلـ (الـسـعـفـ) . كانـ أـمـامـ المـنـزـلـ تـجـمـعـ؛ إـذـ إـنـ جـمـيعـ الـرـجـالـ وـالـنـسـاءـ قـدـ دـفـعـهـمـ فـضـولـهـمـ إـلـىـ الـجـيـءـ لـمـشـاهـدـةـ الزـوارـ، عـنـدـمـاـ سـمـعـواـ صـوتـ عـرـبـةـ مـقـبـلـةـ .
ـ حـيـنـتـذـ فـهـمـتـ إـيزـابـيلـ لـمـاـ كـانـ "بـيـماـهـوـ" لـاـ يـرـغـبـ فـيـ تـرـكـهاـ تـرـحلـ بـمـفـرـدـهاـ . إـنـ أـولـكـ النـاسـ لـمـ يـسـقـتـ لـهـمـ رـؤـيـتهاـ قـبـلـ الـآنـ . ذـكـانـواـ يـتـفـرـسـونـ فـيـهـاـ فـيـ دـهـشـةـ . وـمعـ ذـلـكـ، لـمـ تـشـعـرـ إـيزـابـيلـ بـايـ عـدـاءـ مـنـ جـانـبـهـمـ . غـاـيـةـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ، كـانـواـ مـنـهـشـينـ لـرـؤـيـتهاـ ثـانـيـ نـحـوـهـمـ بـمـفـرـدـهاـ، لـاـنـهـ مـنـ الـمـوـكـدـ أـنـ "كـالـ" لـاـ تـمـنـعـ بـسـلطـانـ الـقـيـامـ بـعـلـمـيـةـ التـقـديـمـ أـوـ التـعـارـفـ . وـمعـ ذـلـكـ، قـامـتـ بـذـلـكـ عـلـىـ قـدـرـ اـسـطـاعـتـهـاـ .
ـ إنـهـ الـآـنـسـةـ "إـيزـابـيلـ" ، اـبـنـةـ أـخـ السـيـدـ "أـنـطـرـوانـ" ، لـقـدـ حـضـرـتـ لـكـيـ تـزـورـكـ .

ـ حـيـنـتـذـ صـدـرـتـ عـنـ الـفـرـيقـ الصـغـيرـ تـمـتـمـةـ تـدـلـ عـلـىـ السـرـورـ . فـقـامـ الـرـجـالـ بـشـحـيـتهاـ بـإـشـارـةـ مـنـ الرـأسـ . أـمـاـ السـيـدـاتـ فـقـدـ قـمـنـ بـاـنـحـنـاءـ . ثـمـ الـنـصـرـفـ الـجـمـيعـ فـيـ هـدوـءـ، كـلـ مـنـ جـانـبـهـ . وـلـقـدـ فـضـلـتـ "إـيزـابـيلـ" الصـمـتـ لـاـنـهـاـ

ـ اـطـلـبـيـ مـنـ "بـيـماـهـوـ" أـنـ يـعـدـ جـوـادـينـ .
ـ بـعـدـ أـنـ وـضـعـتـ شـالـاـ مـنـ الـخـرـيرـ الـخـفـيفـ، لـحـقـتـ بـ"كـالـ" الـتـيـ كـانـتـ تـنـتـظـرـهـ أـمـامـ المـنـزـلـ . وـكـانـ "بـيـماـهـوـ" وـاقـفاـ كـعـادـتـهـ بـجـوارـ الـعـرـبـةـ الصـغـيرـةـ .
ـ إـلـيـ أـيـ مـكـانـ يـاـ "بـيـماـهـوـ" . أـنـاـ الـتـيـ سـاقـوـدـ، لـاـنـيـ سـاقـوـمـ بـنـزـهـةـ مـعـ "كـالـ" .
ـ فـحـدـثـ أـنـ عـبـارـاتـ الـفـتـاةـ الـمـرـحـةـ أـوـجـدـتـ دـهـشـةـ عـمـيـقـةـ لـدـيـ الـخـوـذـيـ العـجـوـزـ .
ـ لـكـنـ يـاـ آـنـسـيـ، هـذـاـ مـسـتـحـيلـ! أـنـاـ لـاـ أـسـتـطـعـ تـرـكـكـ بـمـفـرـدـكـ!
ـ عـنـدـيـ "كـالـ" . إـنـهـ جـدـيرـ بـقـيـادـتـيـ، وـهـذـاـ كـافـ . لـنـ نـضـلـ الـطـرـيقـ مـاـدـمـاـ لـنـ نـغـادـرـ مـنـطـقـةـ الـأـمـلـاـكـ .
ـ أـخـدـ الـرـغـبـيـ الـمـسـنـ بـهـزـ رـأـسـ بـهـمـةـ:
ـ لـكـنـيـ لـاـ أـسـتـطـعـ يـاـ آـنـسـيـ . مـاـذـاـ سـيـكـونـ رـدـ الـفـعـلـ عـنـدـ السـيـدـ بـوـريـ؟
ـ نـفـدـ صـبـرـ "إـيزـابـيلـ":
ـ لـنـ أـقـدـمـ تـقـرـيـراـ عـنـ أـقـلـ الـخـطـوـاتـ الـتـيـ أـقـومـ بـهـاـ إـلـىـ السـيـدـ "بـالـمـيـروـ" .
ـ لـقـدـ قـرـرـتـ التـوـجـهـ لـلـنـزـهـةـ وـسـوـفـ أـنـفـذـ ذـلـكـ .
ـ ثـمـ بـحـرـكـةـ وـاثـقـةـ، تـنـاـولـتـ الـلـجـامـ مـنـ "بـيـماـهـوـ" الـذـيـ تـرـكـهـاـ تـنـصـرـفـ،
ـ وـقـدـ بـدـاـ عـلـيـهـ الـفـزـعـ وـلـمـ يـقاـمـهـاـ . صـعـدـتـ إـلـىـ الـعـرـبـةـ، وـ"كـالـ" تـبـعـتـهـاـ،
ـ وـانـصـرـفـتـ فـيـ الـحـالـ . التـفـتـ الصـغـيرـةـ وـقـالـتـ ضـاحـكاـةـ:
ـ لـوـ رـأـيـتـهـ، إـنـهـ يـبـدـيـ حـرـكـاتـ وـهـوـ يـصـبـحـ مـطـالـباـ إـيـاناـ بـالـعـودـةـ . إـنـهـ يـبـدـوـ
ـ مـنـزـعـجاـ .
ـ كـانـ تـبـدـوـ مـسـرـوـرـةـ لـقـيـامـهـاـ بـهـذـاـ التـصـرـفـ إـلـازـ الـخـوـذـيـ . وـبـدـأـتـ
ـ تـنـحدـرـ فـيـ مـرـحـ:
ـ إـنـ فـكـرـةـ آـنـسـيـ جـيـدةـ جـداـ . كـمـ أـنـيـ مـسـرـوـرـةـ . بـذـلـكـ سـاـنـتـكـنـ مـنـ
ـ مـشـاهـدـةـ جـدـتـيـ، لـاـنـهـاـ أـصـبـحـتـ غـيـرـ قـادـرـةـ عـلـىـ التـنـقـلـ، وـمـنـ جـانـبـيـ، لـاـ
ـ أـسـتـطـعـ الـذـهـابـ إـلـيـهـاـ سـيـرـاـ عـلـىـ الـأـقـدـامـ .
ـ "إـيزـابـيلـ" اـبـتـسـمـتـ . إـنـ "كـالـ" لـطـيـفـةـ، تـؤـدـيـ عـمـلـهـاـ بـالـأـمـانـةـ لـكـنـ مـاـ

- نعم - بالتأكيد - لقد ماتت في هذه الظروف، لكن ليس بسبب السيد "بورى" ، وهذا كان بسبب ما حصل قبل..

توقفت فجأة. لقد ارتجف ذقنهما عندما تذكرت هذا الحادث. بدت كأنها تعيش هذا الماضي المؤلم. و"إيزابيل" لم تجرؤ على إضافة كلمة واحدة خشية خروج السيدة المسنة من هذه الحالة التي بدت عليها. غير أنها قد تضحي بكل شيء لمعرفة ما عاصرته الجدة "كال" في هذه الفترة. فجأة بدت هذه الأخيرة وقد خرجت من فزعها. ها هي الآن تنظر إلى "إيزابيل".

وقالت:

- لكن لا ينبغي التحدث عن كل ذلك. لا.. لا ينبغي. لأنه أمر مفرغ. يجب الا نوّقظ الشياطين.

لذلك لم تلح "إيزابيل". شعرت بأنه لا فائدة من إرغامها على التحدث. لنحصل على مزيد من المعلومات إذا كانت السيدة المسنة قد عزمت على الصمت. مرة أخرى شعرت الفتاة بالارتباك، وأخيراً حصلت على ما يؤكد شكوكها. أما أمها حديث حقاً، فهي لم تعد تعرف عنه المزيد. تاهت للرحيل. أصلحت من شالها على رأسها، وإذا بالعجز تنتفض عندما شاهدت خصلات شعرها الذهبي. ذكرت اسم الله وقد ازدادت تجاعيد وجهها.

ضمت يديها وتنعمت:

- يا إلهي، أعمل على الا ينكرر ذلك.

شعرت "إيزابيل" بأن صلاتها حارة ونابعة من أعماق قلبها. إنها اللحظة الملائمة لدفعها إلى الكلام.

وفي هدوء سالتها:

- ما الذي لا ينبغي أن ينكرر يا جدة "كال"؟

- آه لا، يجب الا نتكلم عن ذلك. أبدا.. أبدا.

كان الحروف يادياً عليها. قبلت يد الفتاة واتجهت نحو المنزل باسرع ما يمكن. حينئذ وقفت الصغيرة "كال" إلى جانب "إيزابيل" ، لا تدري ماذا تفعل.

أردفت الفتاة:

كانت لا تدري بمقدار أولئك الناس الذين لم يسبق لها التعرف بهم. بعد قليل، ظهرت سيدة مسنة، قصيرة القامة، تقدمت بصحبة متوكلة على عصا.

أمرت "كال" إلى لقائها وهي تصيح:

- الجدة "كال" .

نزلت "إيزابيل" من العربية في بطيء واتجهت نحوهما. كانت الاشتان حقيقتين من الزمن: الصغيرة "كال" وكلها حيوية ونضارة وقد خرجت للحياة لتوها، والجدة "كال" المشقة بالسنين والخبرة ذات الوجه الذي تنطيه التجاعيد والعيدين اللتين مازلتا يقطعن. شعرت "إيزابيل" في الحال بالخجل من حشو هذه السيدة المسنة لما شاهدته على محياتها من طيبة.

- هل تعلمين يا جدة أني - أنا أيضاً - وصيفة الآنسة "إيزابيل"؟ وانتصبت الصغيرة "كال" في اعتزاز، أما "إيزابيل" فكانت تترقب رد الفعل عند جدها. بدا الرضا على هذه الأخيرة إزاء إعلان حفيتها لهذا الخبر.

- لقد أخبرتني "كال" بأنك عملت في خدمة السيدة "الكسندر". لقد شاهدت صورتها في الصالون. كانت رائعة الجمال، أليس كذلك؟ استثار وجه السيدة المسنة. حينئذ تنفست "إيزابيل" لأنها كانت تخشى الحصول على صمت تمام.

- لقد كانت السيدة "الكسندر" سيدة عظيمة، وكم كانت جميلة، طيبة ووديعة معنا. الجميع كانوا يحبونها. ولقد كان حزتنا عميقاً. آه نعم. إنها كانت لا تستحق ذلك.

كانت الجدة "كال" تهز رأسها أثناء تفوتها بهذه الكلمات والدموع غلاً عينيها.

- لقد توفيت اثناء ولادة السيد "بورى" ، أليس كذلك؟ كانت "إيزابيل" تتكلم بصوت قلق، إذ كانت تتساءل إذا ما كانت سترى أخيراً السبب. وكانت الخادمة السابقة تتطلع إليها بعينين فاحضتين، وكانها تنظر من خلالهما، بعيداً إلى الماضي.

هذه الأخيرة رأت هي أيضا خبلا. لا تستسلمي إلى الخوف بلا داع
ـ هكذا تعقلت محدثة نفسها. ستصل بعد قليل. لن يعتدي علينا
بالقرب من المنزل.

وفي الواقع، كانت "إيزابيل" ترى أضواء الـ "بايفون" عن بعد. فجأة
سمعت الفتاتان صوت حواري تدب على الأرض. وإذا بغارس يقترب.
القصتنا الواحدة بالآخر وتسمرتا من الخوف في مكانهما. بعد
قليل، بدا رجل في هذا الضوء الخافت.
ـ إنه "سيناماليه"! إنه "سيناماليه"!

أصبحت "كال" في غمرة السرور. تنفست "إيزابيل". كان الرجل
ـ موضع ثقة "بورى" - مسماً بمصباح لكي يضيء الطريق، كما أنه كان
مستلحاً بسيف. هل كنت على حق عندما خفت؟ هكذا سالت
ـ "إيزابيل" نفسها.

ـ عندما وجد السيد "بورى" انكمالاً تعوداً حتى الآن، أرسلني
للبحث عنكم، لأنه لا ينبغي أن تعوداً بعد سكون الليل يا آتستي، لأننا لا
ندرى مع من نتقابل في الظلام.

ـ كان قد عانى قلقاً شديداً. تقدم العربية بحراوه وهو يضيء لهما
الطريق. عندما اطمأنت "إيزابيل" ظلت انظل اختفى باعجوبة كما
ظهر. إنه ظل رجل. لكن من؟

الفصل السابع

ـ عندما دخلت العربية الفنا، أسرعت "بيلوني" للقاء الفتاتين.
ـ ألم يصبكما شيء؟ لقد غضب السيد "بورى" لعدم مراقبتي لكم!
ـ وإن لم أكن أعلم أنكمما خرجتما!
ـ غير أن الطمانينة كانت بادية على وجه المسيدة المسنة عندما رأتهما
ـ عائدين سالمتين.
ـ ثم تحول قلقها إلى غضب. التفت إلى "كال" ، التي كانت تحاول الاختفاء
ـ خلف سيدتها.

ـ ستعود.

ـ ثم عندما جلستا في العربية، إذا بفريق صغير من نحو عشرة رجال
ـ ونساء آتجه نحوهما. قدموا إلى "إيزابيل" سلة مليئة بالفواكه.

ـ إنها من أجلك ومن أجل السيد "بورى". إنها أكبر ثمار المزرعة.
ـ السيد "بورى" يحبها جدا.

ـ قاما جميعاً بهذا الحديث مبتسمين وهم يحركون رؤوسهم. كان
ـ الاعتزاز بالنفس بادياً عليهم لنجاح عملهم. "وهم على حق" هكذا
ـ فكرت "إيزابيل" - لأن هذه الفواكه رائعة". تأثرت لهذه الحركة، وأجايبتهم
ـ في بساطة:

ـ شكرًا جزيلا.

ـ ثم بعد أن أبدت إشارة وداعأخيرة، دفعت الحمودين إلى التقدم.
ـ وكانت أثناء تقدمها بالعربة، تبتلع خبيبة أملها. أمر مشير. كانت مشككة أن
ـ تدرك كل شيء عن الموقف! وكانت "كال" لا تجرؤ على قطع صمت
ـ سيدتها.

ـ ضغطت "إيزابيل" مسيرة الحمودين لأن الغسق قد بدأ يخيم على
ـ المكان. كان قد سبق لها ملاحظة أن الليل ينبع النهار خلال دقائق فقط في
ـ هذا البلد الاستوائي. وكانت حرريصة على لا تتعرض لأي مخاطر كان ترى
ـ العربية تهوي في هوة، أو أن ساق أحد الحمودين تصاب بالتواء. فجأة سجل
ـ ذهنها - في يقظة - نفس الصوت للمرة الثانية. نوع خفييف بسيط لا يرقى
ـ فحسب السكر العالية التي تخيط بالدرب الذي تسلكه.

ـ ثم يصدر هذا الصوت يا "كال"؟

ـ كان صوت "إيزابيل" مشدوداً بعض الشيء.

ـ قد يكون عن حيوان يسبر في الحقل.

ـ كانت الخادمة الصغيرة تبدو غير مطمئنة. ضمت جونتها حولها.
ـ والآن ها هي "إيزابيل" تصفى بانتباها. وإذا بالصوت يتكرر للمرة الثالثة.
ـ اقشعرت رغماً عنها. ظلت أنها تحت ظلاً منعكساً على الطريق. بحاستها
ـ ضربت الحمودين لكي يتقدماً بسرعة. حينئذ تقابلت نظراتها بنظرات
ـ "كال". ودون أن تحتاج إلى تبادل كلمة واحدة مع وصيفتها، علمت أن

ولما كانت "إيزابيل" تشغّل بالها بهذا الأمر، تذكّرت أن الشابين في انتظار إجابتها. نظرت إلى عيني "بورى" وقالت في سطّاطة:
ـ لقد توجهت إلى "مار-آستيرون" في زيارة لجدة "كال"، ولقد أعطاني القدامى فواكه رائعة لك.

رأت أن نظرته تعتمّت وأن فكّه تقلصاً. توقّعتـ في هدوءـ أنه سوف يشور، ولم تبعد نظرها عنه. "كنت غبية عندما ظننته قلقاً، لأنّه يجنّ عندما يشعر بـأن هناك من يحاول معرفة أسراره".

جمع فواكه لكي ينبعض بصوت طبّيعي:

ـ ومن الذي سمع لك بالذهب إلى هناك؟
ـ أمر عجيبـ إنه يجد دائمـاً العبارة التي تخرجني من صوبيـ. ضاقت حدقتـا عينـي "إيزابيلـ"ـ،ـ واردفتـ بـنـبرـةـ وـأـنـقـةـ:
ـ أـعـتـقـدـ أـنـ لـيـسـ عـلـيـ أـنـ أـطـلـبـ الـاـذـنـ مـنـ أـحـدـ هـنـاـ لـتـوـجـهـ لـزـيـارـةـ الخـدـمـ الـمـسـنـ الـذـيـنـ خـدـمـواـ عـمـيـ.

ـ رـنـ جـرـسـ العـشـاءـ وـهـيـرـ أـطـلـقـ زـفـيرـاـ.ـ كـانـ يـسـأـلـ عـمـاـ سـوـفـ تـؤـديـ إـلـيـهـ هـذـهـ النـاقـشـةـ.ـ حـوـلـ بـورـىـ وـجـهـ عـنـ "إـيزـابـيلـ"ـ فـيـ عـنـفـ وـهـوـ يـضمـ قـبـضةـ يـدـهـ.ـ فـتـحـ لـهـ الـبـابـ وـتـرـاجـعـ لـكـيـ يـدـعـهـاـ تـغـرـ.ـ خـرـجـتـ دـوـنـ آـنـ تـلـتـفـ إـلـيـهـ.

ـ وـكـانـ العـشـاءـ صـامـاـ.ـ لـمـ يـشـأـ أـحـدـ مـنـهـمـ أـنـ يـبـدـأـ حـدـيـثـاـ يـعـلـمـ أـنـ مـيـكـوـنـ فـاشـلاـ.ـ قـدـمـتـ لـهـمـ "بـيلـونـيـ"ـ أـطـبـاقـاـ لـذـيـذـةـ،ـ شـهـيـةـ كـالـمـعـنـادـ،ـ لـكـنـهـ اـكـنـفـواـ بـلـمـسـهـاـ.

ـ ثـمـ فـيـ صـمـتـ أـيـضاـ،ـ عـادـوـاـ إـلـىـ الصـالـوـنـ الصـغـيرـ،ـ وـتـنـاـولـ "بـورـىـ"ـ قـهـوـتـهـ،ـ وـاسـتـاذـنـ مـنـ الـاخـ وـالـاخـتـ فـيـ الـحـالـ.ـ بـعـدـ خـرـوجـهـ،ـ مـكـثـ "هـيـرـ"ـ وـأـخـتـهـ بـعـضـ الـوقـتـ،ـ دـوـنـ أـنـ يـتـبـادـلـاـ كـلـمـةـ وـاحـدـةـ.ـ وـعـنـدـمـاـ تـذـكـرـ "هـيـرـ"ـ ماـ كـانـ يـبـيـغـيـ أـنـ يـنـقـلـهـ إـلـيـهـ أـخـتـهـ،ـ كـانـ أـوـلـ مـنـ تـكـلمـ:

ـ لـقـدـ حـضـرـتـ "أـوـمـيـلـنـ دـيـيـاسـينـ"ـ أـثـنـاءـ مـاـ كـنـاـ فـيـ اـنـتـظـارـكـ.
ـ تـعـمـ وـجـهـ "إـيزـابـيلـ"ـ.ـ كـانـ لـاـ يـنـقـصـ إـلـاـ هـيـ أـيـضاـ".ـ
ـ وـوـاـصـلـ "هـيـرـ"ـ كـلـامـهـ،ـ دـوـنـ أـنـ يـلـمـعـ مـاـ قـدـ طـرـأـ عـلـىـ أـخـتـهـ مـنـ تـغـيرـ.
ـ سـوـفـ تـنـظـمـ رـحـلـةـ إـلـىـ الـغـابـةـ بـمـنـاسـبـةـ عـودـةـ أـخـرـيـهـاـ.ـ إـنـهـمـاـ عـادـانـ مـنـ

ـ وـأـنـتـ أـيـتهاـ الصـغـيـرـةـ عـدـيـةـ الـفـائـدـةـ.ـ كـيـفـ تـرـافـقـيـنـ الـآنـسـةـ إـلـىـ مـكـانـ لـاـ يـعـرـفـ بـدـوـنـ "بـيمـاهـوـ"ـ،ـ أـلـستـ خـجـولاـ؟ـ
ـ حـاـوـلـتـ الصـغـيـرـةـ الـقـيـامـ بـالـدـفـاعـ عـنـ نـفـسـهـاـ.
ـ لـقـدـ ذـهـبـيـاـ إـلـىـ "مـارـآـسـتـيـرونـ"ـ.

ـ حـيـثـنـدـ تـعـلـقـتـ بـدـ "بـيلـونـيـ"ـ فـيـ الـهـوـاءـ،ـ وـكـانـ قـدـ رـفـعـهـاـ لـكـيـ تـصـفـ "كـالـ"ـ.ـ إـذـاـ بـعـيـنـيـ السـيـدـةـ تـدـورـانـ فـيـ مـحـجـرـيـهـمـاـ.
ـ مـاـذـاـ؟ـ أـيـنـ؟ـ

ـ ذـهـلتـ عـنـدـ سـمـاعـهـاـ إـنـهـمـاـ قـامـاـ بـمـثـلـ هـذـهـ الـرـيـارـةـ.ـ عـنـدـمـاـ رـأـتـ "إـيزـابـيلـ"ـ أـنـهـاـ سـتـجـدـ صـعـوبـةـ فـيـ مـواجهـهـ هـذـاـ الـمـوـقـعـ كـمـاـ حـدـثـتـ نـفـسـهـاـ،ـ تـرـكـتـ السـيـدـةـ وـالـفـتـاةـ تـنـاقـشـانـ مـعـاـ وـاتـجـهـتـ إـلـىـ الصـالـوـنـ الـمـطـلـ عـلـىـ الـبـحـرـ.
ـ أـمـاـ الشـابـانـ فـكـانـاـ فـيـ اـنـتـظـارـهـاـ،ـ بـيـدـ كـلـ مـنـهـمـاـ كـاسـ،ـ يـتـارـجـحـانـ كـلـ فـيـ مـقـعـدـ الـهـبـازـ.ـ وـكـانـاـ صـامـتـينـ تـمـاماـ.ـ ثـمـ مـاـ إـنـ بـدـتـ عـلـىـ الـعـنـبةـ،ـ اـتـجـهـاـ نـحـوـهـاـ فـيـ قـفـزةـ وـاحـدـةـ.

ـ أـيـنـ كـنـتـ؟ـ
ـ كـانـ صـوـتـ "بـورـىـ"ـ أـمـراـ.ـ وـقـسـمـاتـ وـجـهـهـ كـانـ قـدـ قـسـتـ عـنـدـ رـؤـيـتـهـاـ.

ـ أـعـلـمـيـ بـاـ "إـيزـابـيلـ"ـ أـنـ خـرـوجـكـ دونـ أـنـ تـخـطـرـيـناـ بـذـلـكـ غـيـرـ لـائقـ.
ـ إـنـكـ لـسـتـ فـيـ "بـارـيسـ"ـ.

ـ وـهـكـذاـ لـقـدـ بـدـاـ اللـوـمـ وـالـقـلـقـ فـيـ صـوـتـ "هـيـرـ"ـ الـهـادـيـ.
ـ أـخـذـتـ "إـيزـابـيلـ"ـ تـنـظـرـ إـلـيـهـمـاـ الـوـاحـدـ بـعـدـ الـأـخـرـ،ـ دـهـشـةـ لـمـ تـلـلـ هـذـاـ الـاسـتـقـبـالـ.ـ لـمـ تـعـدـ تـسـمـعـ أـيـ عـبـارـةـ بـعـدـ ذـلـكـ مـنـ "بـورـىـ"ـ الـذـيـ بـدـاـ مـسـرـورـاـ جـداـ لـأـنـهـ أـظـهـرـلـهـاـ كـيـفـ أـنـهـ اـرـتـكـبـتـ خـطاـآخـرـ.ـ مـقـاـبـلـ ذـلـكـ،ـ لـقـدـ فـوـجـعـتـ لـرـدـ الـفـعـلـ الـذـيـ بـدـاـ عـلـىـ أـخـيـهـاـ،ـ هـوـ مـنـ كـانـ مـنـ عـادـتـهـ أـنـ يـدـعـهـاـ تـنـصـرـفـ كـيـفـ شـاءـتـ وـاضـعـاـ ثـقـنـةـ الـكـامـلـ بـهـاـ.ـ هـلـ أـقـنـعـهـ "بـورـىـ"ـ بـذـلـكـ؟ـ
ـ لـقـدـ تـخـبـلـتـ "إـيزـابـيلـ"ـ أـنـ يـفـسـدـ اـفـكـارـ اـخـيـهـاـ.ـ لـكـنـ مـنـ يـدـرـيـ قـدـ يـكـونـ لـأـخـيـهـاـ مـثـلـهـاـ.ـ شـكـ فـيـ أـنـ هـنـاكـ غـمـوسـاـ يـحـيـطـ بـ "بـورـىـ"ـ.ـ هـوـ الـذـيـ يـهـسـارـحـيـ عـادـةـ بـكـلـ شـيـءـ.ـ لـمـ يـحـدـثـنـيـ عـنـ أـيـ شـيـءـ؟ـ لـاـ شـكـ حـتـىـ لـاـ يـتـسـبـبـ لـيـ فـيـ قـلـقـ بـلـأـ دـاعـ.ـ وـفـيـ الـوـاقـعـ أـنـاـ ذـاتـيـ لـمـ أـحـدـثـهـ عـنـ هـذـاـ الـأـمـرـ.

- أعتقد أنك لاحظت أنني لا أتفاهم جيداً خاصة مع مضيفنا.
أبدي "هير" ابتسامة مرحة:
نعم، أعتقد أنني أدركت ذلك في الواقع.
استطردت "إيزابيل" وقد تذكرت:
لا داعي للمزاح، إنني أجد هذا الوضع منفراً. ولا أجد مبرراً لتحديه
لي على هذا النحو.

- قد يكون التعبير مبالغ فيه بعض الشيء. فلنقل إنه لا يدع فرصة إلا
ويظهر لك فيها أخطائك.

في هذه الأثناء، كانت "إيزابيل" قد نهضت واستندت إلى ظهر المقهى
الذي كانت جالسة عليه. بدأت تشعر بالعصبية كما يحدث لها عادة
عندما تتناول هذا الموضوع الذي يشغلها:

- وكانه يجد متنه في أن يراني واقعة في الفخاخ التي قد تنصبها هذه
المجزرة للوافدين الجدد إليها. هل لاحظت أنه - أثناء حفل "مالابار" - لم
يسع إلى جعلني أعدل عن حضوري هذا الحفل؟ هذا لأنه كان يعلم جيداً
أنني لن أحتمل منظر هذه الضحية، بالإضافة إلى أنني كنت الفتاة البيضاء
الوحيدة. وأعتقد أن أي فتاة غيري كانت ستتألم لهذا المنظر. ما رأيك؟
هز "هير" حاجبيه:

- يجب أن أعترف بأنني لا أدرك الأسباب التي تدفعك إلى المواجهة.
ثم أضاف بابتسامة ملطفة:

- إنك تعلمين أننا لا نعرف في النهاية إلا قليلاً. ولا تدري بالمرة الدوافع
لتصرفاته هذه. قد يبدو له أن سلوكه هذا هو الصائب، وربما أنه ثمرة
أحداث قد تجهلها.

أبديت "إيزابيل" كلامه وهي غير مقتنعة به:
نعم، لكن هذا لا يمنع من أن الوضع بالنسبة لي مزعج. وأعتقد أنه
يجب أن نأخذ قراراً بالنسبة لمستقبلنا في الحال.

أيد "هير" قوله:
سوف أفك في الإمكانيات المختلفة التي تقدم لنا وستختار منها
الأقل مشقة.

رحلة طويلة في فرنسا. كما أنه يسعدنا أن تقدمنا لهما.
من البديهي - هكذا فكرت "إيزابيل" - أنها إذا حصلت على اهتمام
أحد أخيهها، تكون بذلك قد حسمت حربة لقاء "بوري". لكن الفتاة،
على الرغم مما كانت تضعه في الحسبان بالنسبة لـ "أومبلين" فهي لا تنكر أنها
لاتكره هذه الفتاة الوديعة.
أجبت وهي تفكّر:

- إنها فكرة جيدة. ومن سيتوارد في هذه النزهة؟
- واضح أنهم الثلاثة "ديباسين" ونحن الثلاثة.
انتفضت "إيزابيل" إذ رأت أنه من السخافة أن ينضم "بوري" إلى هذه
الخلية الأسرية التي تكونها مع أخيها.
استمر هذا الأخير في سرد الأفراد:

- الكونت "دي كيريفيجون". لقد رأت "أومبلين" أنك سوف
تسعدين برؤيته. يبدو أنكما تألفتما عند اللقاء الأول.
على خلاف إخوته.. إن هذا الـ "كيريفيجون" يبلغ من الشراء وله من
النازل، ما يجعلني لا أقيم في "يافيون"، ولا "هير". لعبة محبوكة".
ثم ذكر "هير" أسماء نحو اثنتي عشر من الشبان والشابات كان قد
تعرف بهم أثناء السهرة التي أقامها آل "ديباسين".

أردف:
إن "أومبلين" تقترح أن نقرر منحها فترة نهاية الأسبوع، لكي تتجه
جميعاً في العربة المكشوفة لتناول العشاء والنوم في منزلها في "سان-سيير".
وفي اليوم التالي يكون في وسعنا التنزه في غابة "سان فيليب".
وافتقت "إيزابيل" وهي تحرك رأسها. ظلت صامتة بضع دقائق ثم - بعد
تردد - عزمت على التحدث مع أخيها. قالت:
- هل فكرت يا "هير" في موقفنا هنا؟
نهد وقف بدا عليه الضيق.

- نعم، لي عدة أيام وأنا أتناول هذا الموضوع من عدة جوانب ومن كل
زواياه. ولا أدرى حقاً أي قرار ينبغي أن أتخذه. انتركي لي فرصة أخرى.
ترددت "إيزابيل" ثانية قبل أن تواصل كلامها:

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، كانت الشمس تغمر حجرتها. وها هي خيالات الليل كلها قد تبدلت. في بادئ الأمر، ظنت أنها كانت في حلم. ولكن قطع كل الشكوك، عزمت على التأكد من أنه لا وجود لتأثير مررور هذا الشخص. اتجهت نحو النافذة التي كانت قد شاهدت الظل في إطارها، وتفحصت الأغصان المحيطة بها.

٢٧٣

لہجہ حلمہ

انحنت لكي تجمع بعض أوراق الشجر المتنزعة. لاحظت أن بعض الأغصان، على الجانب اليسير قطعت بطريقة غير مهذبة كما يقوم بذلك البستاني، كانها بحادنة. وباختبارها لهذه الرقعة من الحدار، ثبت أن ساق النبات المتسلق إلى نافذتها سميك إلى حد ما. نزلت في الحال إلى الحديقة بحجة أن تزهه كلها الصغير، وتوجهت لمشاهدة ما حدد جيدا تحت نافذتها هناك أيضا. كانت بعض أوراق الشجر المتنزعة منتاثرة على الأرض، كما أنها تحت آثار أقدام عارية على الأرض المستدة إلى جناح المنزل الآمن. مكثت هناك مساهمة. هكذا استنتجت أن شخصا ما أتي للتجسس عليها أثناء نومها. لم يات بهدف السرقة لأنها تحفقت من أنه لم ينقص شيء من حجمتها.

نرى هل هو نفس الخيال الذي تبعهما عند عودتهما من مار-آ-ستيررون؟ وإن يحدث ذلك مرتين في نفس اليوم؟ لم تعد هذه مصادفة. فقررت أن تكون يقطنة من الآن فصاعداً. وهي لا ترضي الاعتراف بـ“بوري على حق”.

* * * *

مر الأسبوع التالي بلا أحداث. كانت "إيزابيل" تقضي وقتها بين العزف على البيانو والقراءة واللعب مع "كايلوك"، وكذلك بعض الزيارات. استعادت ثقتها وشعرت بأنها الآن كفيلة بأن تثبت لـ"هوري" أنه أساء الحكم عليها، وأنها عرفت كيف تتأقلم. حتى هذه اللحظة، لم يكن "هيربر" قد توصل إلى قرار، وإنما "إيزابيل" لم تعد تخطر على ذلك.

على ما يبدو أن المنشقة انتهت عند هذا الحد. اتجهت "إيزابيل" نحو الباب و هيير تبعها. صعدا السلم معا، دون أن ينطقا بكلمة ثم افترقا عند اليسعنة. و قيل أن تمام فكرت "إيزابيل" في الاحتمالات التي كان قد عرضها أخوها. تساءلت عما سوف تكون الأحداث التي صادفت الشاب في حياته وكان لها أثر فيه، و بذلك ظهر رد الفعل لهذا في تصرفاته، خاصة ضدها، هي من كانت تعتبر -منذ عدة أسابيع قبل ذلك- مجاهولة له. ليس من أجل "أومبلين" يتصرف هكذا معها. ثم نامت الفتاة دون أن تنجح في الحصول على إجابة للأسئلة التي وضعتها لنفسها.

وحوالى منتصف الليل، رأت حلمًا غريباً. رأت شخصاً ما في حجرتها، وأنها لا ترى من خلال الناموسية التي تغطي "بلدكان" سريرها. إلا شبحاً غير واضح ينظر إليها، وما شعرت أثناء نعاسها بقوه هذه النظرة استيقظت. فتحت عينيها في الحال. وكان القمر يضيء حجرتها، وبذلك كان في إمكانها تمييز كل شيء. انجدب نظرها إلى باب النافذة الذي في مواجهة سريرها. فتحت فاها لكي تصرخ غير أنه لم يخرج منه أي صوت. اتسعت حدقتا عينيها من الفزع، عجزت عن الحركة، لأنها شاهدت ظل رجل يتحرك خلف ستار النافذة، ومن عادتها أن ترك النوافذ مفتوحة للحصول على قليل من الهواء. أما السياير فكانت دائمًا مشدودة حتى تمنع دخول الحشرات. ثم استعادت صفاء ذهنها بعد أن كف عن التفكير. "أين يقف؟ إنه ليس بالحجرة، وهذه النافذة ليس لها شرفة". وها هو تفكيرها أخذ يعمل بسرعة. "مadam جالتاكيد" في الخارج، لابد أنه اضطر إلى الصعود مستخدماً الأغصان الضخمة التي تسقى على الواجهة". أخذت تراقب الظل دون أن تتحرك. لقد نزل واختفى. وكانت "إيزابيل" من فرط فزعها لا تجرؤ على التوجه إلى النافذة لمعرفة من هو، وحتى تتحقق من أن الرجل قد رحل فعلاً. خشيت - أيضًا - أن يكون هناك شخص آخر مختبئ بين الأغصان. مكثت هكذا ممددة في نفس الوضع، وعيناها شاخصتان إلى النافذة، لا تجد للتعاس سبيلاً. وأخيراً، نامت في نهاية الليل. وكان نومها ثقيلاً ومضطرباً. إذ إنها استيقظت فرعة عدّة مرات، وهي تعتقد أنها ترى نفس المشهد.

ندمها على ترك "باريس" وما فيها من لهو، لكنه لم يقم بذلك. مقابل ذلك، لاحظت أنه يطيل النظر إليها. تظاهرت بأنها لم تلمحه، لكنها كانت تشعر بالرضا.

قال لها "جوسيلين" أثناء معاونته لها على النزول من العربية:
- لقد بدا لي الطريق أقصر من المعناد أثناء صحبتك الشائقة.
- إنكما آخر الكل. ما الذي كنتما تقومان به في الطريق؟
هكذا أردفت "أوميلين" في مرحلة الملحقة بالمنزل. لحقا بها.
- إني سعيدة ببرؤشك.

الخدبت لها "إيزابيل" عندما رأت ابتسامتها الطريفة، الصريحة، على الرغم من كل ما كانت تكن نحوها من أفكار.

- صباح الخير عزيزي بوري.

عندما نظرت "إيزابيل" إلى الشاب، وجدت أنه عندما رأى "أوميلين" أبدى ابتسامة مشرقة لأول مرة طوال اليوم. تقابلوا مع باقي المدعويين في الصالون، وكانت "أوميلين" تنتقل من فريق إلى الآخر لكي تقوم بعملية التعارف. إنها حقاً السيدة الممتازة التي يفتقر إليها "بافيون". هكذا جاء تفكير "إيزابيل" في غير حقد.

ثم عرضت عليهم بمزيد من اللطف:

- ها هو البرنامج الذي أفترحه لفترة ما بعد العشاء. في إمكاننا أولاً القيام بجميع العاب المجتمع واختراع غيرها أيضاً. ثم في نهاية الشهرة سنمرح مع "سيليمن".

حينئذ صفقوا جميعهم. أعجبت "إيزابيل" بالبساطة والروح المرحة التي قامت بهما لادة مهمتها. في النهاية، لماذا ألموها بعد كل ذلك؟ إني أنساب إليها أحاسيس ربما لا تستحقها ولم تكن لها يوماً ما. ومع كل، إذا كانت ترغب في الزواج بـ "بوري"، وهذا لا يخصني، سادمت لا أمتلك "بافيون".

أخذت "أوميلين" تنظم اللعب:

- سنعمل على سحب من يمثل الفريقين لتمثيل الأشخاص.
انتفضت "إيزابيل" عند سماع أسماء الفريقين الآخرين.

ثم أقبل اليوم المعد للنزهة الخلوية. استعدت الفتاة لهذه المناسبة بعناية، وهي تتوى عدم منح "بوري" الفرصة لكي يمسك عليها أي غلطة. ثم واجت الصالون، حيث كان الشبان الثلاثة في انتظارها. القوا إليها نظرات معبرات عن اختيارها لهندهما وأناقتها الطبيعية. كانت قد فضلت ارتداء فستان من السرج الفيروزي يبرز بياض عنقها وذراعيها. كما كانت قد ضمت شعرها الذهبي في "شينيون" تزيده أناقة قبعة من القطيفة الحضراء. تقدم إليها "بوري" ، وكان لا يبعد نظره عنها متاماً إياها.

- إيزابيل

كان الدفء واضحاً في صوته. نظرت إليه، وكانت نظرتها تستجوب عيني "بوري". إنها المرأة الثانية التي ينادي بي في بها يأسى. إنه ينطلق به بطريقة غامضة". واصل دون أن يبعد عنها عينيه:

- أقدم لك صديقي "جوسيلين ديباسين" شقيق "أوميلين".

عندما سمعت "إيزابيل" هذا الاسم خرجت من إحساسها بتواجدها في عالم اللا حقيقة الذي كانت عليه منذ ثوان. تطلعت إلى الشاب الذي قدم إليها بابتسامة عابرة.

وهو شاب فارع، أسرع، على ما يبدو أنه رياضي. أما وجهه المريع ذو الملامح الواضحة فكان محاطاً بشعر كستنائي. وكانت الطيبة ترقص على حياته:

- آسف على عدم استئذاني قبل التقدم، لأن اختي وجدت في اللحظة الأخيرة أنه يوجد مكان في عربتنا، لذلك تقدمت على الفور.

إنه لا يجرؤ على النطق بـ "عندكم". هكذا فكرت "إيزابيل".

- علماً بأنه يبقى لديكم مكان. أتعشم الا تكون قد تسببت في أي ضيق.

طمأنته "إيزابيل" بعكس ذلك من إبداء ابتسامة مرحية. جلسوا في العربية. وـ "كال" التي كانت ترافقهم من أجل خدمة سيدتها، جلست بجوار "بيماهور". كانوا أثناء الرحلة يتداولون الحديث عن أمور شئ، وكانت "إيزابيل" تستمع إلى "جوسيلين" وهو يتحمّلها الأخبار الأخيرة عن العاصمة. كانت تتوقع أن "بوري" قد يبدي ملاحظة عن

يرغب في إنذاري مسبقاً بالفخاخ التي من الممكن أن أقع فيها". مازال ينقصها عدد كبير من الحلقات حتى تكتمل السلسلة.

علا التصفيق، الفتاة تواجهت في الصالون وفوجئت بنظرات "إميريك دي كيريفيجهون" مسلطة عليها. قرأت فيها الدهشة. وعندما فهمت فجأة ما تسبب له في الدهشة، شعرت بالحمرة تعلو وجنتيها. حينئذ عاد بوري إلى مقعده، وكان قبل ذلك بيضع لحظات قد مال على كتف الفتاة ممتثلاً لها في أذنها ومثبتاً نظرة على عنقها الجميل. أيقنت "إيزابيل" أن نظرتها شاردة، وأنه يجب عليها أن تبدو هكذا، لأنها حدثت نفسها بآن الرضاع الذي هما عليه قد يدعوه إلى الخجل، لأن من براهما دون أن يسمع حدبت بوري، يعتقد أنه يحدثها في أمور أخرى. تضاقت "إيزابيل" إزاء هذه الفكرة، وكانت لا تعرف سبب هذا الضيق. بعد قليل، قامت سيليمين بتحية الحاضرين ثم خرجت بعد أن حصلت على إعجاب وتهاني وشكر الجميع.

اكتشفت "إيزابيل" بعد ذلك أنه لم يبق سواها، هي و"بورى" اللذان لم يتركا مكانيهما. كانت لا تجرؤ على الالتفات إلى الشاب الذي كان مسلطاً نظراته عليها إذا كانت تشعر بالخجل. وعندما رأت أن الآخرين يستاذون من مضيقفهم، نهضت هي أيضاً وتوجهت إلى حجرتها. سمعت "بورى" يقوم هو أيضاً بذلك. التفتت إلى السلم المؤدي إلى حجرتها. وعلى البسطة، توجه إليها - وهو مازال ينظر إليها - بقوله:

- أتمنى لك ليلة سعيدة.

نامت "إيزابيل"، ساهمة، حالمه. ياله من تغيير في السلوك! لقد تحضر الدب. نامت حائرة.

لكنها استيقظت حوالي منتصف الليل عندما شعرت بالعطش لأن "الكارى" الذي تناولته مع وجة العشاء، كان كثيراً بعض الشيء بالنسبة لسقف حلقها الذي مازال باريسيا.

تناولت قليلاً من الماء على ضوء المصباح الموضوع على "الكومودينو"، لأنها حريرة على وضع دورق ماء وكوب لهذا الغرض بالقرب من سريرها. وأثناء ما كانت تشرب، سمعت تمنمة غير واضحة. أرهفت السمع، على

- "إيزابيل" ، مستمثلين مع "إميريك دي كيريفيجهون" ، وانت يا بوري يجب أن تختتملي.

ثم أبدت إليه ابتسامة معبرة، فاجابها بانحناء خفيفة:

- لا يهم، إن المتعة كلها لي.

أطلقت "أوميلين" ضحكة صافية. ثم بدأ اللعب، وبعد قليل لم يبق سوى فريقين: فريق "إيزابيل" وفريق "بورى" .. بعد قليل، سمعت حركة بالقرب من الباب. اقتربت "أوميلين" من "إيزابيل" ووضحت لها:

- ها هي سيليمين، إنها ابنة أحد الحرريين. لقد تزوجت بأحد البيض، وهو أحد القواد القائمين عند حدود الجزيرة. إن منزلهم يعتبر استراحة يلجمها المسافرون. إن سيليمين تدعى "لاميز دي لاسالين"؛ لأنها تنظم الشعر وتعزف على الجيتار. وهي تستخدم اللهجة الإقليمية في سعادة نادرة، وقد أجادت استخدام لغة الجزيرة في الشعر، وهي أيضاً كثيرة ما ترتجله.

وـ سيليمين سيدة في أربعيناتها ذات قوام قوي، وهي ترتدي دائماً فستاناً أسود يرجع شكله إلى العصور الوسطى، لا يزيده سوى ياقه من الدانتيل من صنع راهبات وادي "سيلوس". دندنلت أول أغنية لها. أعجبت "إيزابيل" باللحن والوزن، وإن لم تفهم شيئاً من كلماتها. بعد قليل جلس شخص ما خلف مقعدها. وإذا بصوت يتسنم بالدفء والعمق يجعلها تقشعر كلما وجه إليها أية كلمات، ينتهي:

- سوف أحاول القيام بترجمة الكلمات لأجلك.

كانت "إيزابيل" لا تدرك سبب عدم رغبتها في أن تلتفت لكي ترى بوري . وببدأ الشاب الترجمة. أحسست "إيزابيل" بتأثير قوي لصوته فيها. ها هما الآن في ضوء خافت، إذ إن كل الأضواء سلطت على "سيليمين" وأحاطت بها. في هذه الأثناء كانت الفتاة لا تصنفي لا إلى الطربة ولا إلى المترجم، بل انسجمت مع هذين الصوتين، دون أن تسعى إلى فهم معاني الكلمات. قد تكون أخطاء الحكم عليه، لأنني بعد تفكير في هذا الأمر، يجب الاعتراف بأنني الآن ارتكبت العديد من الأخطاء التي عرف كيف يجنبني عواقبها. أما ما لا أدركه - على الرغم من ذلك - فهو لماذا لا

أعتقد ذلك. ومع كل لا أهمية لذلك". ثم قررت لا تعود للتفكير في هذا الأمر بعد الآن.

فور وصولها إلى حجرة الطعام، حونتها نظرات "إميريك دي كيريفيجون" و"جوسلين ديباسين". أما "بوري" -وكان في الطرف الآخر من المائدة- فقد بدا أنه لم يشعر حتى بوجودها. وبعد أن انتهوا جميعاً من تناول الطعام، تجمعوا في الشرفة. بدأ "أوميلين" مبتسمة ورائعة في فستانها الأزرق. وكما حدث في الليلة السابقة، قادت فريقهم الصغير.

- اقترح أن نتوجه في عربة إلى غابة "سان فيليب"، وسوف تبعنا عربة نقل "كارو"، حاملة الماكولات وبعض الوصيغات. هيا بنا إلى الطريق!

قالت هذا، وتناولت ذراع "بوري" وقادته نحو عربتها. ثم تبعها واحد من إخواتها وفتاة صغيرة أخرى. شحيط "إيزابيل" الموجه لها "بوري" منذ الصباح نظرة واحدة. غاية ما هناك إيماءة برأسه لكي يقول صباح الخير.

- يسعدنا -أيتها العزيزة "إيزابيل" - "إميريك" وأنا آن تتقبلي صحبتنا أثناء هذه الرحلة القصيرة.

وبذلك أصبح لها فارسان الجذب إليها، وقدم لها خدماتها. هزت كتفيهما، حولت نظرها عن الثنائي ونظرت إلى "جوسلين" وإلى "إميريك" مبتسمة:

- بكل سرور. أعتقد أن السيد "بالميرو" لا يستخدم عربته. إذن أدعوكما إليها.

تحرك الركب، وكان محتواها على خمس عربات وعربة نقل يجرها زوج من الحومانيس. وكان كل من الشابين يعمل على إبداء روح المرح والفكاهة حتى ينال إعجاب "إيزابيل". وكانت الفتاة تبتسم في رضا بهذه المنافسة، لكنها كانت لا تحجاز لأحد. غير أنها كانت متalleلة داخلها لعدم اهتمام "بوري" بها. وأنا من اعتتقدت أني غيرت من رأيي في الحكم عليه مساء أمس! أعتقد أني متمسكة بحكمي الآن. هذا الرجل ليس سوى شخص فظ!

ما يبدو أن الصوت صادر من الملاحق لحجرتها. هل هناك شخص ما في حجرة "كال"؟ أتصت، لكنه لم تفهم معنى الكلمات. أعتقدت أنها تعرفت على صوت رجل ودهشت. هل "كال" تستقبل رجلاً في حجرتها؟ وكانت "إيزابيل" لا تسمع صوت "كال". وأغرب من كل ذلك هذا الصوت الذي يأتي إلى مسامعها. كانت تستوعب بعض المقاطع، لكنها عجزت عن ضمها لتكون جملة منطقية. "تا مبيه.. ماتو.. كا" وفجأة كفت التميمة. وكم كانت دهشة "إيزابيل" لعدم سمعها أي صوت على الأرضية ولا حتى صوت غلق باب. كما أنها ليست "كال" التي ربما تتكلم وهي نائمة. إنها ليست نبرة صورتها". ثم راحت الفتاة في سبات دون أن تخل هذا اللغز.

- يجب أن تستيقظي يا آنستي، يجب أن تنهضي. سوف يقدم الفطور بعد قليل.

فتحت "إيزابيل" عينيها وجلست في سريرها. رأت "كال" واقفة أمامها. لقد بدت لها الخادمة الصغيرة كما اعتادت أن تراها، ربما تكون عيناها أكثر لمعاناً. قررت استجوابها في صراحة:

- لقد سمعت أصواتاً في حجرتك هذه الليلة، هل استقبلت أحداً ما؟

بدت "كال" غير مفهومة لما يقال لها. هزت رأسها دلالة على التفوي:

- أنا لا أسمع لنفسي باستقبال أي شخص - كان - في حجرتي بدون إذنك.

كان واضحاً أنها جرحت حقاً لما واجهتها "إيزابيل" به، ولأنها نسبت لها مثل هذا الموقف. لذلك لم تلح هذه الأخيرة.

- لابد أني أخطأت، لأنني لم أكن في حالة يقظة كاملة. من المفترض أن أكون قد سمعت صوت الرياح وظنت صوتك.

عملت "كال" على معاونة سيدتها على الاستعداد، دون أن تتبادل كلمة واحدة. أمر عجيب، إنها تبدو صادقة. ترى هل هي ممثلة بارعة؟ لا

الفصل الثامن

- اقترح بإقامة مسابقة قبل تناول الغداء.
- وقد أمطرت بالأسئلة، وضحت "أوميلين" فكرتها:
- إنكم تعلمون جميعاً أن زهرة الـ "أوركيدية" سريعة التكاثر هنا.
- الآن، من يجمع منكم أكبر عدد من هذه الزهور خلال ساعة أو أي زهور أخرى نادرة، سيعلن فائزها أو فائزة، ستنصرف، كل من جانبه، ستشبع الوصيفات سيداتهن. هيا بنا، عندما تنتهي المدة، سيقوم "جان" العجوز بإطلاق صفير كل خمس دقائق إلى أن يتم تجميع كل المترفين. حظ سعيد للجميع.
- وقفت "إيزابيل" حائرة، لا تدري إلى أي جانب تتجه. لحقت بها الصغيرة "كال"، وقالت لها:
- اتبعيني لأنني أعرف الأماكن التي يمكنك العثور فيها على أجمل الزهور.
- التفتت "إيزابيل" مسروبة.
- إذا كنت تخبريني بالحقيقة، فاصطحبيني فوراً إلى هذا المكان.
- اقربت "كال" من سيدتها وتحمّست:
- يجب الصعود في منحدر البركان. ليس هناك من يفكّر في ذلك أبداً. هناك ستجين الزهور المطلوبة مثل البساط بالألوان الأبيض والموف، وهي الأكثر جمالاً.
- اخترقتا المنطقة المكشوفة، وكانت "كال" مستمرة في حديثها مع "إيزابيل"، وفي صوتها تبدو نبرة حماس. فكرت هذه الخبرة في أنها لن تخذب إذا هزمت "أوميلين" على أرضها. هي التي هبطت أرض الجزيرة منذ عدة أسابيع، قد تتعثر على أnder الأنواع دون أن تعرف هذه الغابة، وهذا بفضل معاونة خادمتها التي ليست سوى طفلة. تقدّمتا بدون مشاكل. لم تعرضا مسيرةهما أي شجيرة، بل كانت تتوالى الأشجار العالية.
- إننا نسير منذ فترة طويلة يا "كال". هل وصلنا؟
- يجب أن نصعد قليلاً، وسوف تشاهددين بنفسك أن هناك مئات الزهور.

اخترقا بعد قليل غابة "سان فيليب". كانت الشمس تغمر المنطقة المكشوفة باشعتها من خلال الأغصان. كان "إمبريك دي كيريفيجون" يشرح -مستعيناً بحركات قوية- لـ "إيزابيل"، وكانت هذه الأخيرة بين المرحة والجادحة:

- إننا الآن على منحدرات برkan يدعى "جران بريليه". وهو مازال في أوج نشاطه، وفوانه مخيف، يخشى منه.

- إنك تهدف حقاً إلى إثارة الفزع لدى صديقنا الشابة! ثم التفت "جوسيلين" نحو الفتاة -سعيدة النجاح- بعودته إلى الحديث. - وواصل مقطّعه:

- لا تخشي شيئاً. إنهم يتوقعون فترة حدونه، ويعلمون على إخلاء الانحاء المجاورة من الشعب، هذا بالإضافة إلى أنه لا توجد قرية واحدة على منحدرات البركان ولا في هذه الغابة.

لقد توقفت العربات في منطقة مكشوفة.

قالت وهي تضحك، عندما نزلت من العربة:

- لا تتشاجر يا سادة من أجلي.

كان كل من الشابين يرغب في معاونتها. عندما وطأت قدماها الأرض، رفعت رأسها. وكان "بوري" واقفاً أمامها. كانت نظرته معتنة وهو ينظر إليها في العينين. فما كان منها إلا أن قامت بالمثل بدورها في تحدي. التفت ولحق بـ "هيبر". كان هذا الأخير يراقب المشهد من بعيد، وابتسامة مرح على شفتيه:

- إنهم غير قابلين للإصلاح!

ثم لحقت "إيزابيل" بـ "أوميلين" وكانت محاطة بـ "إمبريك" وـ "جوسيلين". كانت لاتزال ثائرة ضد "بوري". إنني واثقة بأنه سيقدم لي المواجه، ويلومني على إعجاب الشابين بي. فبم يخصه ذلك؟ أنا لست زوجته ولا أخته، ولا أقوم بأي خطأ بمحاجي في براءة معهما. أيرغب في منعي من التسلية؟"

وسط مرج كانت "إيزابيل" قد دخلت لتوها. شعرت بالاستقرار. ومع كل، ربما تعرف هذه الأماكن أكثر مما أعتقد. إن ما أعلنته لي مضبوط. كانت تود أن تنزل بأسرع ما يمكن. لم تشعر بالفترة التي انقضت منذ أن انتصفنا. لبي إحساس أن لنا ساعات.

إن لم تجدي هذه الزهور في الحال يا "كال"، يجب أن نرحل.

قالت "إيزابيل" هذا ببررة آمرة:
مدت "كال" يداً مرتسمة نحو غيبة كثيفة.
إنه هناك. أنا واثقة بذلك. تعالى بسرعة.

ثم لمع شعاع غريب في عينيها. "لابد أنها محمومة. لابد أنها أصيبت ببردة شديدة. أرجو لا أضطر إلى حملها لإعادتها لأنني لن استطيع ذلك." كانت "كال" تقدمها. وكانت النسمة تحمل إلى "إيزابيل" مقاطع من كلمات غير مسموعة. "ما الذي حدث لها؟ لم يسبق لي رؤيتها على هذه الحالة". بدأت تقلق من أجلها. توقفت "كال" بجوار الغيبة. فما كان من سيدتها إلا أن لحتت بها وهي تلهث. عندما رأتها "إيزابيل" عن قرب، فزعت: وجنتها بلون أحمر، عيناها غائرتان، ومحاطتان بهالات سوداء، وكانت ترتجف بكل أطرافها. شعرت "إيزابيل" فجأة كان الشجيرات انتقلت من مكانها. غير أن الخوف بلا داع لم يجد الوقت الكافي للزحف إليها: إذا ب الرجال يحيطون بهما، ملفين بالاغصان التي كانت تخفيهم. تسمرت "إيزابيل" مكانها ثم أطلقت صرخة قرع، عملت على اختناق حلقتها. ظاهريا، هم من العبيد القدامي. لقد ضافت الحلقة حولها. والرجال لا ينطقون بكلمة واحدة. وقد اتسعت حدقنا عينيها من القرع، رأتهم يقتربون. كانت ملامحهم قاسية، وحدقات عيونهم ذات لمعان غريب. لكنهم لم يبدوا أي حرارة عدائة نحو "إيزابيل". وكانت لا ترى أي سلاح في أيديهم. أبعدت نظرها عنهم، لكي ترى ما تفعله "كال". ظلت أن وصيفتها قد أصيبت بالجنون. كانت عينيها مغلقتين، مصابة بتشنج عنيف، وتطلق صيحات عالية. أرادت "إيزابيل" من شدة فزعها - الابتعاد عنها، فحدث أنها كانت تصطدم بحادي الرجال الذين يحيطون بها، عندما تراجعت. إنهم الآن قريباً جداً منها. ألت ب نفسها

استمرتا في التقدم في صمت خلال لحظات. سالت "إيزابيل" في قلق:
هل أنت واثقة بقدرتك على إعادتنا إلى المكان المكتشف من الغابة؟
إننا من هنا لن نسمع الصفاراة.
أجابتها:

لا تقلقي. ثقي بي.

والآن ها هما تسيران ببطء لأن المنحدر بدأ من هذا المكان. بدأت "إيزابيل" تشعر بالضيق. ها هي تشاهد الأشجار متباعدة. أنا حقاً غبية لاستسلامي هكذا. لقد ذهبتنا بعيداً جداً. لقد جعلتنا نضل هذه الصغيرة الغبية. لقد سمعت إلى أن تبدو نافعة لي". كان يمتد أمامها - على بعد مئات من الأمتار - بعض العشب الجاف عليه غيبة من هنا وهناك. كانت الشمس تستطع على هذا العشب المائل إلى الأصفر. لقد شعرت "إيزابيل" بالشعب. كانت تخشى من عدم إمكانها العودة إلى المكان المكتشف، وبذلك تدفع الآخرين إلى البحث عنها. فجأة بدت بعض السحب فوقهما. لقد غلبهما الضباب، وأصبحتا لا تتحققان من قمم الأشجار.

"كال" لا جدوى في استمرارنا في التقدم أكثر من ذلك. أنا لا أدرى أين نحن. يجب أن ننزل. سمعت من البرد هنا.

حكت ذراعيها الواحدة بالأخرى. التفتت "كال" نحوها، وكانت دائماً تقدمها. كانت شاحبة، وقسمات وجهها مشدودة. نسبت "إيزابيل" هذا إلى البرد الذي يتلجهما. كان صوتها أكثر شدة عن المعتاد.

عن قrib مسكون تحت السحب. سيكون الجو حاراً. تعالى بسرعة. لقد اقترب الآن.

ترددت "إيزابيل". كانت لا ترغب في متابعة المسيرة، لكنها كانت تشعر بالبرد. عندما تواجد مرة أخرى تحت أشعة الشمس قد تتمكن من إلزام "كال" إلى النزول معها. حيثذا سيكون لزاماً عليهم اختراق الضباب، لكنهما مستكونان قد استدفانها. تقدمت بسرعة وهي تعاني قلقاً شديداً. ثم بعد عدة دقائق، تبددت السحب، وتواجدت الفتاتان في الشمس،

على "كال" وهي تطلق صرخة مختوقة. لقد ضاقت الحلقة. عجزت "إيزابيل" عن التفكير من الهلع الذي أصابها. وما أصبحوا فجأة بجوارها، غشى عليها من المخوف. في الحال امتدت خمسة عشر زوجاً من الأذرع لكي تمنعها من السقوط.

- أين أنا؟

عادت "إيزابيل" إلى صوابها، ووجهت سؤالها هذا بصوت عالٍ. ثم تنهمت:

- على أي شيء أنا جالسة؟

راقت (العرش) أي المقعد الذي كانت تتقدم عليه. وهو عبارة عن كرسٍ ذي حامل بدائي من الباببو، ليس له جوانب، لكن له قبة للحماية من الشمس. وكانت تتأرجح وفقاً لخطى الزنوج الأربع الذين يحملونها على أكتافهم بواسطة أغصان عريضة.

كانت لا ترى سوى رؤوسهم، الأجسام كانت مخفية في الأعشاب العالية. وكان يتقدّمها فريق من سبعة رجال. وعندما التفت رأت أن "كال" هي أيضاً محمولة على مقعد، وفريق من عشرة رجال يبعها. كانوا يسيرون في صمت.

نادت "إيزابيل" بصوت خافت:
- "كال".

في الحال، وصل الحاملون الأربع إلى "إيزابيل" حتى تتمكن الصغيرة من التحدث إليها. "إذن.. إن نياتهم نحونا ليست سبعة ملاداماً بل بليون رغباتي". عندما تواجهت "كال" بالقرب منها، أخذت تفحصها بانتباه. كانت الفتاة تستند إلى ظهر مقعدها العالي وعيناها مغلقتان إلى النصف. وكان وجهها الآن قد ارتخى.

كررت النساء:

- "كال"، استيقظي.

وكانت الصغيرة تبدو غارقة في سبات عميق. انقضت عندما رأت

أين هي. وسألت "إيزابيل" وهي تعاني رعباً شديداً:
- أين نحن؟ ما الذي حدث لنا؟ من هم أولئك الرجال؟ وإلى أين يصطحبوننا؟ ما الذي يريدونه منا؟

استطردت "إيزابيل" في ضيق:

- لا تكوني غبية يا "كال". إنك تعلمين أنهم اختطفونا في اللحظة التي كنا موشken فيها أن نصل إلى أرض الزهور.
اتسعت عيناً "كال" من الدهشة:

- أي مسطوحات زهور؟

نفذ صير "إيزابيل":

- كفي عن هذه الأمور الطفولية. الموقف معقد.

تأثرت السيدة لما أبدته "كال" من اعتراض بريء، وفي ثبرات صادقة، عندما قالت:
- أؤكد لك أني لا أذكر شيئاً مما حدث لي منذ أن رقدت مساء أمس.

لذلك ذكرت "إيزابيل" في آن الصوت الذي كانت قد سمعته طوال الليل كان حقيقياً. لكن إلى من تنسبه؟ وماذا كان الهدف من دخول حجرة خادمتها؟

سالت "كال":

- هل أنت معرضة لفقدان الذاكرة على هذا النحو؟ كان يبدو أنك مستيقظة تماماً هذا الصباح.

اعتبرت "كال" وكادت تبكي:

- لم يحدث لي ذلك يا آستي قبل الآن.
غيرت "إيزابيل" من مجرى الحديث، وقد أرجأت حل هذا اللغز لما بعد.

نظرت "كال" من حولها إلى المساحة العشبية، وأشارت بإصبعها إلى الإمام.

- انظري، إننا نصل إلى الغابة. إننا نسير الآن على طريق مواز للساحل في اتجاه أحد الجارى التي تحد البركان.

قطبت "إيزابيل" حاجبيها. لقد تذكرت آخر حديث لها مع "ميرك" و "جوسيلين".

- لكن أين البركان؟

بالنسبة لـ "كال" كان ذلك بداهة.

- هناك إلى أعلى.

ميزت "إيزابيل" بصعوبة على قمة المتحدر البقعة السوداء التي تكون الفوهة. وهاما قد عادتا إلى الغابة. إنهم الآن يتوجهون نحو مجموعة من الأشجار الكثيفة حتى إنه يبدو أنه من الصعب المرور من بينها. ومع ذلك، وجد الرجال فتحة بين الأغصان للتقدم حتى قلب هذه المغارة الخضراء. والفتاتان لا تصدقان عيونهما. إن المكان الذي تواجدتا فيه كبير حتى إنه مقام عليه معبد صغير ومنزل كله من الخشب.

تمت "إيزابيل":

- لن نتمكنوا من العثور علينا هنا.

كان الأسى ياديا في صوتها.

ثم وضع الرجال مقاعدتهم على الحضرة التي تغطي الأرض، وتشتتوا في صمت بين الحضرة.

- أعتقد أن هذه الطبيقة من الأشجار تمنع من عبور هذا الفتاء الذي من الحضرة.

كانت "إيزابيل" تتكلم بصوت عال حتى تتحقق من فكرتها.

"مرحبا بكما في جزيرة سيمانديل".

انتقضت "إيزابيل" والتلفت بحثا عن مصدر الصوت. كان أحد الزفوج وهو عملاق - واقفا عند المدخل في إمكانه الاتصال بما قد أسمته "إيزابيل" "العالم الخارجي". وكانت قسمات وجهه لا تعبر عن أي نية سيئة. رفعت "إيزابيل" رأسها وقالت:

- ينبعي أن تحررنا فورا. ليس من ميرك لقيامكم باحتجازنا قسرا.

وإذا بالرجل يبتسم لها. اعتقدت "إيزابيل" أن هذا الشخص لا بد أنه آت من إفريقيا منذ فترة وجيزة. وقف يوضح لهما بنبرة هادئة جدا:

- بالنسبة لي، لدى أسباب جيدة للاحتفاظ بكما هنا. سوف

أوضحتها لكما فيما بعد. في انتظار ذلك، أدعوكما إلى الدخول فيما سيكون منزلكم من الآن فصاعدا.

وتقديم مشيرا إلى باب المنزل الصغير الموجود وسط الأشجار. ولما شاهد اشمئزاز "إيزابيل" أضاف:

- بالتأكيد لن نجدنا نفس الراحة التي لكم في "بافيون"، لكن كل رغباتكم سوف تجانب، في حدود إمكانياتنا طبعا. إذا رغبتم في أي شيء كان، ما عليكم إلا الخروج والتصفيق يا يديكم هكذا.

وأطلق القول بالحركة بأن أصدر صوتا قويا بضرب يد على الأخرى. في الحال، ظهر نحو عشرة رجال من بين الأغصان الخضراء. احتمت "كال" بسيدهما. يجب لا أظهر لهم أنني خائفة". وواصل مضيفهما:

- إن أولئك الرجال في خدمتكما.

ثم ابتسם، و"إيزابيل" عجزت عن إدراك أي شيء في هذا الوضع.

إن أولئك الرجال وغيرهم يقيمون دائرة حول الجزيرة مختلفة بين الأشجار طوال النهار وطوال الليل. لا تحاولا الهرب إذن. مع ذلك لا تخافوا من شيء، لن يصيبكم مكره. إنهم يفضلون الموت عن أن تمس شعرة من رأسكم. والآن أدعكم تستريحان. وساحضر فيما بعد لكم أوضاع لكم سبب تواجدكم هنا. س يقدم لكم الطعام بعد قليل. انعشم أنكم تجانبون الأطعمة الأوروبية، لأن ليس لدى سواها.

ثم بتحية سريعة من رأسه، اختفى بين الأشجار. "إيزابيل" تمنت إلى "كال":

- هنا بنا إلى داخل المنزل لأنني أشعر بأنهم يتتجسسون علينا هنا. سبقتها "كال" وفتحت الباب.

- إن كل شيء يبدو لي نظيفا جدا.

كانت تحكم في مرح. و"إيزابيل" أطمأنت لهذه الملاحظة.

- إن الرؤية ليست واضحة، قد يكون بسبب كثافة الأشجار. انظري، ربما تجدين مصباحا.

بعد أن مسحت الحجرة بنظرها، اكتشفت "كال" ما كانت تسعى إليه. وأجاالت "إيزابيل":

- إني في حاجة إلى الراحة والتفكير، رفعت يدها إلى جبينها، وأغلقت عينيها لحظة. علمت أنها لن تجد صعوبة في الحصول على النوم. إذ إنها تشعر بالتعب الذي سببته لها كل هذه المواقف والمؤثرات. كم تمنى معرفة ما سوف يحدث لهما.

إنها لا تدري سبب اختطافهما. لابد أن هناك خطأ. عجزت عن الحصول على رد لسؤالها. التفت إلى "كال". كانت الخادمة الصغيرة تمام في هدوء، في المقهى الآخر.

انتفخت إيزابيل عند سماعها قرارات على الباب. صاحت: "دخل". وإذا ب الرجل حامل صينية عليها أطعمة ساخنة، يدخل ويضع الغداء على المائدة الوحيدة، وهم بالانصراف عندما نادته إيزابيل:

- إني أشعر بالبرد. لست تحضر لي شالاً أو غطاء، أي شيء كان.

حك الرجل رأسه. وقبل أن يتجه نحو الباب سأله:

- لماذا ياحتجزنا قائدكم هنا؟

الرجل لم يجب، لكن إيزابيل شاهدت الدهشة بادية في نظره.

وأصلت:

- هل أنت أخرين؟

هز الرجل رأسه علامة للنفي. في ثورتها أوضحت أن تامره بالبرد عليها، لكن انتهتها فكره:

- لقد حذروك من أن تتحدث معى، أليس كذلك؟

أجاب الرجل بإشارة تدل على الإيجاب.

استطردت مبتسمة:

- حسناً، انصرف.

"ها هو إدراكي للأمور يأخذ في النقصان". إلى أن تاكدت فجأة أن "كال" تنتظرها للبيء في تناول الطعام.

نهضت وانجهت إلى المائدة.

- إن الطعام يبدو لي شهيماً.

وكانت دهشة.

- كلّي يا "كال"، لا تنتظريني. أنا لست جائعة، وعلى أي حال لا

- لا يوجد سوى شمعة.

نهدت الفتاة:

- يجب علينا أن نعتاد ذلك كسائر الأمور.

وعندما عملت "كال" على إضاءة المكان، تذكرت إيزابيل من فقد ما سوف يكون منزلها. "لكم من الوقت؟" هكذا أسالت.

- ظاهرياً، لا يوجد سوى هاتين الغرفتين.

الأرضية وهي من الخشب المطلبي جيداً كانت تصدر أزيزًا تحت خطواتهما.

القت نظرة دائرة على الغرفة الأولى.

- على ما يبدو أننا في الصالون. هذا حسب اعتقادى!

كانت نيرتها ساخرة. وكانت تحدث ذاتها أكثر من أنها توجه الكلام إلى "كال" التي كانت تتبعها وهي تحك رأسها. ليس بالحاجة سوى مقعدين من الخشب. مع انعدام الوسائل الرخوة المرحية بالتأكيد. مطت إيزابيل شفتها عندما رأتهمَا. صوان ومائدة صغيرة يتمسان هذا الأثاث المتواضع.

ولم ت الفتاة في خضوع واستسلام للأمر الواقع إلى الحجرة الثانية.

- لابد أنها حجرة النوم.

وسط هذه الحجرة سريران من الحديد، وكل منها كوسودينو، يفصلهما "بارافان" أي حاجز متنقل.

- لا يوجد مرحاض!

هنا تدخلت "كال":

- قد يكون خلف البارافان الآخر.

عندما نقلته، كشفت عن مائدة صغيرة، عليها حوض وإبريق من القياشاني.

مطت إيزابيل شفتيها وهي تقول:

- وأعتقد أن الماء سيكون بارداً.

أدانت ظهرها لهذا المنظر المنفر، وذهبت لكي تستقر في أحد المقعدين.

يرتدى فوق البنطلون الرمادي والقميص ذي "الجابو" "ريدنجوت" قدماً
أسود، انحنى أمامها في إجلال.

حاولت أن تعبّر عن رأيها جيداً على قدر استطاعتها:
ـ أولاً المعدّة لأنني منحتك القليل من الوقت حالياً، لكن كان علي
إصدار بعض الأوامر المهمة في المعسكر.

حدثت "إيزابيل" نفسها بانه لابد أن المقصود هو المعسكر الذي ذكرته
"كال" منذ قليل. استمرت في الاستماع إليه في صمت.

ـ أنا أدعى "أوراخ".

ثم أضاف بشربة ملؤها الثقة:

ـ قد تجهلني أنتي ملك العبيد البني.

ثم انتصب فخوراً باللقب الذي لابد أنه منحه لنفسه.

ـ أقدم لك رجل الدين الأكبر لمقاطعتنا، "ماناباني".

كان هذا الرجل يعمل على إخفاء أسمائه في غطاء يلتقط به. انحنى
حتى الأرض، مشيراً دهشة الفتاة بذلك، ثم قبل طرف حذائهما. فسحبت
"إيزابيل" قدمها.

ثم صاحت:

ـ ما معنى ذلك؟ إن هذا الرجل مجنون!

أبدى "أوراخ" ابتسامة معاونة:

ـ لا... بالمرة. إن تصرفاته -بالعكس- تعبّر عن الاحترام الفائق. إنه لا
يقوم إلا بتقديم الإجلال المفروض عليه إلى جميلتنا المحبوبة.
وكان يرافق هذه الكلمات بتحية مبالغ فيها.

ـ ماذ؟

نهضت "إيزابيل" في الحال، إذ ظلت أنها أساءت السمع. إنها الآن في
حالة ثورة عارمة. "مجانين"، لقد اختطفت من مجانين أصيّوا بالهلوسة".

ـ ليست لعبة، ولستنا مجانين.

كان الرجل واثقاً بتصرفاته، هكذا بدا الرجل لـ"إيزابيل" عندما تفرست
فيه. لكن ما الذي يبغيه من وراء ذلك؟

سالتنه:

استطعْتُ ابتلاع أي شيءٍ هذا المساء.

اعتبرت الوصيفة الصغيرة من باب اللباقة، ثم التهمت تصريحها.
ابتسمت "إيزابيل" أمام هذه الشهبة التي لا يمنعها شيء. وإذا بالخادم الذي
دعته في ذهنها الخادم الآخر يعود حاملاً لها وعاء عليه بعض الأخشاب
المتشتعلة، وشالاً من الصوف البدائي. وضع ما بيده وانصرف وهو يحبسها
في احترام.

ـ يا للتصرف الغريب. ما رأيك؟ وكان ليس له الحق في أن يلمعني.

ثم جلس "إيزابيل" في المهد ذي المسائد بعد أن تدثّرت بالشال،
وـ"كال" هي أيضاً جلست بجوارها بعد أن شاعت.

ـ أخبريني يا "كال"، ألم تسمع عن وجود رجال يسكنون هذه
الغاية؟

قضت الفتاة فترة في التفكير قبل أن تجيب:

ـ ليس بالضبط، لقد سمعتهم يقولون إن العبيد الذين هربوا -وهم
يدعون العبيد البني- يحتمون عند البركان. وبعض الناس يعتقدون أن
لهم معسكراً كبيراً في الأعلى حيث لا توجد أشجار.

سالتها "إيزابيل" وقد استبد بها القلق:

ـ وماذا يحكون عن أولئك الرجال؟

استمرت "كال" في المراوغة:

ـ آه الكثير من الأمور. ولا يعرف أحد الحقيقة.

لم تكن "إيزابيل" تخشى أن تكون الصغيرة لم تخبرها بكل شيء
فقط، لكنها كانت تخشى أيضاً معرفة المزيد عن هذه الأمور. قرأت على
الباب من جديد. نفس الرجل أتى لكي يسترد الصينية. وعند خروجه ترك
الباب مفتوحاً نار كا الفرصة للدخول القائد. دخل هذا الأخير ومن بعده
رجل آخر.

كانت "إيزابيل" صرخة الدهشة التي أنت إلى شفتيها. إنه المسؤول
الذي كانت قد رأته عند الخروج من الكاتدرائية قبل ذلك بعدة أسابيع.
حاولت تذكر الكلمات غير المرابطة التي كانت سمعتها، ولكنها لم تفلح
في ذلك. تقدم مضيفهما إلى وسط الغرفة، كانت ملابسه غريبة. إذ كان

- ماذا تريدون بالضبط؟
كانت كلمات "إيزابيل" واضحة ونبرتها قاطعة. كانت تعتقد أنه من المهم أن يدرك محدثها أنها لا تخاف.

- غاية ما في الأمر تقديم الاحترام والإجلال لشخصك كعادتنا.
لقد فاض بها. آثرت "إيزابيل" الصمت.

ثم أضاف الرجل وشاع دهاء في عينيه:
ـ إنك جميلة ونحن مدینون لك بالكثير.

- هل ستوضح موقفك في النهاية؟
كانت "إيزابيل" تحرص على الا تنفجر من الثورة. إن الموقف مخيف

حقاً. إن أمر الجمال لأبد أنه يخفي شيئاً، لكن ماذا؟ حدثت نفسها بأنه يجب الا تدعه يخرج إلا عندما يوضح لها الأمر. لكن للأسف، كان الرجل محظاً، مكاراً، ولقد استحال على "إيزابيل" أن تحركه حسبما شاءت.
ثم انسحب:

ـ إن الآلهة تعرف دائمًا كل شيء.
ازداد غضبها عندما غمز لها بعينيه في مكر. ثم أضاف وهو يتحدث بسرعة لكي يمنع "إيزابيل" من النطق:

ـ رجل الدين الأكبر سيد العبد من أجل العبادة. وأنا سوف أحضر لك وجيتك بنفسك هذا المساء لأنني لاحظت أنك لم تتناولي شيئاً. لن ندعك نهلكين.

و قبل أن تجد "إيزابيل" الفرصة للتغوفه بكلمة واحدة، كان قد اصطحب رجل الدين، خرجا وأغلق الباب.

قبضت "إيزابيل" على يديها بشدة. لقد أصبحت عاجزة عن اي تصرف. أما "كال" فكانت جالسة كما هي في مقعدها وهي في قمة الفزع.

ـ يالله من كابوس. لو كنت فقط أعرف ما يرغبونه..
جلست ووضعت وجهها بين يديها وهي في حالة انهيار تام. انتصبت فجأة، فرددت فستانها، وأصلحت من تسريحة شعرها. يجب أن أكون بقطة طوال الوقت. ربما هناك من يراقبني على الدوام. أمر مفرغ أن يعيش

المرء في مجتمع على هذا النحو. ترى كم من الزمن مستدوم هذه الحالة؟"
أغلقت عينيها. مرت في ذهنها صورة: لقد رأت "بوري" ظافرا، ضاحكاً:
ـ لقد حذرتك! من شدة ما لحق بي لم افكر في "هيبر". لابد أنه في غاية القلق من أجلِي! ترى فيما فكروا كلهم عندما تأخرنا؟ من المختتم أنهم ظنوا أننا قد ضللنا الطريق، ولا بد انهم خرجو للبحث عنا. وحتماً سوف يستمرون في البحث في الغابة حتى المساء. إن عددهم كبير. ربما.. وإذا بأهل يشجع الفتاة: "قد يكون رائعاً إذا تمكنا من تخليصي! لينتني فقدت شيئاً ما، ذلك كان سيفيدهم كدليل ويساعدهم على العثور علينا!"

لكن أملها انهار فجأة: "من المستحيل أن يجدوننا. لقد صعدنا إلى ارتفاع كبير، ولن يفكروا في أننا وصلنا إلى هنا. بالها من فكرة غبية تلك التي أنت إلى ذهن "كال"! لو لم نكن قد وقعنا هنا العدنا إلى المكان المكشوف. على أي حال المسؤولية تقع عليَّ أكثر منها. إذ كان عليَّ إلا انساق هكذا من أجل بعض الزهور". وهكذا شعرت "إيزابيل" بأنها تصرف مرة أخرى في غير تعقل. وهذا بساطة من أجل أن أثبت للسيد "باليرو" أنني قادرة على معرفة هذا البلد أكثر منه. لماذا هذا الغباء؟ وإذا طالبتهما بالقيام بنزهة خارج هذه الجزيرة الصغيرة فربما أجد الفرصة لترك شيء ما يفيدهم كعلامة إذا دفعت بهم المصادفة إلى البحث عني في هذا المكان البعيد. في إمكانني طلب نار دائمة أمام المنزل حتى أستدفئ بها كلما شعرت بالبرد. طالما لا توجد مدفعه. بذلك، عندما يرون الدخان المتتصاعد منها يتجهون نحو المنزل وبذلك يخلصونني" هكذا كانت "إيزابيل" تأتي بعبارات ومشاريع، إن دلت فهي تدل على الجنون وعلى الحرارة. مستحبيل أن أظل سجينه هنا. ولكن من الوقت؟"

مرة أخرى شعرت "إيزابيل" بالهزيمة: "لن أتوصل إلى خطة. إن هذا الـ "أوراخ" ليس غبياً. لن يقع في فخاخ يمثل هذا الغباء. ما العمل؟"

في اللحظة التي كانت فيها "إيزابيل" في حالة ارتباك ذهني شديد، إذا بقرعات على الباب. إنه "أوراخ" يحمل بنفسه صينية العشاء كما أعلن لها.

أبدى لها ابتسامة معبرة:

ـ أعتقد أنه نلزمنا فرصة لعقد حديث خاص.

الفصل التاسع

أكون قد انتهيت من سرد سبب وجودي هنا وكذلك إحدى الأساطير،
ستجدين أن كل ذلك منطقى تماماً.

كان واقفاً أمام "إيزابيل" ، مستندًا إلى الحائط، في وضع متراخ:

- لقد وصلت من إفريقيا مع فرقة من العبيد، منذ خمسة أعوام. كنت محظوظاً لأن الرجل الذي اشتراكي يتصف بالطيبة. كان يعلم عبيده القادرين على العلم، القراءة والكتابة والحساب. ولسوء الحظ توفي هذا الشخص بعد دخولي في خدمته بعامين. خلفه ولده. وما إن أصبح سيد المكان حتى ظهرت طبيعته الحقيقية. فهو على عكس والده، ذو طبع شرس نحو عبيده. فهو يضرينا عند أقل خطأ. فما كان مني إلا أن هربت بعد عام برفقة ثلاثة رجال وسيدين من العبيد مثلني. وبداء من هذه اللحظة أصبحنا عبیداً "بني" ، وأصبحنا مطاردين على الدوام. لذلك، احتمينا هنا حيث لا يسكن أحد، ومعسركنا إلى أعلى.

وعاً حيالنا تعلو السحب، نجد أنفسنا بعيدين عن الانتظار. إن ظروف البقاء شاقة جداً، لكننا على الأقل أحرار.
كان في إمكان "إيزابيل" إدراك أقواله بدون هذه الكهرباء التي لا يكفي عن إيداعها.

- أنا رئيس هذه الجالية التي تزداد يوماً بعد يوم.
صححت له بصوت واضح:
- الملك.
أبدى ابتسامة رضا.

- إنهم الرعايا الذين يابعوني. أنا لست شيئاً.

وكانت كلماته الأخيرة مصحوبة بابتسامة تواضع زائف.

- غاية ما في الأمر، عملوا على تقديم الشكر لي على قيادتي لهم، ومساعدتي إياهم في الهرب. من أجل ذلك، أقمت نظاماً افتخر به.

سالته "إيزابيل" في ازدراء:

- وكيف تحصل على المؤن التي تحتاجون إليها؟

أطلق زفير ضيق:

- إنك بذلك تلمسين الوتر الحساس. إن ما سأخبرك به سوف يرضيك.

"إيزابيل" لم تجده. كانت في انتظار معرفة ما يهدى إليه.

- أولاً، آسف لأضطراري بإحضار وجدة عشائلك مبكراً على هذا التحول. الآن الساعة الخامسة. إنني واثق بأنك ستتفهمين أننا هنا نعاني بعض مشاكل في الإدارة. ومن الصعب إحضار وجذتك من المعسكر عندما يخيم الظلم.

كادت "إيزابيل" تلقى بتفاصيله هذه بإشارة ازدراء، عندما وجدت في ذلك إمكانية:

- في الواقع أنه أمر منفر جداً بالنسبة لي. في إمكانكم إحضار هذه الوجدة - في نفس هذا الموعد. ولكن باردة، وعلىنا القيام بتدفتها هنا في الساعة الثامنة.

قسا وجه "أورانج":

- وبذلك يرى الجميع الدخان المتتصاعد من الغابة، ويأتون للتحقق مما يحدث هنا. لا جدوى من هذا العمل.
 إنه مكار وخبث، لكنه أيضاً معجب بنفسه. يجب أن أستفيد من هذا العيب واستخدمه".

وأصل "أورانج" وقد يدا راضياً عن نفسه:
- لكى تتفهمي جيداً مدى موقفك هنا، يجب أن أوضح لك بعض الأمور.

- بدءاً من أسباب هذا الاختطاف وهذا الاحتياز.

قالت "إيزابيل" هذا ببررة جاء، آمرة.

- ستكونين الإلهة الحية لنا، موضوع العبادة التي لقيتنا كما سمعت مني حالياً.

أبدت "إيزابيل" حركة تنم عن أن صبرها قد نفد:

- هذا أغباء. لن تتوصل إلى إقناعي بأمور مثل هذه السخافة.
أشار لها "أورانج" بآن تهدأ:

- من البديهي، الأمر يبدو لك - فلنقل - مثيراً للدهشة، لأنه بعد أن

ثم قال بعد فترة صمت:

- إنهم الضباط الذين يهتمون بالتفاهم حسب إرشاداتي. يجب أيضاً أن أشير إلى أنني الوحيد الذي يجيد القراءة والكتابة والحساب، وأنني أعلم أشياء عديدة أخرى. وهذه المعرفة تساعدني على التأثير في الآخرين.

- حتى الآن، بعض الجموعات تنزل إلى "سان بيير" وتعود حاملة ما يلزمها.

- إذن إنك لست سوى لص.

- بالتأكيد لا. إننا نتناول ما يخصنا فقط.

وكانت "إيزابيل" لا تتوقع أقل من ذلك من مثل هذه الشخصية.

- غير أنهم منذ فترة ليست بالقليلة أصبحوا لا يحضرون مؤاناً بنفس القدر. لذلك تتبعتهم وتحت أنفthem يخفون منها جزءاً، ولهم نية إنشاء معسكر آخر، في مكان أكثر استقراراً لكن أقل أماناً. وكانوا يهددون إلى جذب الآخرين إليه وتركى هنا بمفردي. ولا جدال في أنني أستخدم القوة لدحض خياناتهم. ولم يكونوا مستعدين للقيام بالحركة التي يهددون إليها. فكانت أمامي الفرصة للعمل على أن تفشل خططهم. ساعد على ذلك، أن الحظ ابتسם لي. وفي ذات صباح، شاهدت "ماناباني" يصل محموماً من الانفعال. فتساءلت عما قام به هذا الساحر العجوز. ومن خلال ما عرضه علي وجدت حللاً طبيعياً لمشاكله.

جاءحت "إيزابيل" لكي تحفظ بطبعها المتعالي، المزدرى. إنها في الواقع تخشى حدوث ما هو أسوأ. إن هذا الرجل يميل إلى فرض سلطانه على ذويه، وبذلك فهو سوف يكون مستعداً للاحتفاظ به". كانت "إيزابيل" ترى الدهاء بادياً في نظرات "أوراخ".

- لقد كان "ماناباني" ساحراً في قبيلته في إفريقيا. غير أنه احتفظ هنا بسلطة منحه احترام العبيد الآخرين لأنّه كان يجيد علاج بعض الأمراض بالأعشاب. ثم بعد قليل لجأوا إليه للقيام ببعض الأعمال السحرية السوداء. ولما فشلت كلها بدأوا يسخرون منه. ولقد حكى لي أسطورة في ذلك اليوم. إن عبيد هذه الجزيرة يحرمون آلهتهم، بعيداً عن بلدتهم. وهناك عقيدة قديمة ترغب في أن يكون لرجل مختار من بين من هم أكثر حكمة إلهة تكون حامية لهم. إن هذه الإلهة ستاني عن طريق البحر، وهي ذات

بشرة بيضاء وشعر أشقر، سوف تكتشف للمرة الأولى إلى أحد المحرقة، الذي سوف يصبح رجل الدين الأكبر المكلف بطرقوس هذه الإلهة.

والآن لقد شاهدت استخدامي لهذه الأسطورة. إن جميع العبيد يعرفون هذه القصة. لقد أعلنت لهم الأكثر حكمة، مادامت الإلهة أرسلت إليهم. ولقد وافق "ماناباني" على كل ما قررت لأنّه كان يرغب في تحسين سلطنته. على سبيل المثال، إلزامي بان أظل قائدتهم، خشية أن يجدوا أنفسهم وقد أبدوا جميعاً بسبب غضبك.

تساءلت "إيزابيل" إذا كانت لا تحلم.

- لكن كيف علمت أنني ستاني إلى هنا حيث كنت في انتظاري؟ لأنّه كان فخاً، أليس كذلك؟

قال في افتخار:

- لم يكن لي علم بمحبيك، أنا الذي جعلتك ثانية. أبدت الفتنة دهشتها.

- كان لابد أن تأتي الإلهة إلينا. وما كان ينبغي أن نخطفها قسراً، إنما نلزمها - دون أن يبدو ذلك - بالوصول إلى هنا. مرة أخرى استعنت بما لا ماناباني من قوة للإسهام في هذه الوسيلة. وبعد أن قمنا بمراقبتك طويلاً، حصلت على هذه الفرصة غير المتوقعة، أن تنتقل ب بنفسك إلى هذا الجزء من الجزيرة. ثم بعد أن علمت بمشروع النزهة في الغابة لم يكن أمامي سوى جذبك إلى مكان منعزل، في مكان حيث يمكنني انتظارك. ولقد تسللت في الليلة السابقة إلى حجرة خادمتك..

صرخت "كال" عند سماع هذه الكلمات. ابتسم لها وواصل:

- لقد قمت بعمل تعويذة لها حسب الطقوس التي لفتها لي الساحر العجوز. وما كان على بعد ذلك إلا إدخال رغباتي في ذهن هذه الطفلة.

- لقد استخدمتني. لقد سكت روحي.

كانت "كال" - وقد ارتبكت - قد نهضت واقتربت من مقعد "إيزابيل"، كمن تطلب حمايتها.

أمسكت الفتاة بيدي وصيفتها وضغطت بها لكي تطمئنها. لقد بدأت في فهم سبب سلوكيها الغريب أثناء الفترة الصباحية، وأصبحت تجد

- وكم من الوقت تعتزم احتجازنا؟
 - إلى الأبد.
 كان ذلك يبدو له بداهة.
 - ماذ؟
 اشتد فرع إيزابيل، و"كال" انهارت تحت قدمي سيدتها وهي تبكي.
 - إنك رهينة استقراري، اطمئني، لأنكما ستحصلان على معاملة طيبة، مع الاحترام والإقامة والخدمة بافضل ما في وسعنا. وعلى الرغم من كل ذلك، أتعشم الا تبدو الحياة لكما شاقة جدا.
 انهارت إيزابيل. إنها تفضل الموت على البقاء طوال حياتها في هذا المكان وبصحبة أولئك الرجال.
 - غدا سبباً للطفلين.
 نظرت إيزابيل إلى "أوراخ" مستهزئة:
 - لن تخبرني بـان..
 - بلـ، إنهم لا يتذمرون سوى ذلك.
 وضح مبتسمـاً:
 - سوف أحضر لاصطحابكما كل يوم في نهاية الفترة الصباحية. لن أخبرك بأكثر من ذلك، لأنك متوجهين متعة في اكتشاف كل شيء غدا.
 استطردت إيزابيل في جفاف:
 - إنـي لا أهـتم كثيرـاً بـهـذا النوع من الـاختلافـات.
 ثم أضافـتـ في هـدوءـ:
 - أمنـ المـكـنـ أنـ أـطمـئـنـ أـخـيـ، لـكـيـ يـعـرـفـ أـنـيـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاةـ، وـأـنـيـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ؟
 هـزـ "أوراخـ" رـأسـهـ:
 - منـ المسـتحـيلـ أنـ الـيـ هـذـاـ الـطـلبـ. لـوـ عـلـمـ أـخـوـكـ أـنـكـ مـحـتـجزـ سـجـيـنةـ، لـنـ يـكـفـ عـنـ الـبـحـثـ عـنـكـ إـلاـ عـنـدـمـاـ يـعـتـرـ عـلـيـكـ، وـلـاـ أـسـتـطـعـ اـرـتـكـابـ خـطاـ مـثـلـ هـذـاـ. إـنـيـ آسـفـ لـهـذـاـ الـأـمـرـ.
 عـضـتـ إـيزـابـيلـ شـفـتهاـ مـنـ الغـيـظـ. بـالـتـاكـيدـ أـنـ هـذـاـ الرـجـلـ خـيـثـ. ثـمـ أـتـ فـكـرـةـ إـلـىـ ذـهـنـهاـ:

تفسيراً لـكلـمـاتـ التيـ سـمعـتـهاـ فيـ الـلـيـلـةـ السـابـقـةـ. وـعـنـدـمـاـ تـذـكـرـتـ كـلـ ماـ رـأـيـهـ مـنـ أـحـدـاثـ غـرـيـبـةـ أوـ كـانـ ضـحـيـتـهاـ، حـدـثـتـ نـفـسـهاـ، إـنـهـ بـعـدـ لـقـائـهاـ بـالـتـسـولـ العـجـوزـ عـنـدـ الـخـروـجـ مـنـ الـكـاتـدـرـالـيـةـ قـرـرتـ أـنـ تـقـفـ عـلـىـ كـلـ هـذـهـ النـقـاطـ الإـعـجـازـيـةـ. إـلـاـ كـانـتـ تـرـغـبـ فـيـ مـعـرـفـةـ كـلـ ذـلـكـ، فـلـيـسـ لـدـيـهاـ إـلـاـ اـسـتـجـوابـ هـذـاـ الشـخـصـ، وـإـنـ كـانـتـ تـنـفـرـ مـنـ ذـلـكـ.

- فـيمـ تـسـتـخـدـمـ هـذـهـ الـدـمـيـةـ التـيـ مـنـ الـخـزـفـ التـيـ وـجـدـتـهـاـ ذاتـ يـوـمـ فيـ حـجـرـتـيـ؟

مـطـ "أوراخـ" شـفـتهـ:

- إنـهاـ غـلـطـةـ بـؤـسـ لـهـاـ صـدـرـتـ مـنـ "مانـابـانـيـ". لـابـدـ أـنـ هـذـهـ الـدـمـيـةـ تـعـوـيـذـةـ. كـانـ يـتـمـنـيـ نـبـلـ رـضـاـهـاـ. كـنـتـ لـاـ أـرـغـبـ فـيـ قـيـامـهـ بـهـذـاـ النـوعـ مـنـ الـأـمـورـ، حـتـىـ لـاـ يـلـفـتـ نـظـرـكـ. لـذـلـكـ كـانـ حـرـيـصـاـ عـلـىـ عـدـمـ إـخـطـارـيـ.

واـصـلـتـ إـيزـابـيلـ:

- وـفـيـ مـكـتبـةـ "بـافـيونـ"ـ، هـلـ أـنـتـ الـذـيـ كـنـتـ تـرـاقـبـيـ وـتـجـسـسـ عـلـىـ؟ـ اـنـحـنـيـ الرـجـلـ.

- لـقـدـ حـصـلـ لـيـ هـذـاـ الشـرـفـ. كـنـتـ أـرـغـبـ فـيـ مـعـرـفـتـكـ قـلـبـاـ لـحـتـىـ اـتـكـنـ مـنـ إـثـامـ خـطـةـ نـاجـحةـ وـبـلـاـ مـشـاـكـلـ.

تـعـتـمـ وـجـهـ "إـيزـابـيلـ":

- وـهـلـ أـنـتـ أـيـضاـ الـذـيـ نـسـلـتـ إـلـىـ حـجـرـتـيـ ذاتـ لـيـلـةـ؟ـ بـدـاـ "أوراخـ"ـ مـهـمـومـاـ.

- نـعـمـ بـالـضـيـطـ. رـغـبـتـ فـيـ عـمـلـ تـعـوـيـذـةـ لـكـ فـيـ هـذـاـ الـمـسـاءـ، لـكـيـ ثـانـيـ إـلـىـ هـنـاـ، وـلـمـ أـتـوـصـلـ إـلـىـ ذـلـكـ. إـنـكـ تـعـتـمـيـنـ بـمـقاـوـمـةـ فـرـيقـةـ. اـسـتـمـرـ الـاسـتـجـوابـ.

- وـمـاـ الـذـيـ سـعـيـتـ إـلـيـهـ عـنـدـمـاـ كـنـاـ عـادـيـنـ مـنـ "مارـآـ سـيـتروـنـ"ـ؟

- فـكـرـتـ فـيـ اـخـطـافـكـاـ وـالـعـودـةـ مـعـكـماـ فـيـ عـرـيـكـماـ. لـكـ "سينـامـالـيـهـ"ـ أـتـيـ مـبـكـراـ لـأـنـيـ كـنـتـ أـرـيدـ اـنـتـظـارـ الـظـلـامـ حـتـىـ اـتـكـنـ مـنـ الـثـاثـيرـ فـيـكـماـ.

ثـمـ اـسـتـنـارـ وـجـهـ بـاـسـمـاـةـ شـامـخـةـ:

- لـقـدـ رـأـيـتـ أـنـ كـلـ شـيـءـ قـدـ أـعـدـ بـعـنـيـةـ.

وَمَا لَمْ تُخْبِرْ بِهِ خَادِمَتِهَا، هُوَ أَنَّهَا كَانَتْ لَا تُرِي كَيْفَ سِيَمْكُونُ مِنْ اكْتِشافِهِمَا فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَا يُسْتَطِعُ أَحَدٌ الْوُصُولُ إِلَيْهِ. كَانَتْ كُلُّمَا فَكَرَتْ فِيهِنِ سِيقْمَنْ بِالْعُثُورِ عَلَيْهِمَا، كَانَتْ تُرِي - رَغْمَا عَنْهَا - قَوْمَ "بُورِي" الْفَارِعِ يَتَرَاءَ لِهَا. "إِنَّهَا الْمَرْأَةُ الْثَالِثَةُ الَّتِي أَتَطَلَّعُ فِيهَا إِلَى خَلاصِنَا" بُورِي. وَالرَّجُلُ الَّذِي أَفْكَرَ فِيهِ هُوَ "بُورِي" وَلَيْسَ "هِيبِرْ". وَمِنْ أُوْجَهِ الْغَرَابَةِ، أَنْ مُجَرَّدَ التَّفْكِيرِ فِي "بُورِي" كَانَ يَمْنَحُهَا شَجَاعَةً. يَالَّهَا مِنْ إِرَادَةٍ وَيَالَّهَا مِنْ قُوَّةٍ هَاتِينِ الَّتِيْنِ تَبَعَّثَانِ مِنْهُ. لَكِنْ... هَاتِنَا مَعْجِبَةٌ بِهِ. أَنَا مِنْ لَمْ أَسْعِ إِلَى اكْتِشافِ عَبْوِيْهِ. هَلْ إِنْ... آهْ لَا. لَمَّا يَجْبُ عَلَيْهِ أَنْ اكْتِشَفَ ذَلِكَ الْآنَ فَقْطَ؟ عَلَيْهِ أَيْ حَالٍ فَيَمْ بَعْيَرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ؟" تَنَاهَدَتْ "إِيزَابِيلْ" حَالَةً: "إِنِّي أَحْبُّ بُورِي". كَيْفَ يَحْدُثُ أَنِّي لَمْ أَدْرِكْ ذَلِكَ قَبْلَ الْآنِ؟ شَعَرَتْ "إِيزَابِيلْ" بِأَنَّهَا قَدْ تَخَلَّصَتْ مِنْ أَثْقَالِهَا وَتَكَادْ تَكُونُ سَعِيدَةً عِنْدَمَا قَامَتْ بِهَا الْاكْتِشافُ. ثُمْ - فَجَأَةً - اسْتَعْدَادُ رُؤْيَا وَجْهٍ رَائِعٍ مُحَاطٍ بِشَعْرٍ كَثِيفٍ دَاكِنٍ.

هَمْسَتْ:

- "أَوْمَبْلِينْ".

قَالَتْ ذَلِكَ فِي الْمَمْ. اسْتَعْدَادُ ذَكْرِي كَلِمَاتَ "إِمِيرِيكِ دِيْ كِيرِيفِيجُونْ" الَّتِي تَرَدَّدَ صَدَاهَا فِي قَلْبِهَا. يَبْدُو أَنَّهُمَا مُتَفَاهِمَانِ، مَاذَا ارْتَكَبَتْ كُلُّ هَذِهِ الْأَخْطَاءِ؟ رَعَا كَانَتْ تَتَغَيِّرُ نَظَرَتُهُ لِي، لَوْلَمْ أَخْلُقْ كُلَّ هَذِهِ الْمَشَائِلِ. كَمَا وَأَنَّهُ لَمْ يَمْ بَاتْ لِمَعْنَيِّي قَطْ؟ لَانِهِ يَحْبُّ "أَوْمَبْلِينْ"؟" أَغْلَقَتْ "إِيزَابِيلْ" عَيْنِيهَا. لَقَدْ ارْتَسَمَتْ صُورَةُ الشَّابِ فِي ذَهْنِهَا. لَقَدْ بَدَلَهَا أَجْمَلُ مَا كَانَتْ تَرَاهُ حَتَّى ذَلِكَ الْحِينَ، لَنْ يَسْمَعُهَا أَبْدَا الْكَلِمَاتِ الْحَانِيَةِ الَّتِي كَمْ كَانَتْ تَتَمَنَّى سَمَاعَهَا. "بُورِي"، إِنِّي أَحْبُّكَ - هَكَذَا تَعْتَمَتْ - هَلْ سَتَغْفِرُ لِي سُلُوكِي هَذَا يَا حَبِيْبي؟ لَمْ أَحْبُّ سُوَاكَ. وَمَاذَا يَحْبُّ أَنْ اكْتِشَفَ هَذَا بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؟ لَنْ أَخْرُجَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِنَا. سَتَكُونُ لَهُ فَكْرَةُ سَيِّئَةٍ عَنِّي. وَطَالَمَا يَحْبُّ غَيْرِي كَانَ عَلَيْهِ أَنْ أَخْتَفِي. لَكِنِي عَلَى الْأَقْلَمِ كُنْتْ أَتَنَى مُوقْفًا مَعِهِ، أَنْ أَخْبِرَهُ كَمْ أَنِّي نَادِمَةٌ. وَفِي الْوَاقِعِ، أَخْتَلَفَ كَثِيرًا عَمَّا كَانَ يَعْتَقِدُ. كَمْ كَنْتْ أَتَنَى التَّاقْلِمَ مَعَ هَذِهِ الْحَيَاةِ، كَيْفَ يَحْدُثُ أَنِّي لَمْ اكْتِشَفْ أَنِّي أَحْبُّهُ قَبْلَ الْآنِ؟ وَكَمْ كَانَ حَكْمِي عَلَيْهِ ظَالِمًا وَالآنِ، لَا

- رَبَّما أَنْتَ تَجْهَلُ أَنَّ الْعِبُودِيَّةَ قَدْ بَعْلَتْ مِنْذَ عَدَةِ شَهْرَاتِ؟ أَجْابَهَا فِي هَذِهِ وَرَبِّاطَةِ جَاشِ: - إِنِّي مُلِمْ بِكُلِّ شَيْءٍ. حِينَئِذِ سَرَّتْ:

- وَإِذَا أَعْلَمْتَ رِجَالَكَ بِذَلِكَ؟ لَانِي أَعْتَقُ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَهُ.

بَدَتْ ابْتِسَامَةٌ ضَعِيفَةٌ عَلَى شَفَتِيِّ مَحْدُثَهَا:

- لَقَدْ تَرَقَعَتْ هَذِهِ الْاحْتِمَالُ، لَقَدْ اخْتَرَعَتْ بَقِيَّةُ الْأَسْطُورَةِ. أَنَا الْوَحِيدُ الَّذِي يَسْتَطِعُ أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَ الإِلَهِ وَلَيْسَ سَوَاءً، وَلَا حَتَّى "مَانَابَانِي" لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يَجْبِبَكَ.

قَدَّفَهُ "إِيزَابِيلْ" فِي ثُورَتِهَا، بِقَوْلِهَا:

- مَعَ ذَلِكَ، أَعْتَقُ أَنِّي إِذَا أَعْلَمْتَ رِجَالَكَ بِهَذَا الْخَيْرِ، وَقَتْ اجْتِمَاعِهِمُ الْيَوْمِيِّ، سَوْفَ يَطْرَحُ بَعْضُهُمُ أَسْئَلَةً عَنِ الْأَمْرِ، وَسَوْفَ يَتَوَاجَدُ مِنْ بَيْنِهِمْ مِنْ بَفْضَلِ أَنْ يَكُونُ عَامِلًا حَرَّاً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَكُونَ إِنسَانًا خَارِجًا عَلَى الْقَانُونِ أَوْ لَصًا.

- لَا تَنْسِي أَنَّهُمْ سَوْفَ يَتَعَرَّضُونَ لِدُخُولِ السِّجْنِ بِسَبَبِ تَشَتِّتِهِمْ وَجَرَائِمِهِمْ. وَلَقَدْ تَصَرَّفَتْ لَكِي أَدْفَعَهُمْ إِلَى ارْتِكَابِ بَعْضِ الْجَرَائِمِ.

فَزَعَتْ "إِيزَابِيلْ" لِمَا لَهَا ذَلِكُ الْشَّخْصُ مِنْ أَعْمَالٍ شَيْطَانِيَّةٍ. اسْتَأْذَنَ مِنْ الْفَتَانِيْنَ وَذَلِكَ بِتَحْيَيْتِهِمَا فِي احْتِرَامٍ مُبَالِغٍ فِيهِ.

- أَتَنَى لِكَمَا سَهْرَةُ طَبِيبَةٍ. آسَفُ لَانِي مُفْتَحَرٌ إِلَى وَسَائِلِ التَّرْفِيهِ لَكِي أَقْدَمَهَا إِلَيْكُمَا.

عِنْدَمَا خَرَجَ، الْفَتَّ "إِيزَابِيلْ" بَنْفَسِهَا عَلَى مَقْعِدِهَا ذَيِّ الْمَسَانِدِ. وَ"كَالْ" أَخْدَثَ تَلَوِي بِدِيْهَا وَهِيَ تَنْتَهِبُ.

- مَاذَا سَيَكُونُ مَصِيرَنَا يَا آتَسْتِي؟

أَطْلَقَتْ "إِيزَابِيلْ" زَفِيرًا:

- أَصْبَحَتْ لَا أَدْرِي شَبَّاً يَا "كَالْ". أَرْجُو أَنْ يَنْجُحُوا فِي الْعُثُورِ عَلَيْنَا بِسَرْعَةٍ.

النساء الإفريقيات، وـ "ماناباني" يحتفظ به مثل هذه الملامسة. إنك أول من سيرتدية.

ترددت "إيزابيل". شعرت بأنها ستقوم بعمل دنس أو انتهاك حرمة. إذا تركتهم يبعدونها هكذا، فهو أمر منفر.

- أسرععي.

كان الصوت آمراً. أطاعت "إيزابيل" لأنها كانت تعلم أنه لن يتزدد في استخدام "كال" للقيام بالتشريع.

- حلي شعرك بالكامل. ودعه يسترسل على ظهرك.

سلست "إيزابيل" شعرها إلى "كال" التي قامت بحل الشماليون الثقيل، فسقط على عنق سيدتها. عندما انتهت من هذه المهمة، نهضت

"إيزابيل". قالت:

- أنا مستعدة.

ابتسم "أورانج"، ثم قال:

- إنها ليست أضحية، إنما عبادة.

خرجت وتعته ذليلة ذراعيها إلى جانبها. وكم كانت دهشتها عندما لم تجد أحداً أمام المعبد. وفدت حائرة برهة. ترى أي فخ ينتظرها؟! التفت "أورانج"، ولما لاحظ دهشتها وضع:

- لا نقلقي. سيحضرون في الحال. يجب أولاً أن تتحذى لك مكاناً. وقد اطمانت إلى حد ما، لحقت "إيزابيل" بالمعبد. إنه مأوى صغير من

الخشب ذات سقف مدبب ليست له واجهة، ولا نوافذ. وكان الحائط الداخلي مغطى بستار أزرق مطرز بنجموم ذهبية. وكان هناك مقعد ذو مساند رائع يترسّط هذا المكان الضيق، وجلد الماعز كان يغطي الأرضية. أشار "أورانج" إلى الفتاة بالجلوس. أطاعت الفتاة مكرهة. ثم بعد أن جلست أصلح "أورانج" - في

فن - كسرات فستانها حولها. بعد ذلك وضع على الأرض شمعدانين على جانبي الفتاة. ثم أضاء الشموع التي بهما. صفق مرتين بسيده، ثم جلس عن يسار "إيزابيل" أمام المذبح، وكان منتصباً مشبكًا ذراعيه على صدره. ثم ظهر رجل الدين الأكبر يتبعه نحو ثلاثة رجالاً ومسيدة، ملأوا المساحة الموجودة بين الأشجار والمعبد. كانت "إيزابيل" تحاول الاحتفاظ بسكنيتها على قدر

استطيع تغيير شيء من الوضع. كم كنت أعتقد أنني أمقته. إنه هو الذي كان وما زال على حق. ما كان ينبغي أن أضع نفسي في مثل هذا الموقف. إنه في الواقع الشخص الوحيد الذي لي في الدنيا الآن. الوحيد الذي سوف أراه يظهر بمحنة لكي يخلصني من هذا السجن. سامحة لي يا "هيبر" لأنني وضعتك في المرتبة الثانية بعد "بوري"، لكنني واثقة بأنك لن تحامل علي. ليتك كنت هنا لكي تخفف ملي وتعيني على الاحتفاظ بهذا الحب بلا أمل. لماذا يجب أن أحب رجلاً من تنصيب فتاة أخرى؟"

على الرغم مما كانت عليه "كال" من متابعة، تناولت "إيزابيل" عشاءها.

كانت تبدو وكأنها تعيش حلم يقطّعه.

وجدت صعوبة في العثور على النعاس، وكان طيف "بوري" يلاحقها في الأحلام. رأت الشاب مصرياً إصبعه نحوها، متهدماً إياها: "إن ما يحدث لك، إنما هو ثمرة أخطائك".

ثم يذهب لها ظهره ويدّه إلى "أوبيلين".

وفي صباح اليوم التالي، نعمت "إيزابيل" أثناء الفترة الصباحية. اتّهمت الفستان زينتهما باسلوب مشقشّ جداً، ثم بدا "أورانج"، وكانت "إيزابيل" في أسوأ حال.

أردفت دون أن تدع له فرصة لتجاهتها:

- أرجو أن تفكّر في منحي ملابس أخرى. إذ إنه لا يعقل أن ترتدّي كل يوم نفس الفستان ولا يكون لديك سوي واحد. حينئذ انحنى أمامها "سيرفيل" الرغبي.

- ستعمل على ذلك. سأطلب منك إعادة ارتداء هذا الملبس من أجل الاحتفال.

نظرت "إيزابيل" مرتاتة إلى هذا الرداء الواسع. رأته رائعًا وإن كانت خباطته بدائية. وهو من قماش ناعم تكسوه دانتيل مطرزة بأسلاك الذهب. دهشت الفتاة لأنّه لا بدّ أن يكون غالٍ الثمن.

- كيف يحدث أن لكم رداء بمثل هذا الثمن؟

- إنه لك من الآن فصاعداً. إنه فستان الطقوس الذي تقوم بتطريزه كل

وإذا بحفيظ خفيف على جدار المنزل، يشدّها من أحالم اليقظة التي كانت فيها. اتجهت دهشة نحو الباب لكي تعرف مصدر الصوت. وقبل أن تبلغ الفتحة، إذا بالصراع يفتح بشدة، لكي يجدو منه رجل!! أسرع بالدخول وأغلق الباب من خلفه، واستند إلى الحائط. وقف إيزابيل مسمرة، ما بين الدهشة والفرغ. لم تذكر أنه سبق لها رؤية هذا الرجل قبل الآن. تفحصته. وجدته يرتدي بنطلونا قصيراً وقميصاً قدماً من القطن، عاري القدمين وعلى قدر من القذارة يدعوه إلى الاشمئزاز. في هذه اللحظة، احتمت "كال" خلف أحد المعددين. كان الرجل لا هناءً ويشكل بصعوبة.

- لا تصرخي. لن ألحق بك أي أذى.

اطمأنّت إيزابيل بـ"بعض الشيء" وبنبرة واثقة، سالت:

- من الذي سمح لك بالدخول هنا؟ كيف نجرو على إزعاجي. وأولاً..
و قبل كل شيء ما هو هدف مجيكتك إلى هنا؟

قام بتحيتها في احترام:

- المعذرة، إني أرغب فقط في لمسك.

امتنعت إيزابيل عن القيام بحركة تراجع.

وكم كانت دهشتها عندما اقترب الرجل منها مبتسمًا.

- لا أهمية لذلك. لن يستطيع الإساءة إلي بعد قليل.

ولما كانت إيزابيل عاجزة عن التصرف، أخرجتها "كال" من حال الضيق التي تملكتها، بانطلاقت صرخة عالية. تحول الرجل من إيزابيل إلى الصغيرة. بحثت الصغيرة بنظرها عن شيء ما تضرره به. لم تجد شيئاً. لكن الباب فتح لكي يدخل منه "أوراخ" ومن بعده ثلاثة رجال من الجزيرة الصغيرة.

وبناء على أمر من قائدهم، انقضوا على هذا الدخيل الذي كان يواجههم. ثم انصرفوا دون أن ينطقوا بكلمة واحدة. وـ"إيزابيل" شرعت تهدئ خادمتها. وما هي إلا لحظات، حتى دخل "أوراخ" الحجرة مرة أخرى، دون أن يقرع الباب.

- يجب علي أن أوضح لك الأمر.

وكانت قسمات وجهه مشدودة.

استطاعتتها. أخذت تتطلع إلى الوجه الذي تحولت كلها نحوها، والفضول يلا عيونهم. وإذا برجل الدين الكبير - وكان في رداء أشبه ما يمكن بالعبادة، ذي بياض ناصع - يأتي ويحيطوا أمام الفتاة، ثم بدأ بتلاوة إحدى الصلوات بلغة مجهولة، وكان الجميع يرددوها معه.

ثم بعد انتهاء التلاوة، تفرقوا بناء على إشارة من "أوراخ". ثم نهض رجل الدين المسن والتفت. كانت نظرته مصوبة إلى الرجال والنساء الذين غادروا الجزيرة الصغيرة.

سمعته إيزابيل وهو يسأله:

- إننا قد حصلنا عليها هذه المرة. لن ندعها ترحل.

فهمت الفتاة في الحال أنه يتحدث عنها.

اقترب منها "أوراخ"، لكي يصطحبها. ثم بعد أن تناول الغداء، قررت إيزابيل أن تفكّر فيما قاله "ماناباني" وأن تحدد بعض الأحداث التي كانت لا تزال غامضة. إذ إنه ما معنى كلمات هذا الساحر العجوز؟ هل تفهم من ذلك أنه كانت هناك مرة سابقة؟ لكن متى؟ وخاصة لماذا، لماذا الإلهة الأولى غير متواجدة هنا؟ ترى هل قتلوها؟ من المحتمل.

اقشعر بدن إيزابيل إزاء هذه الفكرة. ترددت في استجواب "أوراخ" عن ذلك.. و"بوري"؟ تنهدت عندما تذكريت الشاب، أغلقت عينيها لكي ترى صورته بوضوح أكثر. ترى ماذا يعرف عن ذلك؟ كان سيمعن "ماناباني" من الاقتراب منها. غير أنه مع ذلك من المستحيل أن يعرف نيات هذا الرجل العجوز. لكن لماذا طرده بمثل هذا العنف؟ هل مجرد أنه متسلل ومنظره قذر؟

كانت إيزابيل تحاول جمع عناصر الموضوع، لكنها تتحقق من أن الأجزاء الأساسية تقصصها، ونهضت وتوجهت إلى النافذة. وقفّت تتأمل مربع العشب الذي كان كل ما تستطيع أن تشاهده. أمر فظيع أن نجبا طوال الوقت في مكان محدود هكذا بلا عمل، ومع أولئك المهاجرين الذين قد يصبحون خطرين بين لحظة و أخرى، وأن انفك في أن الرجل الذي أحبه قريب مني ولا أستطيع أن أراه..

- آه! يا آتستي، لكن إن لم تتمكن من الهرب، فسوف يقبحون علينا
 مرة أخرى! وما الذي سيلحقوننا به؟
 أغلقت "إيزابيل" قبضتي بيديها.
 - ينبغي أن تصلك إلى هناك. ما عليك إلا اتباعي.
 أرتجف صوت "كال" وهي تقول:
 - سأحاول العمل بكل جهدي، لكنني خائفة.
 لكن "إيزابيل" بدأت تتصرف في همة.
 - سأحاول في الفترة الباقية من النهار- تعرف مكان الحراس، لكي
 تمر بين الذين منهما. وعندما يأتي المساء، ما علينا إلا أن نزحف في صمت
 على قدر المستطاع. يجب أن ننجح.
 - لكنها جسارة!
 استطردت "إيزابيل":
 - نعم، لكن هذا كل ما نستطيع القيام بمحاولته، حتى لا يقال إني لم
 أحاول القيام بكل الوسائل. عليك باول دورية للمراقبة. راقبي جيداً من
 أين يأتي هؤلاء الرجال لحضور هذه.. المسرحية.
 وأشارت "كال" برأسها بالموافقة.
 - ساءستعد. "أوراخ" سيأتي بعد قليل لاصطحابي.
 كانت "إيزابيل" تعاني دوماً تقززاً من هذا النوع من العبادة. كانت
 جماعة العبيد لا تزال تحت قيادة ملوكهم. ولقد بدا الساحر العجوز كأنه
 يسعى إلى جنون هادئ، قد جعل "إيزابيل" تطلق بعض الشيء، وفي
 الساعة المعتادة، استعدت الفتاة بارتداء فستان رائع. أدارت ظهرها للباب،
 ولم تلتفت عند سماع قرعات على الباب.
 صاحت بصوت جاف:
 - ادخل.
 فتح الباب، ودخل الرجل. أضافت "إيزابيل" دون أن تلتفت:
 - إني مستعدة.
 ولما دهشت لأن الرجل لم ينطق بعد بكلمة، التفت. فكان أن صبيحة
 المفاجأة التي أطلقتها، جعلت "كال" تأتي مسرعة من الحجرة المجاورة.

- إن هذا الرجل أحد أولئك الراغبين في الحصول على منصبى. وفي
 اعتقاده أنه إذا لمسك لا يموت إثر اللمسة، وهذه إشارة إلى أنه مرشح لأخذ
 منصبي.
 ثم دوى في القضاء صياح يخلو من الإنسانية، يتلوه صراخ ألم حاد.
 ثم عاد الصمت من جديد.
 تجمدت "إيزابيل".
 - كان لابد من إعطاء مثال.
 على ما يبدو أنه كان بكلماته هذه يسعى إلى الاعتذار.
 - إنك وحش!
 وتركت الغرفة وهي تدبر له ظهرها حتى يفهم أن المقابلة انتهت، فما
 كان منه إلا أن خرج. وكانت "إيزابيل" تقاوم الرجفة التي تملكتها.. شيء
 مفزع! إذا كان العنف يسود هنا، ترى إلى أي مدى سيصلون؟
 مرة أخرى، تحول ذكرها نحو "بورى". طلبت من صورة الشاب التي
 تشراء لها أن تتحجها الشجاعة اللازمة لكي تتغلب على هذه التجارب.
 صررت على أسنانها. يجب على احتمال كل شيء. لابد لي حتماً من
 الخروج من هنا، لأنني لست قادرة على عدم مشاهدته. هذا ظلم! لابد أن
 أشرح له العديد من الأمور.

مضى يومان، أشبه باليام السابقة.
 كانت "إيزابيل"-في ارتباكتها- تدور في منزلها الضيق. و"كال" كانت
 تبكي طوال اليوم. لقد أنهكت الفتاتان من طول الانتظار بلا فائدة.
 لن يأتي أحد إلى هنا للبحث عنا". "إيزابيل" كانت تبحث عن
 الوسيلة التي تمكنتها من مغادرة هذا السجن الذي بلا متابيس.
 - "كال" ، يجب أن نهرب. لم أعد قادرة على احتمال الحياة هنا.
 سوف نحوال-هذه الليلة- أن نرحل في صمت وبلا ضجة. أفضل أن
 أضل في هذه الغابة، من الاستمرار في البقاء هنا.
 هزت "كال" رأسها فزعة.

الفصل العاشر

- أنت، هنا!

وقفت إيزابيل تتأمل بوري الواقف أمامها، وكانه أحد العائدين من العالم الآخر. بعد أن مرت فترة الدهشة، أسرع نحوها، وهو يتغرس فيها. حتى الآن لم ينطق بكلمة. وإيزابيل أيضاً عجزت عن الكلام من شدة تأثيرها.

ها هو الرجل الذي تحبه والذي كانت ترغب في أن يأتي لكي ينقذها واقف أمامها وهي مازالت صامتة. إنه أجمل مالي من فكرة عن صورته. إن عينيه الخضراوين يظهران لون وجهه الذي لفحته الشمس. كان في ملابس الفروسية وهي من التسليل البيج. وكانه يلتسم إيزابيل بانتظاره. كم أتمنى الا تنتهي هذه اللحظة أبداً، هكذا جاء تفكيرها. كم أتمنى أن أخبره باني أحبه، وأنني تمنيته، وأنه كان في خيالي طوال هذه الساعات.

ثم بعد فترة الصمت التي دامت للحظات، أمسك بها بوري فجأة بين ذراعيه وجذبها إليه في غمرة السعادة. أغلقت إيزابيل عينيها. كم أتمنى أحبه! شعرت بقلب الشاب يخفق على قلبها.

- إيزابيل.

ارتكت عند سماع هذا الصوت الأجيال، كادت تخور. ثم مالت برأسها على كتف الشاب إذ وجدت فيه الحماية. رفع الشاب رأس إيزابيل في رقة متناهية. فتحت عينيها وتمتنعت:

- بوري.

- أنا هنا. لا تخافي شيئاً. كيف أنت؟ امتلات سعادة عند سماع نبرته القلقة.

- على ما يرام منذ وجودك هنا.

كانت تنظر إليه في إعجاب. تمنت أن تدوم هذه اللحظة دهراً. اقترب وجه بوري من وجهها. شعرت إيزابيل بشفتي الشاب تلمس شفتيها.

شعرت بكل كيانها. ثم قبلتها طويلاً. ها هي لم تعد تدري أين هي. فهي لم تعد تفكر في أي شيء كان. إن ما يهمها هي اللحظة الحالية: إنها بين ذراعي رجل حياتها! وعندما أبعد الشاب وجهه عن وجهها، فتحت عينيها. ثم لا إرادياً، قاربت إيزابيل شفتيها من شفتي الشاب. فحدث أنه أغضى عليها بين ذراعيه.

وعندما أفاق، رأت بوري وهو يميل عليها قلقاً ويتسمّ:

- ماذا بك يا إيزابيل؟

كان قد حملها إلى السرير الصغير الذي حلمت به فيه طوال أربع ليال. لا نقلق، إنها مجرد مؤثرات، سامحة.

وأشار إلى أنه أدرك كل شيء.

لا ترهقي نفسك في الكلام. استريح، وستعود إلى الحديث عندما تشعرين بالارتياح، وسترحل.

ابتسمت له إيزابيل. كان ينظر إليها في حنان بالغ. ثم راحت في بباب عميق، كانت خلاله تستعيد اللحظات الرائعة التي منحها إليها بوري. وعندما استيقظت، وجدت "كال" بالقرب منها.

لم تتأمي بالقدر الكافي. أعتقد أنها سترحل فوراً.

"بوري" .. هذا الاسم يجعلها تخلّم. كما أن نظرته وكلماته الحانية والمهدئة وعينيه الجميلتين كل هذا جعلها تعيش لحظات في الجنة. كانت غير مصدقة ما هي عليه من سعادة. وكانت تعمل على طرد صورة "أوميلين" في اللحظات الحالية. حولت رأسها فجأة.

ها هو شبح مالوف لها يبدو في فتحة الباب. وهو الآن بجوار فراشها.

إذا كنت تشعرين بالقدرة على النزول فسترحل حالياً.

كان صوت بوري الدافئ يرن في أرجاء هذا المنزل الصغير.

علينا أيضاً أن نقطع جزءاً من الطريق، سيراً على الأقدام، لأنني لم أتمكن من إحضار عربتي إلى هنا.

نهضت إيزابيل ووقفت إلى جانبها. فكرت في أنها حتى لو كانت منهكة.. سوف تتبعه حتى نهاية العالم. إن كل ما يهمها هو بقاوها بالقرب منه. خرجوا من الجزيرة الصغيرة، التي غادرتها إيزابيل دون أن تلتفت إليها.

ابتسمت لهذه العادة المميزة التي لهذا الشاب، وتذكرت أن هذه الحركة كانت تشيرها قبل ذلك. قبل.. من الآن فصاعداً، سوف يتواجد بالنسبة لها ما هو "قبل" وما هو "بعد". لن تصبح الأمور متشابهة. ساعدتها "بيلوني" على الصعود إلى السرير. كان هذا الأخير معطراً، وكانت بالحاجة زهور في كل أنحائها. وعندما تواجدت "إيزابيل" بغرتها، فكرت -في ضوء الغروب الوردي- في خنانها الإعجازية. وزعمت على سؤال "بورى" عن التفاصيل غداً. وفي اللحظة التي استسلمت فيها للنوم، تراءت لها صورة أخيها. "جيبي" هبّر المسكين، كم أني أهمله!

وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي، وجدت "كال" عند سريرها. وعندما فتحت عينيها، أسرعت إلى الدهلiz وهي تصبح: الآنسة استيقظت! فابتسمت "إيزابيل". إن هذه المغامرة لم تعمل على جعل "كال" أكثر تعقلًا، لكن "إيزابيل" علمت أنه في إمكانها من الآن فصاعداً الاعتماد على إخلاص وصيغتها حتى إذا كانت معمودة، لكن غير متعللة وغير قابلة للإصلاح.

سمع صوت أقدام في الدهلiz المؤدي إلى حجرتها. بعد قليل بدا "هيبي" عند فتحة الباب. أسرع إليها. وقبل أن تنطق بـأي شيء قبلها. فهمت إلى أي مدى قلق من أجلها. لامت نفسها -في هذه اللحظة بالتحديد-. على أنها لم تفكر فيه طوال فترة أسرها.

- "هيبي"! كم أني سعيدة! إنني آسفة جداً لما تسببت لك فيه من قلق.
- هذا لا يقاس -يا عزيزتي- بما لأبد أثرك عانته.

وكان صوت "هيبي" يرتجف من التأثر. ثم توقفا عن الكلام عندما أقبلت "بيلوني" حاملة صينية عليها الفطور: سلة بها كل أنواع الفواكه وإبريق فهرة من الفضة تتبعث منه رائحة القهوة (موكا) المحوجة، وإلى جواره وعاء اللبن وخبيز والعديد من أصناف المربى. أقبلت "إيزابيل" على هذه الوجبة بشهبة مفتوحة. تأثر "هيبي" كثيراً عندما شاهد أخته وهي تمبل على سلة الفواكه.

كان "بورى" حريصاً على جعل المسيرة أقل صعوبة بقدر المستطاع.
- استند إلى إلبي يا "إيزابيل".

عندما توجه إليها بهذا الأسلوب، شعرت "إيزابيل" بقلبه يخفق في صدرها. وصلوا بعد قليل إلى مكان مكشوف، ليس المكان الذي خرجت منه قبل ذلك باربعة أيام. يالها من رقة! لم يعمل على تذكري بهذه الذكرى، وأن يخجلني عن تصرفاتي بخفة، واختار مكاناً آخر. وهـا هي "إيزابيل" قد اكتشفت كل الرقة التي كشفت عنها تصرفات الشاب.

كانت عربة الـ"بافيون" في انتظارهم. أسرع "بيماهو" للفائهم. ساعد "بورى" "إيزابيل" على الصعود إلى العربية، الأمر الذي سمح لفتاة بـان تتواجد بين ذراعي الشاب. أحسـت بأنها لن تمل الالتصاق به. وعندما اهتزت العربية التي يقودها "بيماهو" بمهارة، وكانت "إيزابيل" تجلس بجوار "بورى"، وأخذـت تتأرجـح، استسلمت للاحتكاك بكتف الشاب. وكان هذا الأخير حريصاً على الاحتفاظ بقطـاء للسفر، وضعـه على ركبـها. شـرت بـقوـة "بورى" الـهدـة تـطمـئـنـتها. غيرـ أنه اعتـراـها الفـزع بـعد قـليل. أـصـبحـت لا تـدرـي أـينـ هيـ. شيءـ واحدـ كان يـهمـها أـنـهاـ كـانـتـ بـجـوارـ الرجلـ الـذـيـ تـحبـهـ منـ قـلـبـهاـ. وـكانـ "بورىـ"ـ منـ حينـ إـلـىـ آخرـ يـرـفـعـ الغـطـاءـ إـذـاـ اـنـزلـ. وـكـانـ لـسـةـ يـدـهـ عـلـىـ جـسـمـهاـ تـقـسـمـهاـ تـقـسـمـهاـ مـنـ السـعـادـةـ. وـكـلـماـ فـتـحـتـ جـفـنـيهـ،ـ كـانـ تـشـاهـدـ نـظـرـتـهـ الـقـلـقةـ مـنـ أـجـلـهاـ.ـ كـانـ "إـيزـابـيلـ"ـ تـرـفـضـ فـيـ إـصـرـارـ التـفـكـيرـ فـيـ الـغـدـ.ـ فـهـيـ تـعيـشـ الـلحـظـاتـ الـمـقـدـمةـ إـلـيـهاـ.

ثم بعد أن تجاوزت العربية الطرق الجبلية، وصلـتـ إلىـ السـهـولـ وـاقـرـبتـ منـ "بـافـيونـ".ـ وـعـنـدـماـ تـسـمـرـتـ أـمـامـ المـدـخلـ فـكـرـتـ "إـيزـابـيلـ":ـ "ـبـهـذهـ السـرـعـةـ!ـ أـسـرـعـتـ "ـبـيلـونـيـ"ـ عـنـ سـمـاعـهاـ صـوتـ الـعـرـبـةــ لـكـيـ تـسـاعـدـ "ـبورـىـ"ـ عـلـىـ اـصـطـحـابـ "ـإـيزـابـيلـ"ـ إـلـىـ حـجـرـتـهاـ.ـ وـعـنـدـماـ وـصـلـواـ إـلـىـ هـنـاكـ،ـ أـرـادـتـ "ـإـيزـابـيلـ"ـ أـنـ تـتـكـلـمـ،ـ لـكـنـ "ـبورـىـ"ـ مـعـهـاـ.

- لاـ،ـ فـيـماـ بـعـدـ سـتـحـكـنـ لـنـاـ كـلـ شـيـءـ.ـ الـآنـ نـامـيـ.
ـ ثـمـ ضـغـطـ عـلـىـ يـدـهـ قـبـلـ أـنـ يـخـرـجـ فـجـاءـ.

- تصور يا "هير" .. أنا لا أعلم شيئاً حتى الآن.

- بشأن ماذا يا أخي الصغيرة؟

وألاآن وقد استيقظت "إيزابيل" فهي متوجلة لسرد الأمور.

- كيف عثر علىي؟

بدا "هير" مندهشاً.

- ألم يسرد لك "بورى" شيئاً حتى الآن؟

اقشعرت "إيزابيل" عند سماع هذا الاسم. إذ إنها أصبحت لا تفكّر في داخليها إلا في الشخص الذي حررها، الذي ضمها بين ذراعيه، الذي قبلها.. ولقد تم ما كانت تتوقعه.

لقد بدا "هير" يسرد لها الأمر.

- إنك تعلمين أن الفضل في تحريرك من هذا الأسر يرجع إلى "بورى".
لقد قام بالبحث بأسلوب السيد.

سألته "إيزابيل" في سذاجة:

- كيف ذلك؟

كانت في الواقع لا تستطير سوى شيء واحد، وهو أن يحدّثها "هير" عن الشخص الذي تضعه في اعتبارها. تحاملت على نفسها لاستخدامها هذا الأسلوب مع أخيها.

منذ أن اكتشفنا اختفاءكم، بدأنا بمسح كل الأماكن بدءاً من المكان الذي كنا عليه وعلى مسافة مئات الأمتار وهذا كان سيراً على الأقدام. لا شيء. وإذا بالليل يخيم، وبذلك توقف بحثنا عنكم. يجب أن أعترف بأنني كدت أموت من القلق. وكان "بورى" يبدو مشغولاً، مرتباً. كان لهذا الاسم هائلاً سحري في "إيزابيل" إذ كان يؤثر في كل كيانها كلما سمعته.

وأصل "هير" حديثه:

- وعلى الرغم من أننا لم نعثر على أقل مؤشر، إلا أن "بورى" لم يتراجع. طلب مني أن أعود إلى "بافيون" لكي انتظرك هناك، في حالة العثور عليك أو أن يعيشك أحد إلينا ولو بمعجزة. غير أنه كان لا يشق بالمعجزة، بل كان معتمداً على معرفته الشامة للغابة. لذلك مكت هناك عدة

ليال مع "بيماهو"، قبل العثور على آثار أقدام مختطفيك.
وفي اليوم التالي والأيام التالية عمل على اكتشاف كل المجتمعات التي كان من المفترض أن تسلكها.

- يا للمثابرة. لقد كان حظه ضئيلاً في النجاح.

لم يلمح ما بدا على "إيزابيل" من إثارة. واصل:

- ثم حدث أنه بعد عدة وسائل للبحث، رفع "بيماهو" بعض الآثار المشكوك فيها.

ثم ما لبثا أن وجداً مؤشرات نافعة. وسرعان ما أدركا الاتجاه الذي هرب منه مختطفوك.

- أمر عجيب.

- وكلما تقدماً، كانت الآثار تتکاثر، وكان أولئك الرجال لم يستخدوا احتياطات كافية عندما شعروا بأنهم ابتعدوا عن الدروب المطرورة. فعملا على تحديد الغية التي رفعوكما منها. ثم بعد ذلك، آثار خفيفة، لابد أن تكون آثاركم، كانت تؤدي إلى هناك. وهناك، لاحظاً بوضوح العديد من آثار الأقدام وبذلك تمحّنا من استنتاج أن فرقة صغيرة سارت بمسيرة هندية، حاملة ثقلين، أنت وـ "كال".

حيثـ لمعت عيناً "إيزابيل". كانت قد كفت عن الأكل، مهتمة بما يسرده لها "هير".

- تابعاً المدى المؤدي إلى غمضة أخرى. ولم يحاولا إخفاء افتراضهما، وعانيا صعوبة الدخول في هذه الغية. ومع ذلك كانت الآثار أكيدة، وكتم قد توقفتم هناك. وعندما نجحا أخيراً في اختراعها، سمعاً صوت خبيول. وإذا بآذانهما يهربون بمرد افتراضهما، الأمر الذي يثبت أنهم ليست لديهم مشاعر الشراسة إزاءهما.

كانت "إيزابيل" في هذه الأثناء متعلقة بشفتي أخيها. حتى إذا كان "بورى" لم يخاطر بحياته من أجلها، فلقد قام بكل المحاولات لاكتشافها. وفي الواقع، هل كان والقا بالعثور عليها حبة؟

- ثم ما لبثا أن أصبحا بمفردهما في الجزيرة الصغيرة. وفي اللحظة التي كانا سيعبران مساحة العشب التي تفصلهما عن المنزل الذي كنت مقيمة

أكبر حجماً من المعتاد، في زيه الكثاني الأبيض.
وفي الحال، تأثرت لما شاهدته على وجهه من لفة باردة. «هل هو نفس الرجل الذي قبلني بحرارة بالامس؟» عجزت عن التفكير. «بوري» كان واقفاً بجوار سريرها. كان لا بد أن تتكلم، لأن تجد شيئاً ما تقوله له، شيئاً عادياً، في حين أنها تشنمني أن تصبح معلنة باعلى صوتها له عن حبها. قالت:
— «بوري»، كنت أود أن أخبرك.. أن أشكرك من أجل كل شيء...
لأنك أنقذتني.

قاطعها في جفاف:

— ليتنا لا نتكلّم في ذلك بعد الآن.
شحبت «إيزابيل»، وقد تقدرت لما شاهدت عليه من فنور.
— كنت لا أرغب في أن أتسبب لك في كل هذا القلق.
أجابها بابتسامة فاترة على شفتيه ونبرة تخلو من أي تعبير:
— لا أشك في ذلك. ولا يسعني إلا أن أدعوك إلى مزيد من المخدر في المستقبل عند القيام برحلات في الجزيرة.
خفضت «إيزابيل» رأسها وقد شعرت بالهزعة.
— استاذتك، لدى عمل ينبغي أن أتمه. اتعشم أن تتعافي قريباً من مقامرك هذه.

ثم انحنى بحركة سريعة وخرج، دون أن ينظر إليها. وما إن خرج، استسلمت «إيزابيل» ليماسها. كانت تشنمني معاملة أخرى بعد قبّلة الليلة الماضية. هذه القبّلة التي كانت موضع اهتمام لها، لم تكن إذن بالنسبة له سوى تسلية. إن الشكر أمر يجب تقدّمه للمنقذ. لقد استغل الفرصة. علت الحمرة وجنتي «إيزابيل». ترى ماذا كان رأيه فيها، عندما استسلمت لقبّلات دون أن تقاومه؟ باللخزي. إنه يحب «أومبلين» كما كانت تعتقد. لن تعافي أبداً. لذلك يجب أن تغادر هذا البلد ويسارع ما يمكن. مع ذلك، لقد كان حانيا، وكان يبدو قلقاً. كيف اعتقدت أنه سيففر لي كل الأخطاء التي ارتكبته؟
إذا بصوت قرعات على الباب، يجذب «إيزابيل» من تفكيرها. ظهرت

فيه، بدا شبح أمّام «بوري» الذي تعرف المتسلول العجوز. قام بمحاولةأخيرة للهيلولة دون أن يبعدا تأثيره فيك. فنطق بكلمات سحرية تعمل على جذب العين الشريرة إلى «بوري»، فما كان من صديقنا إلا أن أحاجبه بلغة الجزيرة، يعكس عباراته السحرية، وكانت قد لقتها إياه فيما مضى جدة الصغيرة «كال». كان - مما لا شك فيه - لا يشق بهدا النوع من الإعلانات، لكنه كان يدرك مدى تأثير هذه الكلمات في الرجل العجوز. وفي الواقع، أخذ هذا الأخير يرتجف بكل أطراقه وأوسع للقاء الهاربين.
ابتسمت «إيزابيل» عندما تخيلت «ماناباني». وقد وقع في الفخ الذي يوقع فيه غيره.

— وما بقي، أنت تعرفينه جيداً. عشر عليك «بوري» في هذا المنزل الصغير، لحسن الحظ سالمة، معافية.

ارتجف صوت «إيزابيل» عندما أرادت أن تتكلّم:
— حقاً.. إن صديقنا قام بمجهود رائع. أتفنى أن أشكّره، لأنني لم أقه بذلك مساء أمس من شدة تأثيري. أفي إمكانك أن ترسله لي عندما تراه؟
— بالتأكيد، أعتقد أنه ذهب على ظهر جواده لفقد المزرعة.
مرة أخرى أعجبت «إيزابيل» بـ«إن هذا الرجل لا يعرف التعب».

ثم بعد أن خرج «هيسير» من عند «إيزابيل»، استفادت من لحظات السكون هذه حتى تستعد لرؤيه «بوري». فجأة شعرت بقليلها يتمزق. لقد نست «أومبلين»، «أومبلين». كم أنها مجنونة، كيف فكرت لحظة أنه ربما يستطيع إثبات إحساس مماثل إلى العاطفة التي تمرّقها؟ حينئذ تولد أمل في قلب «إيزابيل». ظاهرياً لم يكن «بوري» قد ارتبط بـ«أومبلين». إن الأسلوب والطريقة التي تعامل بها مع «إيزابيل»، ربما تعني أنه غير رايه وإنها - أي «إيزابيل» - قد احتلت مكان «أومبلين» في قلبه. كما أنه قبلها بعاطفة، ونظراته إليها كانت حانية. هذا يثبت أنه يشعر بشيء ما نحوها، شيء ما تتردد في تسميته الحب. «قد يكون رائع جداً». هكذا فكرت.
وإذا بصوت حذاء يسمع على الأرضية. إن أحداً ما يرتفق سلم المنزل الكبير بخطى عصبية. أخذ قلب «إيزابيل» يخفق. إن هذه الخطوة تعرفها من بين كل الخطى. إنها خطوطه. ثم فتح الباب لكي يظهر «بوري». بدا لها

الفصل الحادي عشر

بدت "أوميلين" متربدة، ثم هزت رأسها، وواصلت:
ـ مادمت عشت نفس المغامرة، اعتقادك أن لك الحق في معرفة هذه
القصة المأساوية.

تأهبت "إيزابيل" لتابعة حديث "أوميلين" باهتمام:
ـ لقد سبقتك سيدة أخرى قبلك في دور الإلهة الحية. إنها
"الكسندراء" والدة "بوريء".

لم تتمكن "إيزابيل" من كتم صيحة تعجب.
ـ كان هذا منذ حوالي ثلاثين سنة. كانت هذه السيدة قد اختطفت
من حديقتها. كانت تميل إلى التسحول في كل مساء بعد العشاء، بين
مسطحات الزهور ذات الأريج، الخجولة بالمنزل. وبعد ساعة وقفت دهشة
زوجها "أندريان" وعمك لعدم عودتها. بدأ في البحث عنها. ثم انتظرا
الفجر للعودة إلى البحث في ضوء النهار. فتشا الحديقة - بلا جدوى -
بمعونة كل الخدم. ليس لأثر مقاومة في أي مكان. لقد اختفت آثار أقدام
السيدة في حقل قصب السكر. ثم بعد ذلك، لم يجد شيء. واصلوا
البحث في كل مكان لمدة أسابيع. لكن "أندريان" كاد يجن من اليأس.
وكلما مررت الأسابيع، قل الأمل في العثور عليها حية.
وذات يوم، شوهد وصول عربة كارو يجرها حمار منهك إلى فناء
"بافيون".

كانت "الكسندراء" بداخلها مغشيا عليها. أفاقت بسرعة، وسردت
معامرتها التي لا تصدق. كانت قد وقعت تحت تأثير تخدير ساحر زنجبي
كان قد جذبها إلى معسكره في الجبل أعلى "بافيون". وعندما دخلت
قرية الزوج البني، صرخ الساحر وهو "ماناباني" معلنا العجزة. قال إن
قبيلتهم مختارة لاستقبال الإلهة، وأنه سيصبح رجل الدين الأكبر للطقوس
الجديدة. وكانوا جميعهم يجثون تحت قدميها.

عاشت "الكسندراء" خلال أسبوع طوبيلة نفس الإقامة في الأسر الذي
كنت فيه. كان من الممكن أن تقضي كل حياتها في هذا المكان دون أن

"بليوني".

ـ لقد أنت الآنسة "أوميلين" لكي تسأل عنك. إنها تسأل إذا كان في
إمكانها أن تراك.
ـ لن استطيع أن أكلمها، هذا فرق قوتي، ومع ذلك يجب أن
أستقبلها.

ـ اسمحي لها بالدخول. إني في انتظارها بكل سرور.
عملت "إيزابيل" على الظهور بوجه طبيعي عندما توجهت "بليوني"
لحضور الزائرة. يجب الا تلمع اي شيء كان.

ـ ثم بعد لحظات، ظهرت "أوميلين" رائعة، مبتسمة كعادتها:
ـ كم أني سعيدة يا عزيزتي "إيزابيل" أن أراك عائدتنا مالة. كدت
أجن من القلق بشأنك، والقول إن هذا حدث بسبب هذه المسابقة الغبية.
لو لم يعثروا عليك، لاحسست بالذنب طوال حياتي.
ابتسمت "إيزابيل" في هدوء. كانت "أوميلين" تبدو صادقة حتى إنها
لم تشک لحظة في حقيقة مشاعرها.
إنها بالتأكيد غير متحاملة عليها لأن تأخذ الرجل الذي تحبه. كل هذا
يرجع إلى غلطتي. الآن لقد فات الاوان، ليس في إمكانني العودة إلى
الخلف. لقد تراكمت أخطائي.

ـ استمرت "أوميلين" في الاستفسار عن صحتها:
ـ كنا لا نعلم حقا كيف تصرف للعثور عليك. لحسن الحظ، "بوريء"
يعرف الغابة جيدا.

ـ أحابها "إيزابيل" بطريقة آلية، لأن سمعها وهي تتكلم عن الرجل
الذي تحبه يؤهلها لأنها منافستها:

ـ نعم، في الواقع لقد كان خارقا.
ـ أطلقت "أوميلين" زفيرا:
ـ خاصة عندما نفكري فيما قد يكون ذلك قد تسبب في إثارة ذكريات
مؤلمة بالنسبة له.

ـ رفعت "إيزابيل" رأسها. فقرأت "أوميلين" الدهشة في عينيها.
ـ كيف يحدث ذلك؟ ألم تلجمي ذلك؟

يُعْثَرُ عَلَيْهَا أَحَدٌ.

فقط كانت في انتظار "بوري" ، وفي ظرف فترة ما بدأ يكتشف ذلك. و "ماناباني" كان لا يدرى ماذا يعمل . وكان - قبل كل شيء - حريصا على الاحتفاظ بسلطته على جاليته الصغيرة . أعاد "الكسندر" إلى منزلها موضحا للاميذه أنهم ارتكبوا أخطاء جسيمة وأن الإلهة سحب منهم.

كانت إيزابيل تصفعي إلى "أوميلين" دهشة.

عادت هذه الأخيرة إلى سرد القصة:

- لم تعاف "الكسندر" قط بسبب ما عانه من حرمان طوال فترة أسرها، وأخيراً توفيت أثناء ولادة "بوري". الآن بالتأكيد أدركت إلى أي مدى مغامرتك تشبه مأساة والدته التي ربيكته. إنك فعلًا محظوظة لأن "بوري" يعرف هذا البلد أكثر من والده. أعتقد أيضاً أن فترة إقامتك كانت قصيرة جداً حتى تؤثر فيك إلى مدى طوبل.

حکت "ایزابیل" را مها:

- أتعشم-هذه المرة- أن يكون كل شيء قد انتهى، وأن "ماناباني" لم يعد ي Tactics.

نهضت "أوميلين" ونهضت:

- الآن أتركك، حتى لا أراك وقد أنهك حديسي. وسأعود للاظمانتان
عليك. إلى اللقاء.

سرت "إيزابيل" لأنصرافها بهذه السرعة، لأنها كانت في حاجة إلى إعادة ترتيب أفكارها. إن ما سمعته كان يبدو لها غير مصدق تقريباً. وهذا هو سلوك "بورى" الذي يصعب تفسيره قد انضج حالياً. عندما رأها شقراء هكذا، لابد أن حاسته أوحى إليه باتخاذ المذكرة. ولقد تضاعفت يقظته بعد لقاءه لـ"مانابانى" عند الخروج من دار العبادة. وكانت كل أفكاره عبارة عن حراسة مفتعلة. لم تهتم لاي تحذير، واندفعت متخفضة الرأس - إلى الفتح. كم أنه على حق بان يتحامل عليها.. وكان سوء تفاهم لا يغسل ببنهما. ولقد تدخل القدر لكي يبعدهما. ابتلعت "إيزابيل" أفكارها السوداء إلى ساعة الغداء، وقد فضلت تناوله في حجرتها. لم تجد الشجاعة الكافية لمواجهة البرود البادي على وجه "بورى". وعندما

20

ظاهر "هير" في حجرة أخيه في فترة بعد الظهر:

- أخشى ذلك يا أخي الصغيرة، أنا لا أرى نفسي وأنا أقضى حياتي في زراعة حديقتي مثل صديقنا "بورى".
ابتسمت "إيزابيل" لهذا الإلماع. شعرت بأنه بدأ يستعيد إحساسه بالرغبة في الحياة.

- وانت يا أخي العزيزة، ما الذي ستقومين به أثناء هذا الوقت؟

- أعتقد أنني سأذهب معك إلى "باريس".
فكـر "هيـبر" قبل أن يجيب:

- لا تعتقدين أن ذلك قد يكون تسرعاً؟ أفضل أن تنتظري عودتي من "إنجلترا" ونماح مهمتي، لكي تعودي إلى "باريس". إنك تعلمين أن لنا فيها بعض الأعداء، ولا أرغب في أن تواجهي بمفردك في مواجهتهم أثناء غيابي.

أجاـته "إـزـابـيل" فـي هـدوـء:

- يبدو أنك غفلت عن أنـي في موقف مأساوي.
سـعـل "هيـبر":

- إنـك على حقـ. في النهاية، أود أنـ تـفكـري جـيدـاـ قـبـل اـتـخـاذـك قـرارـاـ
نهـائـياـ، أـمـامـك بـضـعـةـ أيامـ لـتـفـكـيرـ.
وـعـدـت "إـزـابـيل" بـالـقـيـامـ بـذـلـكـ.

- وـالـآنـ يـجـبـ أنـ أـتـرـكـكـ، إـذـ إـنـهـ يـنـبـغـيـ أنـ أـرـدـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـطـابـ، وـانـ
أـعـطـيـ موـافـقـيـ.
عـنـدـمـاـ خـرـجـ "هيـبر" مـنـ عـنـدـهـاـ، كـانـتـ "إـزـابـيلـ" قـدـ شـعـرـتـ بـالـارـتـياـكـ
إـلـىـ حدـ ماـ.

لـقـدـ أـحـسـتـ بـالـأـسـىـ لـفـكـرـةـ تـرـكـهـاـ "يـافـيـونـ"ـ، لـأـنـهـ فـيـ دـاخـلـهـاــ. كـانـتـ
تـشـعـرـ جـيدـاـ بـأـنـهـ الـقـرـارـ الصـائـبـ الـذـيـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـتـخـذـهـ. وـمـعـ ذـلـكـ، فـهـيـ
تـجـدـ صـعـوبـةـ فـيـ الـابـتـعـادـ عـنـ هـذـاـ الـبـلـدـ. كـانـ مـنـ الصـعـبـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـفـقـدـ
"بورـيـ"ـ إـلـىـ الـأـبـدـ، وـأـنـ تـحـكـمـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ بـالـأـرـثـ فـيـمـاـ بـعـدـ. وـمـعـ ذـلـكـ،
كـانـ لـأـبـدـ مـنـ ذـلـكـ. مـاـ الـذـيـ فـيـ وـسـعـهـاـ الـقـيـامـ بـهـ بـخـلـافـ ذـلـكـ؟ـ أـصـبـعـ الـآنـ
غـيـرـ لـائـقـ أـنـ تـظـلـ مـدـعـورـةـ تـحـتـ سـقـفـ هـذـاـ الرـجـلـ. إـنـ الـوـظـيـفـةـ الـمـقـدـمـةـ إـلـىـ
"هيـبرـ"ـ سـوـفـ تـمـحـهـمـاـ الـوـسـائـلـ لـحـيـاتـ مـسـتـقـرـةـ، وـالـأـتـكـونـ عـبـنـاـ عـلـىـ

- لـدـيـ خـيـرـ رـائـعـ خـيـالـيـ أـوـدـ أـنـ أـزـفـهـ إـلـيـكـ.
حدـثـتـ "إـزـابـيلـ"ـ نـفـسـهـاـ بـأـنـ لـأـبـدـ أـنـ يـكـوـنـ خـبـرـاـ مـهـمـاـ،ـ حـتـىـ إـنـ أـخـاهـاـ
الـهـادـيـ،ـ يـرـتـيـكـ هـكـذاـ.

- تخـبـلـيـ أـنـيـ استـلـمـتـ خـطـابـاـ هـذـاـ الصـبـاحـ مـنـ "فرـنـساـ"ـ،ـ ذـاـ اـهـمـيـةـ
قصـوـيـ.ـ لـنـ تـخـمـنـيـ مـنـ الذـيـ أـرـسـلـهـ لـيـ؟ـ
هـزـتـ "إـزـابـيلـ"ـ رـأـسـهـاـ عـلـمـةـ لـلـنـفـيـ وـهـيـ تـبـقـسـ.

- "لوـيسـ نـابـليـونـ بـونـابـرتـ".ـ وـقـتـ الفتـاةـ صـامتـةـ.ـ وـ"هيـبرـ"ـ بـدـاـ مـسـرـورـاـ النـجـاحـهـ.ـ بـعـدـ أـنـ مـرـتـ فـتـرةـ
الـدـهـشـةـ،ـ وـضـحـ:

- عـلـىـ مـاـ يـبـدـوـ أـنـهـمـ اـمـتـدـحـواـ نـزـاهـتـيـ أـمامـهـ.ـ فـهـوـ يـعـرـضـ عـلـىـ الـانتـسـاءـ
إـلـىـ فـرـيقـهـ مـسـتـقـبـلاـ.ـ إـنـ لـهــ كـمـاـ سـرـدـ لـيــ مـشـاـ رـيـعـ عـظـيمـةـ مـنـ أـجـلـ
"فرـنـساـ"ـ وـسـوـفـ يـعـتـحـاجـ إـلـىـ شـبـانـ مـثـلـيــ.ـ إـلـىـ جـانـبـ سـرـورـيـ بـاـنـ أـكـونـ
مـرـمـوقـاـ بـيـنـ الـآخـرـينـ،ـ يـجـبـ القـوـلـ بـاـنـ آنـكـارـهـ جـدـيـدـةـ وـشـائـقـةـ.

تـعـرـفـتـ "إـزـابـيلـ"ـ مـاـ لـأـخـيـهاـ مـنـ صـفـاءـ ذـهـنـ.ـ وـأـصـبـعـ الـآنـ مـنـ الصـعـبـ
إـلـيـقـافـ،ـ بـعـدـ أـنـ اـنـدـفـعـ فـيـ مـنـاقـشـةـ سـيـاسـيـةـ.ـ تـذـكـرـتـ "إـزـابـيلـ"ـ فـيـ أـسـيــ
الـشـهـوـرـ الـأـخـيـرـةـ الـتـيـ قـضـيـاـهـاـ فـيـ فـرـنـساـ.ـ لـمـ تـكـنـ سـوـىـ مـنـاقـشـاتـ وـاتـصالـاتـ
سـرـيـةـ طـوـالـ يـوـمـ.ـ كـمـ أـنـ جـزـيرـةـ "بـورـبـونـ"ـ وـ"بـورـيـ"ـ كـانـاـ بـعـيـدـيـنـ عـنـ ذـهـنـهاـ
فـيـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ مـنـ الـلـامـبـلـاـتـ.ـ لـيـسـ فـيـ مـقـدـورـهـاـ الـآنـ مـعـرـفـةـ نـفـسـ الـوضـعـ،ـ
بـعـدـ أـنـ اـحـبـتـ.ـ وـكـانـتـ لـأـتـصـغـيـ إـلـىـ كـلـمـاتـ أـخـيـهاـ بـاـتـبـاهـ،ـ إـلـاـ عـنـدـمـاـ
سـمـعـتـ كـلـمـةـ حـولـ تـفـكـيرـهـاـ:

- سـوـفـ أـنـضـمـ أـولـاـ.ـ إـلـىـ بـعـثـةـ مـوـثـقـ بـهـاـ،ـ لـكـيـ أـثـبـتـ لـهـ حـقـيـقـةـ
الـصـفـاتـ الـتـيـ يـنـسـبـونـهـاـ لـيـ.ـ إـنـ بـشـانـ مـسـاـوـمـةـ سـرـيـةـ مـعـ إـنـجـلـتـرـاـ.ـ إـذـنـ سـوـفـ
أـعـودـ إـلـىـ فـرـنـساـ الـأـسـبـوعـ الـقـادـمـ.ـ وـخـلـالـ فـتـرـةـ إـقـامـةـ خـاطـفـةـ فـيـ بـارـيـسـ
سـأـحـصـلـ عـلـىـ الـتـعـلـيـمـاتـ الـخـاصـةـ بـيـ،ـ ثـمـ أـسـافـرـ إـلـىـ "لـنـدـنـ".ـ
تـقطـيـ فـيـ سـرـورـ

- إـنـكـ لـأـتـخـيـلـيـنـ مـدـيـ سـرـورـيـ.
لـقـدـ بـدـأـتـ أـمـلـ حـيـاتـ الـخـمـولـ.
- أـعـتـقـدـ يـاـ "هيـبرـ"ـ أـنـكـ لـنـ تـجـدـ رـاحـتـكـ فـيـ إـحـدىـ الـوزـارـاتـ.

يحصل المرء على من يحب ويتزوجه.
 هكذا صاحت "أومبلين".
 - كم أنا سعيد لسعادتك...
 - أخيراً ستمكن من الحياة معاً ولا نتفصل أبداً.
 ثم اختفى الصوت. لا بد أنهما الآن خلف المنزل. مكثت "إيزابيل" جامدة بمكانها وقد سحقها الألم. لقد مات الأمل هذه المرة فيها. بذلك، مرة أخرى، إن ما كانت تخشاه ليس سوى الحقيقة. إنه يحب "أومبلين" ويريد أن يتزوجها. وإذا بالدموع تناسب على وجهي الفتاة.
 وقضت "إيزابيل" طوال اليوم هكذا في ضيق في حجرتها، لا تغادرها. بدأت في إعداد حاجياتها للرحيل، وهي ما بين ثوبات الانتهاب والبابس. حتى اللاعب الكلب الصغير "كايلوك" لم تفلح في جعلها تبتسم.
 إن الرجل الذي أحبته، يحب غيرها. وهي لا تكاد تصدق ذلك. ربما يهدأ هذا الألم مع الزمن. على أي حال، إن الزمن كفيل بتنضيد المحرج. لكنها كانت لا تثق بذلك. ومع ذلك، فقد كانت تقاوم لكي تكون لها هذه الثقة. عملت على التركيز على الأعمال التي تقوم بها. وكثيراً ما كانت - عندما ترتدي أحد فساتينها - تذكر سهرة قد قضتها مع "بورى". حينئذ - والدموع تملأ عينيها - كانت تبعد الناديل حتى لا تبكي. كانت كل هذه الذكريات تولها. وعندما تكون بعيدة، هناك في "باريس"، إن لم تجد النساء، فعلى الأقل، سوف تحصل على الهدوء. كم كانت تتعمني ذلك! لا تشعر بهذا الألم المرتبط بذكر اسم "بورى".
 وعندما شعرت بأن أخاها وصل إلى حجرته، في نهاية فترة بعد الظهر، لكي يبدل ملابسه قبل العشاء نادته. الفي نظرة دعشة على الفوضى القائمة في حجرة أخيه التي قد تعلن عنゼها على الرحيل، لأنه اعتاد أن يراها مرتبة.
 - لقد اتخذت قرارياً يا "هيبر". لقد فكرت جيداً. يجب أن أعود معك. وهذه هي رغبتي الأكيدة، لأن هذا التصرف هو الأمثل.
 "هيبر" لم يحاول مناقشتها. لقد شعر من نبرتها بأن قرارها لا رجعة فيه. بل أكتفى بتاييدها بإشارة من رأسه.
 - إذا كانت هذه هي رغبتك فإنك تعلمين أنني دائمًا أثق بك، لأنني

"بورى" بعد الآن. ما كان ينبغي أن تتردد في قرارها. "أمامي على الأقل يومان من الراحة قبل أن أنطق بالحكم على نفسي، قد يحدث العديد من الأمور خلال يومين". ومع كل كان قلبها لا يزال عامراً بالأمل.

وفي المساء، لم تشعر بالقدرة الكافية لمواجهة نظرات "بورى"، لذلك فضلت تناول عشاءها في مخدعها، بحجة أنها متعبة.
 وفي اليوم التالي، أنت "أومبلين" لزيارتها - كما وعدت - في الفترة الصباحية. تناولت الفنانان الحديث عن مواضيع شتى. وكانت "إيزابيل" تبذل أقصى جهدها حتى يكون الحديث شائقاً. لكن سرعان ما افتقرتا إلى موضوع للحديث، لأنهما لا تعرفان بعضهما إلا قليلاً. بالإضافة إلى أن "إيزابيل" كانت متحفظة جداً مع "أومبلين". وعندما تركتها هذه الأخيرة، اقتربت من إحدى النوافذ وفتحتها.

وقفت هناك، مستندة إلى الشرفة، تستنشق عطر الزهور المتصاعدة من الحديقة. كانت لا تفكّر في شيء محدد. استسلمت إلى أحلام بقطة غير محددة أيضاً. أنت إلى مسامعها تتممّ الحديث ما. وعندما أصبح الصوت واضحًا وتعرفت ضحكة "أومبلين" الرنانة ونبرات "بورى" الدافئة، عملت على الانسحاب من باب الكتمان وعدم التجسس عليهما. وعلى الرغم من أنها لامت نفسها على الاستماع إلى حديث لم تدع إلى الاشتراك فيه، إلا أنها لم تتمكن من الامتناع عن القيام بذلك. ظلت مسيرة في مكانها من الذهول.

وكان الألم الذي أحسسته حتى الآن وهي تفكّر في الثنائي الذي سوف يكوناه، لا يقارن بما عانته عندما سمعتهما يتباذلان الأسرار. وكان المها نابعاً من ذاتها، ويلزمها الاستماع حتى النهاية. كانت "إيزابيل" تشعر باللم يسبق له مثليل.

كانت الكلمات التي سمعتها تتحول إلى حروف محفورة من نار في داخلها.

- "بورى"، آه لو علمت كم أني سعيدة لهذا الزواج. كم هو رائع أن

ثم بعد فترة وجيزة، انصرف "هيبر" لكي يحرر العديد من الخطابات الخاصة بعمله اليومي.
حينئذ تواجه "بوري" بمفرده مع "إيزابيل". ساد صمت رهيب بينهما. أرادت "إيزابيل" أن تقوم بالمبادرة وتكون أول من يتكلم، لكنها كانت غير قادرة على التنفيذ.
وما دامت لم تتكلم، ففي إمكانها البقاء في "بايفون". "يم يفيد؟ هل لحضور حفل زفافهما؟" وقف "بوري" مستندًا إلى قائمة الباب، ينظر إلى الحديقة. فما كان من "إيزابيل" - وكانت حتى الآن جالسة - إلا أن نهضت وأدت لنفس ليس بعيدًا عنه. تنفست بعمق قبل أن تبدأ.

- كنت أود أن أعلن لك رحيلي.

وكانت حرية على ملاحظة ما قد يbedo على وجه الشاب من رد فعل لهذا الخبر. لقد ارتفع حاجبه الآيسر، كمن يبدي دهشة. "على الأقل، لقد فاجأته، سوف أسعى إلى الخروج".
سابح مع أخي الأسبوع المُقبل. ساعود إلى "فرنسا". اعترف باني قد تسببت لك في العديد من المشاكل. من الأفضل أن أرحل. كانت قد تكلمت بهدوء محاولة السيطرة على رجفة صوتها. و"بوري" كان ينظر إليها دهشاً. وعندما انتهت من الكلام، حول نظره عنها وتطلع إلى الحديقة. ثم بعد فترة صمت أردف بكلمات، كان لها على "إيزابيل" وقع طعنة ختجر.

- إذا كنت تجدين أن هذا أفضل، إذن فائت على حق. أتعشم أن تقومي برحالة طيبة، والا يكون لك عن بلدنا ذكريات سيئة.
ثم عندما انتهت من الكلام، كف عن النظر إليها. قبضت "إيزابيل" على يديها بشدة حتى لا تنفجر، وخرجت بأسرع ما يمكن من المجرة. صعدت إلى حجرة نومها، ألتقت نفسها على سريرها لكي تستسلم إلى ثورتها وألمها. عندما غادرت الشرفة، كانت قد حرصت على الا تلتفت، وإنما كانت ستشاهد "بوري" يتابعها بنظراته أثناء اختراقها للحجرة. فترة طويلة مثبتاً عينيه على المكان الذي اختفت فيه "إيزابيل". بدا التأثير على وجهه. وهز رأسه قبل أن يعود إلى تأملاته.

أعلم أن قراراتك تأتي دائمًا بعد تفكير ملائم.
استطردت "إيزابيل" وفي نبرتها حفاف غير معتاد:
- هذا القرار أكثر من أي قرار آخر. ليتك تصدقني، ارتبيك "هيبر" هذه المرة، إزاء موقف أخته.
إنها المرة الأولى التي لم تفصح له فيها عن ميررات قرارها. تفربس فيها، لكن خلسة، لاحظ أن عينيها لامعتان وحمراءان، وبيدو أنها بكت! ما معنى ذلك؟ وما كان وائقاً بانها لن تفصح له بشيء، خرج حائراً.

قررت "إيزابيل" أن تنزل إلى حجرة الطعام لتناول العشاء. لقد وجدت صعوبة في اختيار الفستان المناسب لهذه العودة. إذ أرادت، بداعي من عنابة الأنوثة، أن تبدو جميلة جداً عند العودة. أخيراً ارتدت فستانًا فاخرًا ذات تطريز إنجليزي أبيض. وحول خصرها كانت تضع فيونكة باللون الفيروزي، وكذلك واحدة أخرى في شعرها، تظهران بياض بشرتها. كما أن ملامحها المشدودة بعض الشيء، وعيونها اللامعتين كانت تمنح وجهها مزيداً من البريق. كانت "إيزابيل" تشعر بالتوتر؛ لأنها كانت تتساءل كيف سيكون تصرفها عندما تواجه "بوري".

وعندما دخلت حجرة الطعام، كان الشابان قد دخلاها مثلها آتين من الشرفة. وكانت كالمعتاد يتبادلان حديثاً ودياً. توقف "بوري" عندما رأى الفتاة. القى إليها نظرات إعجاب مما جعل الحمرة تعلو وجهي "إيزابيل". ولكي تبعد عنها هذه النظارات الفاحصة، خفضت عينيها، وذهبت نحو المائدة واتخذت لها مكاناً.

عادت الماقشة بين الشابين، دون أن تشارك فيها "إيزابيل"، وشكرت أخاه سراً على تحفظه وعدم توجيه أي إشارة إليها لأنها كانت تشعر بالارتياخ، وربما كانت حينئذ تعجز عن النطق بكلمات مناسبة.

كانت أثناء تناول الطعام تشعر بأن نظرات "بوري" مسلطه عليها، كانت نظراته قاسية، فاحصة.
احست "إيزابيل" بالملذلة. إنه يتذوق انتصاره. هكذا فكرت في مرارة.

الفصل الثاني عشر

أرهف "هير" السمع. سمع أخته تتكلّم بمفردها في حجرتها. وكان لا يتوصل إلى معنى ما تتطّلق به. لكنه شعر بأنها مرتبة ومنطلة وهذا مما بدا في نبرة صوتها. إن اختي تقلقني في هذه اللحظة. إني اتساءل ما حدث لها؟ هي من تبدو دائمًا مرحة— تبدو الآن مكدرة!

في هذه الأثناء، كانت "إيزابيل" في حجرتها تتطلع خيبةً أملها ويسأها. لقد انتهت الأمور في هذه المرة. لأنني حقالم أكن بالنسبة له سوى مصدر للمتعاب، طوال فترة إقامتي. إنه لم ينظر إلى أثناء كلامه معنٍ. كانت "إيزابيل" تسمى لو أنها أبهرت في الحال، لكنها تبتعد بسرعة ما يمكن وإلى مكان أبعد مما يمكن عن هذا الرجل الذي عجزت عن اقتلاعه من ذهنها.

عانت الكثير لكي تحصل على النعاس. كانت صورة "بوري" تتراءى لها دوماً في أحلامها. استيقظت في منتصف الليل مغمومة. "لن أتمكن أبداً من أن أنساه!"

نم في صباح اليوم التالي، كانت "إيزابيل" قد انتهت من إعداد حقالب السفر الخاصة بها. وضعت الفساتين الراية التي لن تجد الفرصة المناسبة لارتدائها في "باريس"، الفساتين التي سوف تذكرها دوماً بهذه الجزيرة الحبّة إلى قلبها.

اقبّلت إليها "بيلوني" حوالي الساعة السادسة عشرة، حاملة باقة من الزهور.

ـ لقد أحضرت هذه الزهور لك.

في دهشتها، تاملت "إيزابيل" الزهور بإعجاب، فهي ضخمة ورائعة. وإذا بقلبيا يتحقق فجأة، إن بين الزهور بطاقة مرفقة. أسرعت إليها وكانت تمرق الرسالة إلى قطعتين في تعلّجها.

ـ قد يكون هو، وربما يكون قد ندم على تصرفه هذا مساء أمس. أطلقت الفتاة "آه"! بعد أن قرأت الكلمات المسطرة عليها. لقد بدت خيبة الأمل على وجهها. إن المرسل هو "إميريك دي كيريفيجون" مع تمنياته لها

بشفاء عاجل ودعوة لنهاية الأسبوع.

جلست "إيزابيل" تتأمل في حزن الزهور الراية التي وضعتها "بيلوني" في المزهرية. كانت هذه الزهور مستزداد قيمة لو كانت قدّمت لها منه. أصبحت لا تجرو على النطق باسمه، وكل ما كان يتعلق بـ"بوري" كان يجرح شعورها، من الآن فصاعداً. جلس أمام مكتبهما الكي تشكر "إميريك" على هذه اللمسة الطيبة. لو شئت، أعتقد ذلك سيراً افتخاراً. لم تتمكن من أن أصبح الكونتيسة "دي كيريفيجون" أو على الأقل السيدة "دي باريس". لكن الواقع أني لا أحب هذين الشابين على الرغم مما لهما من جاذبية، ومن البديهي أنه في وسعي البقاء هنا والزواج بأحد هذين الشرين للاستمرار في الحياة بالقرب منه. وقد يكون أسهل الحلول. غير أني ساعانى الكثير كلما رأيت الرجل الذي أحبه وهو يسعد مع واحدة أخرى. لا، لا. ليس هذا هو الحال. كل ما سوف أحصل عليه، هو أنه سيمقتنى. من الأفضل أن أرحل حتى أحارو أن أنساه.

"أنسي" ابتسّمت. كانت لا تفكّر حقاً فيما تقول. غاية ما في الأمر أنها كانت تحاول أن تمنع ذاتها شجاعةً لمواجهة "بوري" أثناء تناول الغداء. نزلت - وقد تملّكتها الضيق بعض الشيء - إلى حجرة الطعام، وكم كانت دهشتها عندما وجدت أن المائدة معدة لشخصين فقط.

دخلت "بيلوني" حاملة طبق قلوب السعف.
ـ إننا اثنان فقط اليوم؟
بدت المستمعة مندهشة.

ـ ألم يخبرك هذا الصباح أنه سيرحل؟
ـ لم أره منذ مساء أمس.

ـ لقد ذهب إلى جنوب الجزيرة في رحلة لمدة أيام. ولم يخبرنا متى سيعود بالضبط.

من أحد الجواب، شعرت "إيزابيل" بالهدوء، عند سماع هذا الخبر. إذ إن رؤية "بوري" أصبحت بالنسبة لها عذاباً دائمًا. تسائلت إذا كان سوف يعود لكي يتواجد يوم رحيلهما.

لقد مرت الأيام التي تسبّق إبحارهما في هدوء تام.

ثم عادت إلى الواقع: لقد تبدد آخر احتمال لها. صالح نفسها بأن قالت: إن هذا أفضل. نهضت إلى الزورق الذي سيقودهما إلى السفينة. وكان "هيبر" بالقرب منها، صامتاً ويفقلاً. لم تلمع أن سفينتهما الـ "ميشيل ساليسترو" الجديدة ذات ثلاثة أشهر على قوام برحلتها الثانية، كل ما بها كان لاماً، كما أن السفينة مجهزة بأحدث الأجهزة التكنولوجية.

لم تهتم "إيزابيل" كثيراً بالكل هذه التفاصيل التي -مقابل ذلك- كانت تنهج "هيبر" كثيراً. دعت أخاها ليضع الحقائب في الغرفة الخاصة بكل منها، واستندت إلى مقعدها في انتظار الإبحار. أخذت تتفحص الأفق ليتها ترى فارساً آتياً في اللحظة الأخيرة. ثم أعطى القائد أمراً بالرحيل. بعد قليل رأت "إيزابيل" الجزيرة تبتعد وتتساءل أكثر فأكثر. وكانت لا ترغب في مغادرة مكان المراقبة.

لم تنطق بكلمة أثناء باقي الرحلة. كما أنها -على الرغم من أنها سريعة التألف- لم تحاول التعرف بأحد. هل كانت تتهرب من يحاولون أو يرغبون في التحدث معها. وكان "هيبر" مهتماً بها سراً، دون أن يوجه لها أي سؤال. هل فهم سبب حزن اخته، أم مجرد أنه يحترم حزنها؟ كانت لا تعرف أي الحلول تخutar. كانت تميل إلى اختبار الحال الثاني، لأنها اعتتقد أنها لاحظت -فيما قد رأته في تصرفات "بوري"- أن الرجال يفتقرن إلى تمييز مشاعر النساء نحوهن.

"هذا إلا إذا كانوا لا يشاهدون إلا ما يناسفهم.." وهكذا كانت تنهي أفكارها باعتبارات مريضة من هذا النوع.

كانت تقضي أغلبية أيامها على الكوبري في التعلل إلى الزيد الذي يكونه البحر بارتظامه على مقدمة السفينة. وكانت تراودها أحلام هادئة. لا فائدة من التساؤل عن الخيالات التي كانت تتراءى فيها.. وكان كلما ارتفعت السفينة نحو الشمال، اكتسبت الفتاة، "في هذه المرة الكسر أصبح نهائياً. كل شيء يحصل بيتنا، حتى المناخ".

وذات صباح، أحسست "إيزابيل" أن السفينة لم تعد تتحرك. لكن

كانت وكأنها مخدرة. أصبحت لا تشعر بالألم. دهشت لهذا الإحساس بعدم الشعور، وكانت تخشى اللحظة التي سوف يفتح فيها الجرح المندمل ثانية. مرت الأيام دون أن يظهر "بوري". وبعد أن انتهت من الاستعدادات للسفر، قامت بعض زيارات الوداع. ولقد تأثر كل أصدقائها الجدد لرحيلهما بهذه السرعة، وكلما اقتربت ساعة الرحيل، شعرت "إيزابيل" بالعصبية.

"هل سافقد شجاعتي في اللحظة الأخيرة؟" ثم تحدثت "إيزابيل" في لحظات الشك هذه. "يجب أن أرحل. كم كنت أود أن أراه للمرة الأخيرة". وهذا هو اليوم الأخير قد أقبل، ولم يحصل بعد لا "هيبر" ولا "إيزابيل" على أخبار عن مضيفهما.

وفي نهاية فترة بعد الظهر، أخرج "بيماهو" العربية وحمل الحقائب. و"إيزابيل" وعدت "كال" باستدعائهما إلى "فرنسا" للقيام بخدمتها هناك. وكانت الصغيرة تبكي بدموع حارة لفراق سيدتها. صعدوا إلى العربية وأنهيا نحو الميناء.

الافتت "إيزابيل" للمرة الأخيرة للنظر إلى "بايفيون". لن تنسى هذا المنزل ولا صاحبه أيضاً. أخذت مكانها والدموع تula عيقيها. وضع "هيبر" يده على يدها لتهديتها.

- هل أنت لست نادمة؟

ولما كانت "إيزابيل" عاجزة عن النطق، هرت رأسها علامة للنفي. ثم صمتا حتى الرصيف.

وعندما نزلت الفتاة من العربية، شعرت بموجة من الحنين إلى الوطن. استعادت لحظة وصولهما ولم تكن من فترة بعيدة، ومع ذلك كان لها إحساس بأنه دهر.. تنهدت. أما "هيبر" فكان يراقب وضع حقائبهما في السفينة. أخذت "إيزابيل" تتعلل إلى هذا الجمع الذي يحضر إبحار السفن. فهمست أنها -لا إرادياً- كانت تبحث عنه بين كل هذا العالم. كانت تجد أنه أمر طبيعي أن يشق الجموع ويأتي إليها وينزعها من الرحيل.

التي لا تهمها. نظرت بقلقاً إلى التورق الصغير وهو يقترب من سفينتهما. ثم توقف بطول مقدمة السفينة. ثم ألقى إليه من الكوبري العلوي، سلماً من الخبال، ثُمَّ "إيزابيل" وسط ضباب الصباح شبجين متsshجين قبعتين واسعتين يصعدان على متن السفينة. الرجل الأول دخل في الحال كبيضة القيادة أما بالنسبة للثاني، فقد اتجه نحو المكان حيث كانت تجلس "إيزابيل". ظلت هذه الأخيرة أنها في حلم.

- لا مستحيل. إني ضحية هلوسة.

كانت تعرف هذه المشية من بين العديد غيرها. وكانت قبعة كبيرة تمنعها من رؤية وجه الرجل المتوجه نحوها. ومع ذلك إنها الآن لا تستطيع أن تشك. لقد خفق قلبها، تحالفت أنهاها. التفت نحو "هيبر". لقد اخترى أخوها بطريقة عجيبة. وها هو هذا الغبجل أصبح قريباً جداً منها. شعرت بأنها سوف تنهار. ومع ذلك، كانت تعلم من الذي سوف تراه يظهر. عندما وصل أمامها، انزع بسرعة قبعته.

- بوري.

تمتمت "إيزابيل" ملقة بنفسها بين الذراعين اللتين كانتا مفتوحتين لاستقبالها.

الفصل الثالث عشر

- يا حبي.

هكذا تمّنّ وهو يقبل شعر وعنق "إيزابيل". أبعد ذراعيه عنها ثم أمسك بكتفي الفتاة.

- هل تغفرون لي، لأنني جعلتك تنتظرين طويلاً؟

لكن كان على شفتني الفتاة سؤال يحيرها. سأله:

- لكن كيف أنت هنا؟

ابتسم "بوري" في رقة. لقد وجدت "إيزابيل" على وجهه كل الحنان الذي كانت قد قرأت يوم قبلهما الأولى. وكانت نظرته تحمل كل معانٍ للحب. وعيتها كانتا تتفحصانها بعمق مذهل. وها هو صمت رهيب قد

عندما نظرت من نافذتها، أدركت سبب هذا التغيير. كانوا قد وصلوا في الليل أمام الكوبري "لاروشيل". كانوا في انتظار افتتاح أبواب تمنع الكوبري مزيداً من المياه العميقه حتى تتمكن السفينة من الدخول وبذلك تسهل الملاحة.

وعندما كانت تنتهي من الاستعداد، فوجئت "إيزابيل" بسماع قرعات على بابها. إنه "هيبر".

- "إيزابيل"، عندما تستعددين، الحقبي بي عند الكوبري.

- أخشى إلا تكون لي رغبة في الخروج في هذا البرد يا "هيبر".

وكان صوت الفتاة يعبر عما تعانيه من ملل.

- أسمح لنفسي بالإلاعاج. إني متمسك بآن أريك شيئاً ما، وسوف تسعديني بمجيئك.

وكانت "إيزابيل" لا تعرف رفض أي شيء لأخيها.

- أتفقنا. سالحق بك في الحال.

انتهت من الاستعداد. وكانت منذ أكثر من أسبوع قد عادت لارتداء ملابسها الباريسية القديمة.

كانت بالنسبة لها كأنها كانت لفتاة أخرى، لأنها أصبحت نحيفة. وضعت شالاً على كتفيها مناسباً لرداء السفر، وهو من الصوف البييج وياقة من القطيفة بنية. لحقت بأخيها عند الكوبري في هدوء. وكانت هي و"هيبر" بمفرددهما في هذه الساعة المبكرة من الصباح.

- ما الذي ترغب في أن تريني إياه؟

سئل "هيبر":

- بعد قليل. تذرعني بالصبر.

ابتسمت "إيزابيل". سبقني أخوها على ما هو عليه. وهذا أمر مطمئن، مثل الصخرة التي يحتمي بها المرء وقت العاصفة. بدأت أبواب الكوبري تفتح ببطء. فأشار لها "هيبر" إلى نقطة تبدو كأنها تتجه نحوهما من قاع الكوبري.

- إنها معدية قائد الكوبري الذي سيقود سفينتنا حتى مكان الإبحار. كانت "إيزابيل" لا تفهم لماذا يقوم أخوها بمنحها كل هذه التفاصيل

ساد بيتهما، بدأت الفتاة تقلق.

ـ ما كان ينبغي أن أسرع إليه كما تصرفت قبل ذلك. لست أدرى سبب وجوده هنا. الآن صوت العقل يتكلم. تجمدت. لقد وجدت صعوبة في عدم الاستجابة إلى نبضات قلبها الذي تدفع بها بين ذراعي الشاب. وإذا بشعاع دهشة يبدو في نظرات هذا الأخير.

ـ تم بصوت منخفض جملة لم تسمعها "إيزابيل":

ـ هل "هير" قد أخطأ؟

ـ وبصوت عال أجاب "إيزابيل" بمرد من الهدوء:

ـ كنت تساليتني عما كنت أقوم به في "لا روتشيل". لقد وصلت منذ أربعة أيام، لأنني أحاول الحصول على إجازة علمية من أجل ماكينة لقصب السكر من اختراع عمك. وكان يعتزم تحقيقها من أجل استخدام "بانيون" فقط. وما أني أجد أنها تتمثل تقدما مذهلا، رغبت في أن يكون إنتاجها على نطاق واسع حتى يستفيد منه كل مزارعي الجزيرة. ولقد فوض لي آخرك أمر التصرف في هذه المهمة.

ـ وأمام ما بدا على "إيزابيل" من دهشة واصل:

ـ إنك تعلمين أنه لا يهتم كثيرا بالأمور المالية. أعتقد أنه سوف يظل على هذا النحو حتى نهاية أيامه.

ـ وكان مستمرا في الإمساك بكتفي الفتاة، ثم مال عليها.

ـ والآن لدينا ما نتكلم عنه، أمور أكثر أهمية من كل ذلك. تخص كلينا.

ـ ثم نظر إلى عيني "إيزابيل".

ـ لقد أخبرتني "أومبلين" بأنها حكت لك ما كان قد حدث لوالدي، في النهاية، أفضل أنها هي التي قامت بذلك. إنك تفهمين كم أن ذلك كان مؤلما بالنسبة لي.

ـ عندما سمعته "إيزابيل" ينطلق باسم منافستها، انتصبت وابعدت عنه.

ـ تعم وجه "بورى" بعض الشيء. ثم قاوم لكي يستمر في حديثه:

ـ والآن، وهانت تعلمون كل شيء، أرجو الا تتحاملي علي، من أجل كل ما قمت به من احتياطات نحوك. عندما شاهدت لون شعرك واهتمام

ـ "ماناباني" يك ساوري في الحال فكرة: أن أعيدك إلى "فرنسا".

ـ إذن بذلك، ها هي بعض احتمالاتي كانت صائبة. فهو كان يرغب في رحيلي. هكذا جاء تفكير الفتاة.

ـ ها هو قلبها موزع ما بين الحزن والسرور. مسرورة لتواجدها بالقرب من الذي تحبه وحزينة لأنها فهمت أن ما كانت تخشاه قد تاكد.

ـ استطرد:

ـ لم يعد يخشى شيئا من هذا العجوز الجنون. بعد أن فهم أنه قد فقد كل سلطاته على قبيلته، انتحر بان القى بنفسه من أعلى صخرة "سان فيليب". أتعلمين أنه كان أكثر دهاء مما كان يبدو عليه؟ إن "أوراخ" كان لا يعرف المغامرة المأساوية التي كانت من نصيب والدتي، لانه لم يكن قد وصل إلى الجزيرة في هذه الفترة. وـ "ماناباني" كان قد حرص على إخفاء أنه كانت هناك إلهة أولى. بل قام بتشكيل دور الملهمين، وسرد له الأسطورة قائلا له: إن الإلهة تراهم وهو أنت، حينئذ فكر "أوراخ" في الاستفادة من "ماناباني". وفي الواقع هو الذي استخدمه الرجل العجوز الذي سرعان ما أدرك مدى رغبة "أوراخ" في السيطرة على أقرانه. وعلى ما يبدو أن مقاطعتهم كانت حديثة، حديثة جدا ولا تعرف المحاولة الأولى.

ـ وكان لابد له من أن يكون صلبا حتى يتمكن من الهرب والحياة في الجبل. وكان هدف الرحلة الصغيرة التي قمت بها قبل رحيلك هو أن أجعل "أوراخ" مسلما. حينئذ قمت بقيادة شركة حماية الشرطة حتى استقرارها أسفل البركان. بذلك أسروا لأننا فاجأناهم. وعما قريب سوف يحاكمون عن جرائمهم. كانوا لا يعرفون شيئا عن تحرير العبيد وهكذا أعتقد أن عددا كبيرا منهم سيتمكن من اتباع "أوراخ".

ـ حرست "إيزابيل" على اتخاذ الخذر والتحفظ لأنها كانت لا تدري إلى أي شيء يهدف "بورى" ثم بعد أن انتهت، تفرس الشاب في الفتاة. شعرت به وكأنه يسعى إلى قراءة ما يروجها. وكانت عيناه تبحثان عن إجابة. بدا متربدةا قبل أن يقول:

ـ بعد ذلك أتيت إلى هنا. كنت قد أخذت سفينتين قبل سفينتكما. حقا كانت أسرع لكنها لم تكون مريحة بالقدر الكافي. كنت متوجلا

امسك "بورى" حينئذ بيدي "إيزابيل" وشد عليهما بين يديه. في هذه اللحظة، شعرت "إيزابيل" بان كل شعورها بالبرودة قد تبدد. وعلى ما يبدو ان "بورى" شعر بذلك.

إذ ارتسست على وجهه ابتسامة، اقترب من الفتاة، ترك يديها، وضمهما إليه.

تمتمت وهي تلهث:

- ما الذي تفعله الآن؟

ثم أغلقت عينيها مستسلمة بين ذراعي من كان يضمهما في رقة وحنان. إني مجنونة، غبية، ما كان ينبغي أن أتصرف هكذا. لكن عندما كانت "إيزابيل" تتوارد بين ذراعي "بورى"، كانت تعجز عن مقاومتها، ثم شعرت بحرارة ولذة قبلته الطويلة.

واخيراً ابتعد "بورى" عنها. وكانت نظراته لها تفيض حناناً واحساساً آخر. ترددت "إيزابيل" في ذكر اسمه خشية أن تكون مخططة.

خاطبته بصوت مرتجف:

- ما الذي أخبرك به "هبيير"؟

أبدى "بورى" إحدى تلك الابتسامات التي كثيرة ما كانت "إيزابيل" تعجز عن مقاومتها.

- لقد أكدر لي أنه إذا طلبت منك أن تكوني سيدة "بريزور دى بالميرو"، ستافقين.

هنا صاحت "إيزابيل":

- وـ "أوميلين"؟

بدت الدهشة في صوت "بورى":

- لماذا؟ "أوميلين"؟

هنا جاء دور "إيزابيل" في عدم إدراك الموقف.

- أما كان ينبغي أن تتزوجها؟

فهقه "بورى":

- الآن فهمت تصرفاتك. ومن أين أتيت بفكرة أنه ينبغي أن أتزوج بـ "أوميلين"؟

الوصول لتنفيذ بعض الإجراءات.

توقف مرة أخرى عن الكلام. دهشت "إيزابيل" عندما رأت أن هذا الرجل الواثق بنفسه، يتتردد هكذا. لابد أن الأمر ذو أهمية قصوى. "ربما يريد أن يعلن لي زواجه بـ "أوميلين"؟" شحبت "إيزابيل" أمام هذه الفكرة. وكانت نظرات "بورى" لا تبعد عنها.

- لقد أتيت إلى هنا لكي أتزوج من أرغب في جعلها سيدة الـ "بايفون".

وكان صاعقة لحقت بالسفينة، هذا كان شعور "إيزابيل". عند سماعها هذه الكلمات، قبضت على يديها. يجب إلا يلاحظ ابني متالله".

- وبعد ذلك سمعود إلى جزيرة "بوربون"، لأنني أعتقدت أنني لا استطيع الحياة في "فرنسا".

قاومت الفتاة على قدر استطاعتها إلى أن تمكنت من التتممة بصوت مخنوقي: "تهاني".

وكان فوق طاقتها أن تضيف: "وتحمّياتي بالسعادة". وإذا بشعاع حزن عميق يغطي وجه الشاب. هز رأسه بيطره. أبعد يديه عن كتفي "إيزابيل"، والتفت إلى البحر. رفعت "إيزابيل" عينيها، وقد فوجئت لنصرفة هذا. ثم رأت فكيه يتقلسان وسمعته يردد:

- لقد أخطأ "هبيير".

"إيزابيل" لم تعد تفهم شيئاً. رجل سيتزوج محظوظه ولا تبدو عليه السعادة.

- فـ "هبيير"؟

قالت "إيزابيل" هذا بصوت هادئ ودبيع. التفت "بورى" فجأة نحوها:

- لقد قلت لك ما فيه الكفاية حتى لا أخبرك بكل شيء.

وكأن يتكلّم بصوت جفول:

- إذا كنت هنا، هذا لأن "هبيير" كان قد أكدر لي أن لدى بعض الفرص.

سألته "إيزابيل":

- أي فرص؟

خجلت "إيزابيل" وهي تتكلّم عن الحديث الذي سمعته على غير قصد.

- يا حبي! لا بد أنك عانيت الكثير. إن "أوميلين" كانت قد أنت في ذلك اليوم لكي تخبرني بزواجهما هي. إنها سوف تتزوج بشاب أحبته منذ فترة وهو ابن عم "إميريك دى كيريفيجون".

أخيراً استراحت "إيزابيل"، ابتسمت والفت نفسها بين أحضان "بوري".

- يالله من صغيرة غبيبة! لم تدركني أنني أحببتك منذ أول لحظة رأيتك فيها؟

في هذه الآثناء صمتت "إيزابيل". إذ كانت تتذوق سعادتها. مالت برأسها على كتف الشاب، الكتف التي تشعر عليها بالحماية.

- اعتبر صمتك موافقة.

ثم ضمها إليه مبتسمـا.

- لقد أحضرت شيئاً ما من أجلك.

ثم أدخل يده في جيبه وسحب منه خاتماً عبارة عن فص باقوت محاط باللمس. ووضعه في إصبع "إيزابيل". نظرت إليه في إعجاب وحب.

وكان "بوري" يتأمل الفتاة متمسماً:

- إنه الخاتم الذي كان والدي قد أهداه إلى والدتي يوم زفافهما. أعتقد أن حيناً جديراً بمحبهما.

تمَّت بعون الله

الإسم :
العنوان :
ص.ب :
المدينة :
الدولة :

الرمز البريدي

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنك طلبها ..
سارع في إرسال طلبك !
أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

٥٠٠	نوع الفرج	امرأة يوجهين	٤٦١	الجميلة والفتين	٤٢٢
٥٠١	تحقق الحلم	مكاتب منتصف الليل	٤٦٢	مطاردة مثيرة	٤٢٣
٥٠٢	من أجل حب ساحرة	الجميلة المعذبة	٤٦٣	عذراء الصحراه	٤٢٤
٥٠٣	بستان الأسرار	حب الذي لا ينكسر	٤٦٤	خطوات حذرة	٤٢٥
٥٠٤	أخيراً ... أحبك !	حب نار	٤٦٥	نقطة ضعفي	٤٢٦
٥٠٥	عندما تلتقي	سخرية القدر	٤٦٦	سارق في الظلام	٤٢٧
٥٠٦	المترددة	الحب الأول	٤٦٧	عطر الفضيحة	٤٢٨
٥٠٧	جزيره العشق	رجل الكتف	٤٦٨	لعبة بين يديه	٤٢٩
٥٠٨	التظاهرة الأولى	العذاب إمرأة	٤٦٩	بين يدي الشيطان	٤٣٠
٥٠٩	غريبة في منزلِي ...	رجل بلا قلب	٤٧٠	غرام الجيران	٤٣١
٥١٠	أسرار الخريف	حب في الظلام	٤٧١	ملكة القراسنة	٤٢٢
٥١١	فتاة حائرة	ليلة الموعودة	٤٧٢	إمرأة للجميع	٤٢٣
٥١٢	الأمير وراعية اللهم	الزواج الزيف	٤٧٣	حكاية غرام	٤٢٤
٥١٣	.. وغرفت وحدها	ثمن الخيانة	٤٧٤	بنت من المدينة	٤٣٥
٥١٤	اللنز	انتصار الحب	٤٧٥	لتتوقف عقارب الزمن	٤٢٦
٥١٥	الأميراطورة	امرأة ورجلان	٤٧٦	الطريق إلى الذهب	٤٢٧
٥١٦	غريب على شرفته بيتي	رجل سين السمعة	٤٧٧	سهرة الأحلام	٤٢٨
٥١٧	الخدمة الكبرى	مقهى الفردوس	٤٧٨	صراع مع الموت	٤٢٩
٥١٨	تعشيلية حب	عاذف الكلمان	٤٧٩	الحب الجنون	٤٤٠
٥١٩	الهروب إلى الحلم	وداعاً للوحدة	٤٨٠	العاشق القائم	٤٤١
٥٢٠	الليلة المشهودة	بين نارين	٤٨١	الطيرور المهاجرة	٤٤٢
٥٢١	لوحة الحب	لثوب العذاري	٤٨٢	لثوب العذاري	٤٤٣
٥٢٢	الحاسة السادسة	الهندسة المغامرة	٤٨٣	عاطلة في الرمال	٤٤٤
٥٢٣	الأمير العاشق	غرام في المزرعة الملعونة	٤٨٤	جنون الحب	٤٤٥
٥٢٤	امرأة فاضحة	هدير العاصفة	٤٨٥	للسن العاشق	٤٤٦
٥٢٥	غرام جئنة	مدرسة الحب	٤٨٦	وتحقيق الأمل	٤٤٧
٥٢٦	الحسيبان اللذوذان	الوصية العجيبة	٤٨٧	الأستاذ والرسامة	٤٤٨
٥٢٧	الفارس والجميلة	رجل بلا وجه	٤٨٨	خطاء الصبا	٤٤٩
٥٢٨	شجاعة إمرأة	متاعب صحفية	٤٨٩	شاطئ الغرام	٤٥٠
٥٢٩	الماضي المجهول	دعوة للعشاء	٤٩٠	البلها، الذكية	٤٥١
٥٣٠	هي ... والرجل	صرخات وسط الليل	٤٩١	ثمن نظرية الحب	٤٥٢
٥٣١	الشرطية الحسنة	حب من أول نظرة	٤٩٢	النجة القرفة	٤٥٣
٥٣٢	مقامرات الكوينتس	فرحة عمري	٤٩٤	زوجة العدة	٤٥٤
٥٣٣	ثانية وسط العاصفة	اللعب بالثار	٤٩٥	الرهان المجنون	٤٥٦
٥٣٤	عيناك لا تكتنان	الجميلة والمشوهة	٤٩٦	الرهان للمجنون	٤٥٧
٥٣٥	الرسيم الأعزب	مقتاح القلوب	٤٩٧	مدينة المجانين	٤٥٨
٥٣٦	لعبة الورقة	الاختيار الصعب	٤٩٨	الحب السامي	٤٥٩
٥٣٧	سكة السعادة	الرجل القوي	٤٩٩	الجميلة والأشباح	٤٦٠
٥٣٨	أبواب الجنة	قبلات لا تنسى	٤٩٩	القبلة	٤٦٠

٣٥٨	البحث عن السعادة	٣٢٩	شارة الحب	٣٠٠
٣٥٩	ستربلا	٣٢٣	موعد مع القمر	٣٠١
٣٦٠	القبلة الأخيرة	٣٢١	الحنين للسعادة	٣٠٢
٣٦١	بين قلبين	٣٢٢	مشكلة فتاة	٣٠٢
٣٦٢	رحلة غرام	٣٢٢	صفقة زواج	٣٠٤
٣٦٣	فترة مثالية	٣٢٤	جنون الفيرة	٣٠٥
٣٦٤	العناء والحب المستحيل	٣٢٥	الخداع الرقيق	٣٠٦
٤٠٠	الأبرلة ورجل الأعمال	٣٢٦	عودة الحب	٣٠٧
٤٠١	وحجمهما ... الولد	٣٢٧	حب بلا مقابل	٣٠٨
٤٠٢	متاعب مثلث	٣٢٨	حب في عرض البحر	٣٠٩
٤٠٣	رب صدقة خير من ميعاد	٣٢٩	هبة من السماء	٣١٠
٤٠٤	الماضي ... والحاضر	٣٣٠	الخطيب الغائر	٣١١
٤٠٥	حب لا يعني التسلية	٣٣١	الراة العاشقة	٣١٢
٤٠٦	الاستاذ والتلميذه	٣٣٢	إمراثان ورجل	٣١٣
٤٠٧	قصة ملاك	٣٣٣	الحب الأول	٣١٤
٤٠٨	حياتي عذاب	٣٣٤	الرعاية الحسنة	٣١٥
٤٠٩	الشجرة السحرية	٣٣٥	الشك القاتل	٣١٦
٤١٠	جيكر الحب	٣٣٦	المرأة الطفلة	٣١٧
٤١١	معاً من أجل الكنز	٣٣٧	وعد بالزواج	٣١٨
٤١٢	مسماط الغرام	٣٤٨	السجينية الحسنة	٣١٩
٤١٣	حلم ليلة صيف	٣٤٩	من يتحدى الحب ؟	٣٢٠
٤١٤	غرام ارمطة	٣٤٩	لا ... لا تتعنتي	٣٢١
٤١٤	القرد الأزرق	٣٥٠	العاشرة المتربدة	٣٢٢
٤١٥	الرغبة والخوف	٣٥١	الطلب الجريح	٣٢٢
٤١٦	ودارت الأيام	٣٥٢	زواج مع وقف التنفيذ	٣٢٤
٤١٧	لن أبقى وحيدة	٣٥٣	صراع الحب	٣٢٥
٤١٨	من أجل عينيك	٣٥٤	الحادي والحقيقة	٣٢٦
٤١٩	ملك وشيطان	٣٥٥	العاشرة المتقدمة	٣٢٦
٤٢٠	صيف ممتع	٣٥٦	حب في نصل الخريف	٣٢٧
٤٢١	الصيحة السعيدة	٣٥٧	نداء العاشق	٣٢٨

ملهي متنصف الليل	٦٦٧	سيدة الظلام	٥٧٨	المفتاح الضائع	٥٣٩
هذه ليتنا	٦٦٨	حبيبي .. صديقي	٥٧٩	الأمل ... !	٥٤٠
كناح وتصحية	٦٦٩	طائر السعادة	٥٨٠	الورود والشوك	٥٤١
التنين الأسود	٦٢٠	يقطة الضمير	٥٨١	البلد المسحور	٥٤٢
المنطقة السالبة	٦٢١	مسنة عاشق	٥٨٢	صرخة في المصعد	٥٤٣
المصارع الخارجى	٦٢٢	جنون الذهب	٥٨٣	الأمير المجهول	٥٤٤
سر الملزم	٦٢٣	صياد النسور	٥٨٤	حب في الأحراش	٥٤٥
الخطمة القاتلة	٦٢٤	سر العقد الذئبى	٥٨٥	السعادة المنشودة	٥٤٦
صراع بين العاطلة والواجب	٦٢٥	محطم قلوب العذارى	٥٨٦	الشك	٥٤٧
ذئاب المدينة	٦٢٦	فتاة مهومه	٥٨٧	ستينة الغرام	٥٤٨
نداء الثاز	٦٢٧	الملك والقضيبة	٥٨٨	حب في خطر	٥٤٩
نظرة حب	٦٢٨	عودة المفقود الفريدوس	٥٨٩	الشقراء والدكتور	٥٥٠
موعد مع السعادة	٦٢٩	الوردة الصفراء	٥٩٠	صراع مع المجهول	٥٥١
سحر الحب	٦٣٠	الصياد والفرسية	٥٩١	إمراة ... وبلاة رجال	٥٥٢
ما بعد الزوجية	٦٣١	مسنة تحولت إلى حب	٥٩٢	قييلان وقلبان	٥٥٣
حب في جزر الكاريبي	٦٣٢	أحكام القدر	٥٩٣	حب بلا أمل	٥٥٤
الليل لنا	٦٣٣	فراشة الليل	٥٩٤	الرجل الغامض	٥٥٥
أنت حبي الوحيد	٦٣٤	سفينة الحب	٥٩٥	أشباح الماضي	٥٥٦
دوامة العواطف	٦٣٥	قلبان في دوامة	٥٩٦	إنهاز الحب	٥٥٧
القلب الضائع	٦٣٦	أجمل الذكريات	٥٩٧	خدمتني إمراة ...	٥٥٨
حفل الإمبراطور	٦٣٧	العدو الحبيب	٥٩٨	الوفاء، بالوعد	٥٥٩
سحر الذهب الأسود	٦٣٨	حب لا يقهير	٥٩٩	زواج بالقرعة	٥٦٠
فلورا	٦٣٩	الساحر	٦٠٠	البركان الثائر	٥٦١
قسم متنصف الليل	٦٤٠	اعتراضات إمراة	٦٠١	نبع الحنان	٥٦٢
الحب بين التسلل والواقع	٦٤١	لبنة الحب	٦٠٢	الماضي الورايب	٥٦٣
يقايا دموع	٦٤٢	إمراة ضلت طريقها	٦٠٣	استاذ الكاريبي	٥٦٤
قصة عاشقين	٦٤٣	اكرهك يا حبيبي	٦٠٤	الشرطي والمطلقة	٥٦٥
رحلة الأمل	٦٤٤	شاطئ الأحلام	٦٠٥	أريد طفلأً	٥٦٦
يثر العاطلة	٦٤٥	عندما يعود الحب	٦٠٦	رسول السعادة	٥٦٧
المليونيرة التعسة	٦٤٦	المغامرة المثيرة	٦٠٧	نظرة عابرة	٥٦٨
من أنا ؟	٦٤٧	المرأة الضائعة	٦٠٨	عندما يختفى القمر	٥٦٩
السر الدفين	٦٤٨	غرام العمالقة	٦٠٩	أسرار الماضي	٥٧٠
فالس في الليل	٦٤٩	حب في الغابة	٦١٠	موعد مع الحب	٥٧١
حب صعب المنال	٦٥٠	رحلة العمر	٦١١	محطم القلوب	٥٧٢
الجميلة والسجين	٦٥١	أسيرة القصر	٦١٢	المرأة في الترب الاسرة	٥٧٣
		جوهرة في الرمال	٦١٣	ربيع الحب	٥٧٤
		لعبة القدر	٦١٤	عملية نصب	٥٧٥
		الأعمال تتحقق	٦١٥	المرأة الحديدية	٥٧٦
		إبنة القاضي	٦١٦	الشيخ الذي أحبه	٥٧٧